زنزانة القدر

" رواية "

نجلاء فتحي بدر

زنزانة القدر

" رواية "

اسم الكاتب: نجلاء فتحي بدر
تدقيق لغوي: محمد ربيع – محمد صقر
تصميم الغلاف: محمد علي
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
رقم الإيداع: ٢٨٤٧١ / ٢٠١٧

١١٤ عمارات جنوب الأحياء – الحي السادس – مدينة السادس من أكتوبر
موبايل و واتس : ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية،
أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذنٍ كتابيٍّ من الناشر؛
يُعَرِّضُ فاعله للمساءلة القانونية.

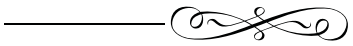

بداخل كل منا حكاية أو رواية، بعضنا يستطيع كتابتَها، والبعض يحكيها، والبعض يضمرها بقلبه إلى أن يموت!

تختلف الروايات والحكايات، بعضها أحداث لا يمكن تصديقها كما لا يمكن تصديق عودة المتوفى إلى الحياة مجددا، لكنها للأسف حقيقة.

نحنُ لا نرى إلا قشور الحياة، أما الحياة الحقيقية فتختفي في قلبِ كل إنسانٍ يحمل قصة، ولا أخفي عليك القول: إن معظمَ ما يكتب في الروايات ليست من نسجِ الخيال، بل هو واقع أليم يبعدُ كل البعد عن توقعك واستيعابك؛ فهذه الرواياتُ المرصوفةُ على الطرقات، ما هى إلا حياة كلِّ شخص يعيش بيننا، ولكنها مهما كثرت ليست سوى قَشَّةٍ في عالم الحقيقةِ المليء بما لا تستطيع تخيُّلَه من المشاعر المتقلبة ما بين الإخلاصِ والخيانة، والكُرْهِ والحب، والأعداء الذين يحوّلهم الزمن لأصدقاء والأخوة الذين يحولهم الزمن لشياطين، فنحن في حياةٍ تنبض بما لا تشتهي الأنفس، لأنها حية، وتختلف سموم الحيّات باختلاف أنواعها.. كذلك تختلف حياتنا عن باقي الحيوات، وكل حياة تحملُ في طياتها ما لا يستوعبه عقل!

نجلاء فتحي بدر

* * *

الفصل الأول
حدوتة على غلاف

يقف في شرفته مُسْنِدًا رأسه على جدارها، يسرح بخياله في هؤلاء الأطفال وهم يغنون ويلعبون ويعلّقون الزينة التى يتجمع فيها الكبير والصغير غير زينة شهر رمضان، ينظر إليهم بعينين مبتسمتين وسارحتين، يرى نفسَه فيهم، ويتذكر أيامه عندما كان صغيرًا يلهو ويلعب مع أصدقائه في الحارة، يجمعون الأوراق ويصنعون منها الزينة، يتذكر وقتَ الإفطار، وفرقعةَ الصواريخ، وضحكاته، وأياما طفوليةً لن تعود أبدا، ثم يتنهّد تنهيدةً قوية تحمل في طياتها ما يُخبئه في قلبه من الألم.. يشرع عينيه للسماء ثم يعود لينظر مرة أخرى إلى الأطفال ويسرح بمخيلته، فجأة ينتبه لصوت التليفون.. يسرع إليه ويرفع السماعة..

ألو.. أيوه، حاضر.. أنا في الطريق.

في الطريق.. لكن ما حدث أنه عاد إلى موضعه مرة أخرى، وما هي إلا لحظات وعاد جرس التليفون يرن.. يتجاهله في البداية حتى صمت الهاتف، لكنه عاد مرة أخرى يرن..

ألو.. بِصَراحة ممكن اتاخر شوية أو معرفش اجي، على العموم انا لو مجتش متخليش دعاء تقعد وحدها وخليها تقعد معاكي انت وماما.. إنت عارفه انّها على وِشّ ولادة، كلها أيام معدودة.. حاضر، هحاول اجي، مع السلامة..

ينظر إلى الساعة.. إنها الثالثة عصرا، يسرع من المنزل، يركب سيارته ويمضي، لا يدري إلى أين، إلا أنه توقف في شارع الجامعة، لم يلاحظ أين هو! إلى أن انتبه إلى فتاتين تضحكان بصوت عالٍ فنظر إليهما وكأنه رأى من كان يعيش لأجلها.. إنها فتاة تشبهها ولكنها ليست هي، نظر في حالة يأس في أن يعود الماضي بأيّامه الجميلة، على الرغم من الألم الذي كان بها لكنها كانت أيامًا جميلةً.. على الأقل لأنه كان يراها ويسمع ضحكتها التي نادرا ما كان يسمعها، وينظر لعينيها البنّيّتين التين يعشق النظر إليهما والتي تشيح بعينيها بعيدا

كلما وجدته يمعن النظر إليهما، وسرعان ما اتجه نظره إلى الجامعة.. قرّر أن يسير في هذا الشارع لينظر إلى ماضٍ اشتاق إليه؛ (كلية التربية) تذكَّرَ كل شيء جميل، وكلما تذكر كلما انفطر قلبه حزنًا وشوقًا!

وقف أمام (كلية الآداب) رغم أنها ليست في طريقه ولكنه أراد أن ينظر إلى مكانٍ كان يحوي حبيبةَ القلب التي لم يعد يستطيع رؤيتها.. أراد أن يدخل الكلية فهو يشتاق لكل مكانٍ كانت فيه، كلما نظر بعينيه إلى مكان له علاقة بها ينفطر قلبُه ويرغب في أن يذهب إليه، يعلم أنه لن يعيد شيئا سوى الألم فقط، وأوجاع لهذا القلب، ولكنه السبيل الوحيد لكي يبرد نارَ الشوق في قلبه التي سببت له إرهاقًا شديدًا، يرجع برأسِه على مسند كرسيّه ويغمض عينيه الدامعتين.. سمع صوتها تقول:

متزعلش.. دي طبيعة الحياة؛ الكل بيفارق ويشتاق لكن الأهم إننا نفضل فاكرين اللي بنشتاق ليهم في قلوبنا لأن القلوب مش بيجِلْها زهايمر زي العقول اللي بتنسى أعز الناس!

يفتح عينيه بعد تذكّر هذه الكلمات، ثم ينظر مرة أخرى إلى لكلية، وإلى كلمة (كلية آداب) التي في أعلى المبنى ويقول: مقدرش اعترض على حكم الله، لكن اقدر اقول (الحمد لله).

يذهب، فيرن هاتفه، ليرد دون أن يعلم من المتصل:

ألو.. أهلا يا نبيل، عامل إيه؟.. كل سنة وانت طيب.. إيه؟ لا، العيلة كلها في دمياط من كام يوم، وانا هنا بتابع الشغل في المعرض زي ما انت عارف.. الحمد لله، دعاء مراتي أهي على وِشّ ولادة.. الدور عليك انت بقه، مقضّيها لعب وخلاص، ما تِجَوّز ياعم خليني اخلص منك، هتبوّر أختي لو فضلت بالشكل دا.. انزل مصر يلّا، خلينا نفرح بيكم.

هههههههههه، والله ما تفرق ولد أو بنت، بس تصدّق نفسي اجيب بنت تبقى حبيبة ابوها.. البنات ملائكة الرحمة.. إنت عارف انا هسمّيها إيه، مش عاوزة سؤال؛ على اسم مامتها طبعا.. لا والله أبدا، الدكتور رفض انّه يقولّنا نوع المولود، واحنا قلنا كدا أفضل.. طب كدا امته؟ لسّه متعرفش بالضبط نازل إمته؟ أنا ممكن احجزلك قاعة الفرح واخلّصلك الحاجات اللي لزماك للفرح ولما توصل بالسلامة لينا سهرة حلوة مع بعض زيّ

سهرات زمان.. فاكر ولّا نسيت؟ الغربة بتعمل اكتر من كدا يا صاحبي، والله بتفرّق الأحباب، اللي بيتخرّج من الجامعة الأيّام دي عارف انّ مصيره برّه البلد عشان يقدر يعيش.. ولا يهمك هعوّضك الأيّام دي لمّا ترجع بالسلامة وتتجوز.. وانت كمان خلّي بالك من نفسك، مع السلامة!

ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجهه بهذه المكالمة التي أسعدت قلبَه من صديق العمر..

في وسياط

دعاء: تفتكري يا ندى، حسام جاي ولّا لاء.. امبارح برضه مجاش وقال: شغل واتحجّج.

ندى: أنا نبّهت عليه انه ييجي، وهو في الطريق، متقلقيش.. وبعدين خايفة من إيه؟ ما احنا كلنا جنبك اهو؛ انا، وبابا، وماما، وعبد الرحمن.

مش عارفة، حاسة انّي هولد الأسبوع دا.

هههههه.. أيوه يا عم، اولدي.. وهتاكلي فراخ بقه، هههه.

هههههههه، يخرب عقلك اللي مش بيخليكي تفكري إلا في الأكل.. يعني سيبتي همّ الولادة، والطلق، والتعب، وبتفكري في الفراخ اللي هكلها.. هههههه، اللي زيّك لازم ميعشّي ليوم التلات.

الأم: ولا الاربع.. وحياتك أنا أمها وبقولها كدا، هههه.

هو انتم الاتنين هتتّفقوا عليّه ولّا إيه.. لا بقه، ما احنا هنعمل اتفاق من الأول كدا؛ لما دعاء تولد وتطبخيلها فرخة.. لازم تعمليلي فرخة معاها لوحدي.

ليه.. هي مين اللي والده فيكم؟

هي طبعا.. بس هي هتفضل تصرخ من الولادة وانا ادعيلها، وأعصابي هتتوتّر لما تدخل بقه كدا غرفة العمليات ونقول: يا رب ولد، يارب بنت، يارب قرد؛ يعني تعب الأعصاب دا ملوش تمن ولا إيه؟

قرد؟! حرام عليكي يا مفترية.. دا انت وترتي أعصابي لما قلتي: عملية، وتصرخ..

طبعا هتصرخي، وتصوتي، وتعيطي.. يعني هي الولادة بالساهل يا حلوة!

يالهوي يا ماما! والنبي تعالي حوشي البنت دي من قدام،ي والله هعيّط.

يا دعاء يا حبيبتي، دي واحدة عبيطة.. بتاخدي على كلامها ليه؟ هي الولادة لو كانت صعبة كنت خلفت ولادي التلاتة اللي منهم الهبلة دي؟

تصدقي، كلامك صح يا خالتي.

صح مين؟! دي بتهدي أعصابك بس.. أمال الستات اللي بتموت وهي بتولد دي بتموت من إيه؟ ما هي من الولادة!

ياخرابي! امشي من قدامي يا بتّ، وكمان بتقرّي عليه.. أنا والله هعيّط.

دمعت عيناها خوفًا فجأة.. تأتي ندى بجوارها وتضمها.

يا هبلة، هي لو كانت الولادة صعبة كنت هفكّر في الجواز أصلا، واتخطبت للمحروس اللي في الغربة دا؟ وبعدين مع حسام الولادة هتبقى أسهل.

ليه، هو دكتور؟

لا، مسكّن خافض للحرارة هههههههه.

امشي يا بت من هنا.. يا خالتي، حوشي بنتك دي عني!

هههههه، بتفكريني بواحدة صاحبتي، كانت بتقول: رجب حوش صاحبك عني.

تأتي أمها من الخلف وتمسك أذنها وتقول:

لا، يا روح ماما، دا مش رجب.. دي ماما!

تضحك دعاء ضحكة مدوية.. بعد أن أمسكت خالتها ندى؛ جرّتها إلى المطبخ، تغضب ندى مغنية: ما تِفْرَحيش فيها كدا.. بكرة السنين تيجي عليكو..

مش كنتي هيفا من شوية.. دلوقتى قلبتي على سعد ليه؟ ههه.

فجأة صوتُ جرس الباب.. تفتح دعاء؛ إذ بحماها وعبد الرحمن، ترحب بهما بابتسامة..

حمدلله على السلامة... ها، جبتوا حلواية كدا.

جبنا بسبوسة عشان مخلّيش نفسك في حاجة يا ستي.

ربنا يخليك ليه يا بابا، يا رب.

عبد الرحمن: هو لسه قد إيه على الأذان؟

لسه بدري يا درش.. إيه؟! إجمد.

أنا مش بقول على الفطار.. أنا بسأل عشان أفرقع بومب وصواريخ.

هههه، أيوه بقه، دلوقتي حسام تلاقيه جاي ومعاه صواريخ هو كمان، دا عشقه مِن وهو صُغَيّر.

المهم هو يبجي.

آه، أنا خايفة إنه ميجيش النهارده كمان.

- لا، متقلقيش، أانا كلمته وقال إنه في الطريق.

- الحمد لله.

في هذه الأثناء كان هو في طريقه إليهم يسوق مسرعا.. عيناه في رأسه دون عقله الذي ما زال يفكر في أيام مضت، لا يحب أن يعيش في الماضي لكنّ ما يؤلمه أن لا أحد يعلمُ عن حكايتهم شيئا؛ لذا قرّر أن يكتب في دفتره الأحمر الذي يرافقه معه طوال الوقت حكايتَهم.. من الغريب أن يختار شابٌ مثل هذا اللون الذي لاقى استغراب من حوله أثناء حمله في أي مشوار يتّجه إليه، ولكنه اللون الذي كانت تحبه هي، وعندما يلمسه يشعر كأنه يلمس جزءًا منها.. قد تركته بجواره كي يتذكّرها رغم أنها لم تكتب فيه قط!

سرح بخياله وأفاق على صوته قائلا:

شوفتى الأيام عملت إيه رغم إنك وحشانى أوي، بس أنا بتحمّل لكن مش قادر أنسى، ومين يقدر ينساك؟! قلبي وجعني أوي إنك بعيدة، كان نفسي أشوفك قدّامي سعيدة وأزفّك بايدي عروسة.. كان عندي استعداد إني أزفّك لعريس تاني غيري ولا إني أتحرم إني أشوفك يوم.. لكن انت اخترتِ البعاد.. الحمد لله.. الحمد لله إن آخر نظرة منّك كانت ليّا، وآخر صوت منك أنا اللي سمعته.. حبّيت اسمي لمّا سمعته منك، نفسي اشوفك لو حتى في المنام، نفسي يا الله... أنا عارف إن دا مش من حقّي بس انا مش محتاج حاجه غير إنّي أشوفها، أشوف ابتسامتها وعنيها المرسومة بالبسمة.. ثم بكى شوقا إليها! يا الله.. كم يؤلم الحب الذي يدعو فيه الحبيب ربّ العباد أن يرى محبوبه ولو في المنام!

سرعان ما وصل حسام إلى المنزل، تفتح ندى التي وضعت يدها في خصرها كعادتها قائلة:

كان بدري يا خويا، لازم نتحايل على الباشا عشان ييجي يفطر معانا.

إنت مش هتبطّلي لماضة؟ امشي من قدّامي.. إمته نبيل ييجي وياخدك من هنا ويريّحنا منك.. الله يكون في عونه!

ماشى يا عم، ادخل، أنا غلطانة إني بكلّمك أصلا.. بس مش هردّ عليك، اللهم إني صائمة.

هههههه، متأكدة بعد كل الكلام دا إنك صايمة؟ هههه... أُمّال فين ماما ودعاء؟

ماما في المطبخ، ودعاء بتستريح في أوضة ماما.

هي ما لها، كويّسة؟!

آه، كويسة، هتولد.. إيه يا ابني.. واحدة على وشّ ولادة هتكون عاملة ازاي يعني!

خلاااااص، ارحميني، روحي لماما عمّا أطّمّن عليها.

يطرق الباب مستأذنًا للدخول على زوجته قائلا: دعاء، إنت صاحية؟

أيوه، تعالى يا حسام يا حبيبي... إيه بتستأذن!

معلشّ محبّتش أقطع عليكي خلوتك فقلت أستاذن.

هههه، لا، تعالى..أنا أصلًا لمّا بشوفك بَرْتاح.

إنت عاملة إيه دلوقتي.. كويسة؟

أنا الحمد لله، بس خايفة أوي.

يجلس بجوارها على السرير ويضمّها في حضنه ويقبلها قائلا: خايفة وانا جانبك، دا ينفع برضه، إنت روحي يا دودو، والله أعلم أنا خايف عليكي قد إيه.

متأكّدة من كدا والله، بس خليك جنبي، إوعى تسيبني.

إنت عبيطة؟! حد يسيب روحه ويمشي.. إنت روحي وكمان شايلة حتة من روحي وروحك مع بعض.. يبقى ازاي أسيبك.

ربنا يخليك ليّه.

ربنا يبارك لك ويقوّمك بالسلامة، وعاوزك تعرفي إن لآخر الدنيا أنا راضي عنك يا دعاء، فهماني؟

آه فاهمة، وأنا ربنا هيكون راضي عني طول ما انت راضي عني، ربنا ما يحرمني منّك.

ولا منّك، يا رب.

دق الباب.. حسام، دعاء، إنتم صاحيين؟.. يلّا يا ولاد.. الفطار.

أيوه يا ماما، اتفضلي.. يلّا يا ولاد، معدش غير دقايق وتفطروا المغرب هيأذن.

والله يا ماما مليش نفس أفطر.

- إنت صايمه؟!.. إيه يا ماما.. مش الدكتور قال دعاء متصومش عشان خطر عليها، دا انت هتولدي كمان أسبوع أو أسبوعين، ايه يا دعاء؟

- أنا عمري ما فطرت ومش حابة افطر يا حسام، دا شهر مبارك وبيصعب عليّه نفسي إني أكون فاطرة والناس صايمة.

- يا بنتي دا شرع ربنا، إنك لما تكوني على وش ولادي تفطري وبعدين عوّضيهم يا ستي لما ربنا يقومك بالسلامة.

- معلش بقى يا حسام، رمضان قرّب يخلص ونستقبل المولود الجديد ونستقبل العيد، عاوزة العيد يبقى عيدين.

- أنا مش عارف أعمل إيه في دماغك دي.. خلاص خليكي هنا وانا هجيب الفطار، نفطر احنا الاتنين هنا.

- خليك انت يا حسام وانا أجبلكم الفطار.. أنا وندى... خليك جنبها.

- ربنا يخليكي ليه يا أمي.. ومتحرمش منك أبدا.

يمضي الوقت ويذهب حسام للمسجد مع والده ليصلي التراويح ثم اتجه إلى سيارته وأخذ منها الدفتر الأحمر.. دخل الشقة فوجد دعاء نائمة.. دخل إلى غرفة الضيوف.. أسند ظهره على الكرسى ومدّد قدميه وبدأ يكتب.. لا أحد يعلم ما يكتبه.. حتى أمه وأخته وزوجته.. أقرب الناس إلي؛ فهذا سر ممنوع لأحد أن يتحدث فيه، لكنه أمر شغل بال دعاء التي ما لبثت أن استيقظت من النوم فلم تجد زوجها بجوارها.. تحاملت على نفسها

وبحثت عنه فوجدته نائمًا وعلى صدره الدفتر الذي يحيّر فكرها.. حاولت أن توقظه لينام بغرفته لكنه غطّ في نوم عميق.. انتابها الشغف أن تأخذ منه الدفتر بهدوء لتقرأه.. حاولت أن تسحبه ببطء.. شعر بها حسام فقفز مفزوعًا من مكانه؛ فأفزعها قائلا:

دعاء، خير.. في إيه؛ حاسة بتعب؟

أنا الحمد لله.. بس قمت ملقتكش جنبي قلت اشوفك فين، ولقيتك نايم هنا، قلت أصحيك تنام جوّه أحسن.

طيب خلاص، اسبقيني انت وانا جاي وراك.

حسام، إنت مخبّي عليه حاجة؟

حاجة إيه؟

الدفتر اللي مش بيفارقك أبدا وبتكتب فيه.. بتكتب فيه إيه؟!

دعاء، سبق واتكلمنا عن الموضوع.. دا شيء خاص جدا.

- مفيش حاجة اسمها خاص ما بين الزوج وزوجته.

- كلامك صح، بس صدّقيني هتقرايه في الوقت المناسب.

- وعد؟

- وعد.

- ماشي، أنا رايحة الأوضة، خلّص وحصّلني.

- حاضر يا قلبي.

تغادر وعقلها يسطر روايات حول ماذا يكتب في هذا الدفتر ويحرص على ألا يعلم به أحد حتى أنا.. هل يكتب سيرته الذاتية ويحب الاحتفاظ بها لنفسه؟.. لكنه وعدني أن أقرأها، بالتأكيد ليست قصة حبّ سابقة يكتبها ويجعلنيا أقرأها.. اهدي يا بنتي، أكيد هتعرفي كل حاجة لما ييجي اليوم وتقرئيها زي ما وعدك.. أنا لسه هستنّى؟ مستحيل، أنا لازم أعرف هو بيكتب إيه.. دا حقي.. بس هو وعدني، وحسام أنا عارفاه؛ عمره ما وعد حد وخلف وعده... يووه بقه.. لا، أنا مش هستنّى.. أنا لازم اعرف والنهارده قبل بكره كمان، بس لما ألاقي الوقت المناسب.

في هذا الوقت كان يسطر حسام آخر كلمة في دفتره الذي ما زال مليئا بالأوراق الفارغة.. كتب جملة واحدة للنهاية حملت في طياتها الكثير.

كتب: (إلى هنا انتهى الماضي عبر الزمن، لكنه لم ينتهِ في قلب لن يغيره الزمن أبدا!)..

أغلق الدفتر وذهب إلى غرفته.. فوجد زوجته نائمة، نام بجوارها في هدوء حتى لا يوقظها لكنها لم تكن نائمة، بل منتظرة حتى تقتنص الفرصة أثناء نومه وتقرأ ما يخفيه عنها كل ليلة.. غط حسام في نوم عميق، نظرت في وجهه فوجدته نائما تماما فتسلّلت إلى الغرفة فوجدت الدفتر؛ قامت بفتحه بحذر وهي تنظر بين اللحظة والأخرى خارج الغرفة خوفًا أن يراها.. فتحت الغلاف فشمّت له رائحة عطر الياسمين.. زادها هذا الأمر استغرابا، كيف وصل هذا العطر للدفتر؟ ثانيا: هو لا يحب عطر الياسمين، قلبت الصفحات فقرأت ما صدمها وجعلها تنهار بالبكاء لولا أنها تماسكت خوفا أن يسمع صوتها، أغلقت الدفتر ووضعته مكانه وذهبت لغرفتها فوجدته ما زال نائما.. نامت بجواره بهدوء وأغمضت عينيها في محاولة للنوم، لكن هيهات أن تنام بعدما علمت أنه ما زال يفكر فيها وأنها ما زالت تحيا في قلبه.. لم تتخيل أنه يقضي كل هذا الوقت في الكتابه لها.. تتذكر أول جمله قرأتها في بداية الدفتر: (إهداء إلى الراحلين من الدنيا الخالدين في قلوبنا!).

لقد ظنت أنه نساها، لكنها قالت لنفسها: كيف ينساها وأنا شخصيا لم أنسها؟ لكنه مؤلم أنه ما زال يكتب عنها ويكمن لها الحب، ولكن العبرة بالخواتيم، وخاتمة حياته بجواري ها هنا.

ولكن كيف لها أن تغار من فتاة طوى الزمن حكايتها للأبد.. لا بد من وجود سر وراء هذا، لا لن تكتفي في التفكير؛ فحواء لا تهدأ عندما تجد أن هناك امرأه أخرى في حياة زوجها حتى لو كانت من الماضي البعيد.. فإنها ترغب في أن تظل حياة زوجها خالية من أي امرأه غيرها، لكن رغم هذا فإنها لن تهدأ إلا عندما تقرأ كل ما كتب.. ثم بدأ الشك يتخلل قلبها؛ هل يحبني حقا أم أني مجرد تنفيذ لسنةِ الحياة فقط، وأنها هي من تمتلك قلبه.. يا الله لن يكتفي قلبها عن التفكير فهي تعرفه جيدا، وتعرف حكايتها أيضا.. فلمَ يرغب في تدوين القصة التي يعلمها كلا منهما؟ إنه لشيء عجيبٌ! يا الله، أرح قلبي، ورغم ذلك لم

تهدأ ليلتها ولم تذق عيناها طعم النوم فقد قرّرت أن تعرف ما بهذا الدفتر حتى لو على حد السيف، وعندما تقرّر حواء فلا شيء يقف بطريقها سوى تنفيذ ما ترغب به!

استيقظ من نومه فجأة!

إنت قاعدة كدا ليه؟

عيني عايزة تشبع منك!

وشبعت؟

العين عمرها ما تشبع من حبيبها.. بتحبني؟

الحب كلمة قليلة عليك.. أقوم آخد دش عشان أنزل الشغل.

أنا صعبان عليه سفرك من دمياط للمنصورة كل يوم في الصيام دا للمعرض.. ما تكلّم أي حد يمشيلك الشغل هناك.

- فيه حاجات لازم أكون أنا موجود فيها ومش أي حد أقدر أئتمنه عليها.

- أوك.. أهم حاجة تخلّي بالك من نفسك ومتتأخرش على الفطار.

ذهب بسيارته ولكنه في منتصف الطريق شعر بأن هناك شيئا ينقصه فجأة.. إنه نسى الدفتر في الغرفة.. خاف أن يقع في يد دعاء، فأخرج مفتاحه ودخل إلى الغرفة مباشرة يبحث عن الدفتر لكن الصدمة جعلته ثابتا مكانه.. لقد اختفى الدفتر، ذهب مسرعا إلى غرفته ليتأكد أنه لم يتركه في مكان آخر.. فجأة تسارعت ضربات قلبه وأنفاسه.. جلس على كرسي واضعا يده على قلبه، ظهر عليه التعب كأنه يسارع عقلَه في أن لا يفقد وعيَه، وجد دعاء فجأة أمامه وفي يدها الدفتر قائلة: للدرجة دي مهم الدفتر يا حسام؟! اعتقدت في لحظة إنك نسيتها لكن يظهر إني غلطت.. ما دام إنت لسه بتحبها اتجوزتني ليه؟

في إرهاق شديد: دعاء، إنت ازاي عقلك ياخدك لكدا.. كل الحكاية إن... قاطعته:

إنك إيه؟.. إيه فايدة إنك تكتب عنها، وعن أيامك معاها.. إيه غير إنك لسه بتحبها!

ظهر عليه التعب الشديد قائلا:

دعاء، متفكريش كدا.. إنت لو فكرتي في الموضوع هتعرفي الحقيقة.

- حقيقة إني مجرد واحده اتجوزتها عشان بتحبك لكن اللي بتحبها انت لسه بتفكر فيها... لم تكد أن تكمل كلامها حتى لاحظت إرهاق حسام الشديد فقالت في فزع: حسام ما لك؟!

- دعاء، متظلمنيش.. أنا مليش غيرك دلوقتي.. إنت الأمل اللي انا ماشي عليه.. غصب عني بحنّ للماضي وعمري ما هنساه.. لكن انت دلوقتي الحاضر، و.. والمس.. ت.. قبل، ثم سقط مغشيا عليه؛ صرخت دعاء مستنجدة إلى شقة حماتها قائلة: افتحي يا ندى... إلحقيني يا ماما... إلحقوني والنبي!

اجتمعت حولها الأسرة متسائلة: ما لك يا بنتي.. إنت بتولدي ولّا إيه؟

- لا.. لا.. لا، حسام أغمى عليه فجأة... خايفة ليكون حصل له حاجة.

تمسك ندى يدها لتهدئ فزعها المشوب بالتعب في حين أن والد حسام يحاول إفاقته:

حسام، حسام، فوق يا ابني... حسام.

تبكي أمه: حسام، فوق يا ابني.. فوق، متحرقتش قلب امك عليك.. يا رب استرها.

- ندى، اتصلي بالإسعاف بسرعة.

- إسعاف ليه، فيه إيه؟! أنا السبب.. أنا السبب.

الأب: بس يا بنتي، إن شاء الله خير، اتصلتِ يا ندى بالإسعاف؟

- أيوه يا بابا اتصلت..

- هاتي أي برفان من جوّه.

ذهبت دعاء لإحضار البرفان، لكن الخوف لم يجعلها تتحرك من مكانها.. أخذت ندى البرفان من يدها تاركة دعاء تؤنّب نفسها في المرآة قائله لنفسها:

استفدتي إيه من اللي عملتيه؟ ضيّعتى حبيبك منك ياغبية، تجلس باكية راجية الله أن ينقذ زوجها.

ذهب الإسعاف بحسام، وباقي الأسرة في سيارة ندى التي امتلأت بدعاء الأم بأن يبعد الله كل شر عن ابنها.. بينما لسانها يدعو كان عقلها يسطر أسوء سيناريو يمكن أن يحدث لابنها الحبيب وهو فقدانه للأبد.

في المستشفى.. الجميع منتظرون أن يخرج أحد الأطباء ويطمئنهم.. لكن هناك حالة من الاضطراب بين الأطباء والممرضات جعلت دعاء تنهار أرضا فأسرع إليها أحد الأطباء وحملها لإحدى غرف الكشف.. وما إلا هي لحظات حتى اجتمع الأطباء حولها أيضا..

زاد بكاء الأم التي خافت أن تفقد أعز ما تملك؛ ابنها الحبيب، وزوجته، وحفيدها الذي لم تره بعد، الجميع يجلس في انتظار رحمة الله بابنهما وزوجته التي ما لبثت أن رقدت هي الأخرى في السرير محاطةً بأجهزةٍ لقياس النبض، والمحاليل في ذراعها يأتي إليها الطبيب بين الفترة والأخرى لكي يطمئن عليها وعلى طفلها الذي لم ير الدنيا بعد!

في صباح اليوم الثاني

تفتح دعاء عينها فترى ندى نائمةً بجوارها لا ترغب في إيقاظها فهي تريد أن تتفرد بنفسها لتفكر بما حدث بالأمس، هل هو حقيقة أم خيال؟ لا تستطيع استيعاب ما حدث.. يا لها من ليلةٍ قاسيةٍ كالليالي الدرامية القاسية.. دمعت عيناها وبدأت في البكاء، رأتها إحدى الممرضات؛ فقالت لها لتواسيها:

متعيطيش، إنت بخير والجنين بخير.. استيقظت ندى على صوت الممرضة قائلة: دعاء، خير إن شاء الله، روّقي.

- حسام عامل إيه؟

- الحمد لله تمام، متقلقيش المهم انت تكوني بخير والجنين بخير.. إنت عاوزة تحرقي قلب ماما مرتين ولا ايه يا دعاء؟

- أنا السبب يا ندى.

- السبب في إيه؟ كلنا كنا عارفين إن دا ممكن يحصل في أي وقت.. الموضوع كان مسألة وقت يا دعاء.

- بس برضه أنا السبب.. أنا اللي ضايقته لما سألته عن الدفتر الأحمر.

- مش فاهمة حاجة.. احكيلي إيه اللي حصل.

قصت دعاء ما حدث بندم.. تتمنى أن لو يعود الزمن فلا تفعل ما فعلت، ولكن هيهات فإن اللحظة التي تمضي لا تعود أبدا، واتفقتا أن لا تخبران أحدا بما حدث.. وأثناء

ذلك دخل أحد الأطباء إلى غرفة العناية المركّزة.. استغرق وجود الطبيب داخل الغرفة دقائق معدودة، وعند خروجه وجد الأم تمسك بيده وتتوسل أن يخبرها عن وضع ابنها في هذا الوقت.. حضر الأب وطلب هو الآخر أن يطمئن على ابنه.. قال الطبيب في تفاؤل:

- والله يا جماعة الليلة اللي فاتت كانت صعبة، ودلوقتي لما شفته لقيته الحمد لله، الحالة مستقرة بكتير حتى إنه بينادي على المدام.

- دعاء!

تنحنح في حرج: هى المدام اسمها دعاء، أمال مين أميرة؟

في تجهُّم: أميره؟!

نظر كلا من الأم والأب لبعضهما.. جلست الأم مكانها دون كلمةٍ في حين اتجه الأب بعينين دامعتين بعيدا، فهم الطبيب أنهما لا يرغبان في الحديث عن هذا الموضوع؛ فقال: على العموم ادعوا له إن ربنا يقوّمه بالسلامة.. عن إذنكم.

جلس الأب بجوار زوجته ومسك يدها وهي تبكي وتقول: يعني خلاص.. خلاص، ابني انتهى.. آن الأوان إنه يضيع مني؟!

- متقوليش كدا.. خير إن شاء الله.

- خير فين؟ بينادي عليها يا أبو عبد الرحمن، بينادي عليها.

في بكاء: أنا عايز أقولك حاجة، رغم أن حسام مش من صلبي بس أقسم لك بحياة ولادي اللي من صلبي إنه زيّهم بالضبط، وحاسس إنه لو لا قدّر الله حصل حاجة أنا اللي هيحصل له حاجة واره.. أنا مربّيه من وهو لحمة حمرا.. أنا بدعي ربنا يقومه بالسلامة، وانت كمان ادعي له.

- أنا بدعي له ربنا يقوّمه بالسلامة، وميحرقش قلبي عليه ويجعل يومي قبل يومه يا رب!

- ربنا يطول في عمرك وعمره ويجعل يومي أنا قبلكم إنتو الاتنين.. أنا مقدرش أعيش من غيرك ولا من غيره... وقام بضمها إلى حضنه وقبلها برأسها حتى تشعر بالاطمئنان في قلبه ويخفي دموعه التي تسرق لحظاتهم.. مضت عدة أيام على هذا الحال حتى جاء الطبيب: أستاذ حسام طالب مدام دعاء؛ ذهبت دعاء إليه وطلب منها الطبيب ألا تجعله

يتحدث كثيرا، وألا ترهقه أيضا وفي أثناء دخولها الغرفة ما لبثت أن انفطرت في البكاء؛ فإن حبيب العمر يرقد بين الحياة والموت أمام عينها، وهي لا تملك شيئا سوى أن اقتربت منه وسرقت قبلة من جبينه شعرت فيها ببرودة جسده.. تعجبت من هذا وحاولت أن تناديه لكنه لم ينتبه لها.. نادته مرة أخرى فلم يُفق.. اقشعر بدنها خوفًا لكنها فوجئت بالطبيب يدخل قائلا:

كلمك؟

- بناديه مش بيرد.

- خير متقلقيش... نظر إليه وهو يحاول إفاقته: حسام.. حسام، ما هي إلا لحظات حتى أفاق، ورد بصوت ضعيف: نعم.

- مدام دعاء هنا جنبك.

- فين... دعاء.

- أيوه يا حسام، أنا هنا.. أنا آسفة يا حسام، والله آسفة.

- الدفتريا دعاء، آن الأوان تقرئيه.

- لا، مش عايزه أقرؤه.. أنا عايزاك تقوم بالسلامة.

- بلاش عياط يا مدام دعاء، إحنا قولنا إيه.. هزت رأسها على أنها تتذكر ما قاله.

- دعاء..

- أيوه يا حسام..

- الدفتروانت بتقريه حطي في دماغك إن مفيش حد في قلبي غيرك.. أنا كنت عايش عشان أسعدك زي ما هي وصيتي.. أنا عارف إنك مضّايقة من سيرتها بس دا مش اللي انا عايزه.

- أنا عارفه إن أنا غبيّة إني أزعل.. بس صدّقني.. غصب عنّي.. حسيت للحظة إنك مبتحبنيش.

- أبدا والله.. أنا بحبك أكتر من نفسي لأن انت حبيبتي ومراتي وأم أولادي.

- حتى وانت تعبان بتقول كلام حلو!

- محدّش في الدنيا دي محبّش (تذكر كلمة أميرة)، أو كان ليه تجربة حب قبل كدا وإلا ميكنش إنسان سوي.. وحظي الحلو إن أنا تجربتك الأولى في الحب.. لكن انت مكنتيش الأولى في قلبي لكنك إنت الأولى في حياتى وآخرتي، وهي دي العبرة.. أنا بحبّك وبخاف عليكي أكتر ما بخاف على نفسي مش عشان إنت مراتي.. لا، عشان إنت دلوقتي حياتي وانت الحاجة الوحيدة اللي انا عايش عشانها يا دعاء...

مش هقولّك خلي بالك من ماما.. أنا موصّيهم عليكي من زمان، لكن وصيّتى ليكي إنّك تخلّي بالك من ولادنا يا دعاء، وإن مفيش غيرك انتي في قلبي ودنيتي وآخرتي..

ساد الصمت بعدها فنادته في خوف: حسام، حسام، رد عليه.

- ما تخفيش، هو هيبقى كويس، الكلام الكتير تعبه.. حضرتك ممكن تتفضلي برّه دلوقتي..

مَضَتْ وهي تبكي.. أسرعت إليها الأم لتطمئن...

- ها يا دعاء، طمنيني.. حسام ما له.

- حسام هيبقى كويس يا ماما.. ادعيله بس.. أنا هروح أنا البيت.

- استني يا دعاء عشان ماما وندى يروحو معاكي كمان.. عبد الرحمن تعب من القاعدة هنا.

- لا، أنا هقعد هنا جنب ابني.

- لا، ما ينفعش.. روحي انت وانا قاعد هنا وهطمّنكم أول بأول.

- أنا لو روحت هاجي تاني.. مش هقعد هناك وابني هنا.. فاهمني.

- حاضر، بس روحوا ارتاحوا.. وجودكم مش هيعمل حاجة.

- ماشي يا بابا.. يلّا يا ماما، يلّا يا دعاء نروح نرتاح شوية ونيجي تاني، واللي فيه الخير ربنا يقدمه، وحضرتك يا بابا لو احتجت حاجة كلمنا.

- ماشي يا ندى، خلي بالكم من نفسكم وخلي بالكم من دعاء.

- حاضر يا بابا.. سلام.

ذهب الجميع إلى البيت وطلبت دعاء أن تذهب إلى شقتها لكي ترتاح، وما بين رفض حماتها من تركها وحدها -فلا يوجد مبرر من جلوسها في الشقة وحدها- وإصرار دعاء على

الذهاب.. استسلمت الأم عندما أخبرتها أنها لا تستطيع أن ترتاح إلا في غرفتها.. أرادت أن تذهب ندى معها لكن دعاء رغبت في الجلوس وحدها ليرتاح عقلها فلا داعي للخوف عليها.. لم تجد الأم مفرًا من ذلك فتركتها على حرِّيتها تذهب إلى حيث تريد.. دخلت دعاء شقتَها في يأسٍ.. شعرت أن المنزل مهجورٌ لم يدخله إنسان قط.. صوت السكون هو السائد في المكان، صمت يحكي ما حدث وكأن ما حدث حلقة درامية في مسلسل مجهول البداية من النهاية..

وضعت يدها على آخر مكان جلس فيه.. ذلك الكرسي.. تتحسسه.. أغمضت عينيها وحاولت أن تشم رائحته في المكان لكن لم تشم رائحته بل شمت رائحة الوداع.. ذهبت إلى غرفتها ونامت مكان نومه، حاولت أن تشم رائحته فيها لكنها أيضا لم تشم غير رائحة الوداع.. كل شيء قد فقد جماله حتى المكان الذي ينام فيه قد فقد رائحة زوجها الطيبة وكأنه لم يكن هنا من قبل.. خفق قلبها كثيرا فأسرعت وفتحت الدولاب وأخرجت قميصه ووضعته على وجهها وهي تبكي فلم تعد تجد زوجها في أي مكان ولا حتى رائحته التي كانت كالمسك بالنسبه لها..

يالها من امرأه تتعطر برائحة زوجها التي تعد اطهر من أي عطر خلق في الوجود! ما هى إلا لحظات حتى ذهبت لتبحث عن الدفتر الأحمر لعلها تجد زوجها فيه بعد أن فقد كل شيء وجوده، وجدت الدفتر ملقى على الأرض بجوار المكان الذي شاهد زوجها آخر مرة.. أخذته وذهبت لتجلس على نفس الكرسي الذى يجلس فيه زوجها أثناء كتابته في الدفتر. فعلت ذلك لعلها تشعر بما كان يشعر به أثناء كتابه ما كان يكتبه!

فتحت الغلاف فوجدت في أول صفحة: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، وبه نستعين وهذا إهداء مني أنا، من أجمل أزهار الأرض "ياسمين" للأميرة أميرة)!

انتابها شيء عندما قرأت هذا.. لا تعرف ما هو هذا الإحساس بالضبط.. قلبت الصفحة لتقرأ:

في زمن ما كان هناك قائد عظيم يكره أن يخسر معركة أو يخسر جندا من جنوده.. يعاملهم كإخوته وليس رجالا تحت قيادته، قائد صغير السن لم يتعدى العشرين لكن عقله وقلبه ينمّ عن أنّه إنسان حكيم.. أثناء فتح أسوار إحدى المدن واجهته مشكلات عاتية؛ الطقس الذي كان يجمّد الدم في العروق من شدة البرد، وصعوبة أسوار المدينة.. لكن رغم هذا لم يطأطئ رأسه لهذه الظروف.. جمع جيوشه وخطب فيهم وهو يتقدّمهم بفرَسه.. نظر إليهم وقال بصوتٍ رجوليّ نشط:

أيها الرجال، لا، لن أقول (رجال)؛ بل أيّها الأسود.. هذا هو يومكم وهذه هي فريستكم فلا تخشوها، واعلموا أنه مهما كان الغزال سريعا فإنها مصيرها وليمة لفم الأسد.. فلا تجعلوا الخوف يرى لقلوبكم طريقًا بل اجعلوا الخوف يخاف أن يراكم في طريقه.

وسل السيف من غمده واتجه بنظره نحو أسوار المدينة وقال: إلى مستقبلكم ومستقبل أمتكم سيروا يا أسود، ويرعانا الإله.. سل كل فارس وراجل سيفه وبصوت واحد: (إلى النصر).. اتجهوا إلى المدينة التي وقف فريق من جيشها خارج الأسوار ليدافعوا عنها ودامت حربا طاحنة راح ضحيتها الكثير، لكن رغم هذا خسر الملك الشاب الحربَ ورجع بعددٍ قليلٍ من الجنود منهم المصاب، ومنهم القتيل، ومنهم من وقع في يد أعدائه أسيرًا وكان مصيرهم أن علقوا من أقدامهم وهم أحياء على أسوار المدينة ثم جاؤوا بزيت وسكبوه على هؤلاء الجنود وأحرقوهم أحياء.. صراخهم من شده الألم جعل الخوف يأتي مثل العاصفة في قلوب جنود الملك الشاب الذي ظهر على وجوههم وعلى أعينهم دموع الخوف، حتى إن الملك الشاب انتابه الخوف ودخل إلى خيمته وأجهش بالبكاء الشديد مثل الطفل الصغير فكل صرخة من هؤلاء الجنود كانت مثل طعنة سيف في قلبه...

حاول أن يصرخ لكنه خاف أن يسمع صراخَه الجنودُ فيدخل الخوف إلى قلوبهم اكثر، وفي لحظه ضعفه هذه كان يحاول أن يكون حكيما كما وعد أباه الذي ينتظره في المدينة على أحرّ من الجمر ليرى ويسمع خبر خضوع هذه المدينة تحت يده جراء ما فعلوه في قافلة التجار الملكية.. لم يعلم الملك الشاب ماذا يفعل سوى أن أحضر مستشاريه الذين يتمنون الخسارة للملك الشاب حتى يثبتوا عدم جدارته بالحكم ويعلنوا سيطرتهم

على الحكم ولكنه لم يعلم ذلك إلا عندما استشارهم ماذا أفعل؟! أرشدوني بآرائكم.. فكان رأيهم أن يستسلم وأن يقبع تحت حكم الهزيمة ويستعوض الإله فيما قتلوا من الجنود وما فقده من قافلة التجار الملكية ولكن...

إلى هنا انتهت القصة.. تعجبت دعاء أنها لم ترهذه الصفحات عندما فتحت الدفتر أول مرة.. لقد نقلتها هذه القصة لعالم آخر.. أرادت أن تعلم نهايتَها لكنها انتهت عند هذا الحد.. قلبت الصفحات لكنها وجدت عدة صفحات فارغة وبعدها صفحة مطوية، ومن هنا قرأت: لن أنساكِ أبدا يا أميرة! فهذه أول ما سقطت عيناها عليها عندما فتحت الدفتر في بدايه الأمر.. لقد انتقلت من عالم تاريخ وحروب إلى عالم أعاد النبض السريع لقلبها مرة أخرى خوفا من المجهول!

قلبت الصفحة وقرأت:

هناك أشخاص تراهم دائمًا أمام عينيك لكن عندما تقع في الحب معهم فأنت تراهم كل يوم كأنه أول يوم تراهم فيه!

تدخل بخطوات ثابتة لا يحمل وجهها الذي يزيده الحجاب استدارة كالقمر ملامح لأي مشاعر، ترتدي جاكت بني اللون طويلا يصل إلى ركبتها، وبنطالًا أسود، فيظهران قامتها القصيرة التي تزيدها جمالا وأنوثة على أنوثتها فلا تخفيه بالكعوب العالية مثل باقي الفتيات اللاتي يتفنن في ارتداء الكعوب العجيبة... لطيفة مهذبة تجلس في مكانها المعتاد، لا تتحدث مع أحد ولم تصاحب أحدا في هذا المكان الذي تعتبره ذا قدسية والصرح الأعظم للعلم؛ إنها الجامعة.. (غبية) من وجهة نظرها لها قدسية في كل شيء.. في اللبس والكلام والعقلية.. في نظرها هي مكان مخصص لأصحاب العقول الراقية التي تهوى العلم ويأتي إليها العديد من شرق البلاد ليتلقي العلم فيها.. أفلا تعتبرها قدس أقداس، ومكانا محرما على أصحاب العقول الخاوية التي لا تهوى سوى اللعب واللهو والسمر في أشياء تضر لا تنفع (حالمة).

تجلس في مكانها المعتاد، لا يجرؤ أحد على الجلوس فيه.. الكل يتهامس حولها فهي بالنسبه لهم الفتاة الغامضة صاحبة الوجه الذي يشبه الورقة الناصعة الذي لا يعرف طريق الميك أب، وعيناها الواسعتين البنيتان المرسومتان بالكحل الأسود النائم بين جفنيها فيزيدها بريقًا وجمالًا على جمالها، تضع كشكول المحاضرة أمامها وبجوارها حقيبتها حتى لا يجلس أحد، فترى مجموعة من الفتيات والفتية يتسامرون ويضحكون ضحكات تضايقها.. تنظر لهم في استحقار.. تربع يدها وترجع بظهرها للخلف في حالة استرخاءٍ بانتظار المحاضره.

يهتم لأمرها هذا الشاب الذي يجلس خلفها مباشرةً لا يغفل نظره عنها من بداية دخولها إلى ان تجلس مكانها.. يحتار في نظرات عينيها التي إذا نظرت بها لأحد فيشعر أنها نهايته من لهيب نظراتها التي يصفها بنظرات الصقر الصائبة.. فتاة مليئة بالأنوثة تحمل نظرات صقر.. يا له من وصفٍ مخجل لهذه العيون التي ترشق الأحبة بسهام حبه.. فيرتد قتيلا تحت أقدامها... يخاف أن تغفل عيناه عنها.. يترقب حركاتها كأنه ينظر إالى فيلم سينمائي يخشى أن تفوته لقطة من لقطاته التي يتشوق لمعرفتها... فهو رغم وسامته التي تنجذب إليها الفتيات إلا أنه لم يحرك قدر أنملة في مشاعرها أو تعير أي اهتمام له.. شاب طويل عريض المنكبين حسن المنظر تخفي نظارته عينين بنيتين واسعتين، لا يسترسل لحيته لحساسية وجهه الأبيض الطويل بعض الشيء.. إنما يكتفي بشارب خفيف يزيده وسامة، يرتدي قميصًا وبنطالًا، يفضل دائما القميص خارجا لتزيد أناقته إلا أن هذا كله لا شيء بنظرها، ينسى من حوله كأن ليس هناك إلا هي وهو فقط.. يفاجئه صوت مازحا:

هي شغلاك أوى كدا؟

هي مين... آه.. أوي.

طب متعمل حاجة، بدل ما انت قاعد كدا زي المسكين.

يعني اعمل إيه؟

كلمها...

إنت اتجننت؟ دا المدرج بجلالة قدره.. بنات واولاد بيخافو يكلموها.

ليه يا ابني؟... دراكولا؟!

لا... بس نظرات عنها تقول انها صعبة كدا ومفترية.. بس كل دا قناع نظرات مستعارة وراه شيء جميل أكيد.

إنت يظهر قراءة الروايات أثرت على مخك.

مش فاهم.. تقصد إيه؟

(بسخرية): نظرات مستعارة وراها شيء جميل... يا عم اصحى.. البنت من دول بتعمل كدا عشان تجيب خروف كويس.. أقصد عريس كويس.. يمتنعن وهن الراغبات يعني..

يا عم اتنيّل.. دي غيرهم كلهم أنا متأكّد.. دا انت أفكارك منيلة وقال إيه اسمك نبيل...

طب إيه رايك نناغشها؟

رفع حاجبه باستغراب.. فهم نبيل بتوه أنه لا يفهم قصده.. فبادره قائلا:

ايه يا صاحبي.. إنت كل مرة تيجي تقعد لوحدك من غير ما تكلم حد ولا تصاحب حد؟ طب ما تيجي كدا واقعد معايا ناخد في الكلام سوا.. مكتفي بنفسك مكانك لا سلام ولا كلام مع حد.. وبعدين تمشي.. بتحسسني إنّك مش من مستوانا!

تعلم أن الكلام لها.. صوتهما قريب من أذنها جدا.. تعمد أن تسمعه لكنها صماء الآذان، مية المشاعر لا تتأثر بما يقال.. ينظر حسام لنبيل ويشير إليه.. ليس هناك تأثير.. فجأةً يدخل دكتور المحاضرة، تنسى عالمها وتنصت للمحاضرة.. تنغمس في عزلة ليس بها سوى هي وما تكتبه، وبعد انتهاء المحاضرة تنصرف كعادتها لا تعود إلا قبل ميعاد المحاضرة الأخرى بدقائق كأنها تحسب خطوات محاضريها.. ينتهي اليوم ويذهب الجميع لعالمه!

عندما تزداد ذكريات الماضي بقلوبنا تحملها الدموع
وتخرج بها بعيدًا لعلها تخفف أوجاعنا
لكنها لا تزيدنا إلا ألمًا!

(٢)

تصعد السلم في انهماك وتعب فقد كان يوما طويلا مليئا بالمحاضرات.. تمسك بطرابزين السلم ليساعدها على الصعود.. تدخل غرفتها.. تلقي دفترها وحقيبتها أرضًا، وعلى السرير تلقي بنفسها في أحضانه.. تتحسسه كأنّه حبيب اشتاقت إليه في يوم شاقٍ قائلةً:

وحشتني.. طول الطريق بفكّر فيك.. كان نفسي أغمّض عيني وافْتحها ألاقيني هنا؛ مفيش أحلى من السرير في يوم مرهق زي دا.. تنظر لسقف الغرفة: أكيد كان كلامه موجّه ليّه، مفيش حد بيقعد وميتكلمش مع حد غيري.. غبي؛ كان مفكّر إني هلفّ وشّي وأردّ عليه.. بس كدا أفضل... تغمض عينها وتتنهد تنهيدةً عميقةً، وفي لحظات تنزل الدموع التي لا يمنعها شيء من الخروج لتفضح ما بالقلوب من الآلام.. لا تعلم لماذا... لماذا هذه الدموع ؟! ربما على ما وصلت إليه ولا تستطيع نسيانه أو تغييره بين ليلةٍ وضحاها!

يرنّ في أذنها: (ستكونين لي إلى الأبد)، فجأةً يدق باب غرفتها.. فتنتفض من مكانها، تمسح دموعها، تتظاهر بتغيير ملابسها خشية أن تكون أمها فتلاحظ شيئا وتحزن على حزنها.. فإنك إذا بحثت عن شخص بهذه الحياة يحزن على حزنك ويفرح لفرحك ويحبك أكثر من نفسه ونفسك فهي أمك.. لكنها أختها غادة التي تصغرها بعدة سنوات، تدرس في كلية الهندسة لكنها أكثر قربا لأميرة وأكثر فهما لمشاعرها.. فإذا كانت الأخت الكبرى هي الأم فالأخت الصغرى على الرغم من أنها مخابرات المنزل لكنها ملجأ الأسرار لأختها الكبرى..

تدخل قائلة: إنت لسه مغيرتيش؟ يلّا.. الغدا جاهز.

- إتغدوا إنتم عمّا أغير هدومي.

- نتغدى.. مين؟ مفيش غير أنا وانت.. بابا اتغدى ونزل الشغل في المحل، وأحمد نايم، ومستنياك عشان نتغدى مع بعض.

- عنيك مدمعة ليه؟!

- دموع! دا إرهاق من السهر طول الليل.

- متخبّيش عليه.. أنا أختك وأكترواحدة عارفاك.

- إنت شيفاني بعيّط دلوقتى؟

- لا، بس عنيكي كشفاكي ومدمعة ومتقوليش إرهاق عشان مبحبش الكذب..

صمتت برهةً وقالت: إنت لسه فاكرة؟

تجلس أميرة على السرير.. وجهها للأرض وتقول:

النسيان مش بييجي بالساهل!

- كل جرح بياخد وقته ويتنسى، بس انت بشكلك دا عمرك ما هتنسي.

- اللي فيه الخير يقدمه ربنا.. يلّا بقه.. إنت مش هتغديني ولّا إيه؟

- هغدّيك طبعا يا ست البنات.. هيا بنا إلى السفرة.

تخرج من منزلها مسرعة.. تتأخر عن محاضرتها، تمضي في نفس الطريق التي اعتادت أن تمضي فيه وبطريقةٍ غير مباشرةٍ تنظر لمكان كان يجمع بينهما.. تذهب بخيالها لحظاتٍ.. لم ترغب في تذكر شيء ولم ترغب في شيء سوى النظر إلى هذا المكان فقط.. انتبهت أنّها تأخرت فأسرعت بالرحيل.

- هي اتأخرت ليه كدا؟

- اهدأ يا حسام.. مش كدا.. صحتك.

- أول مرة تتأخر عن معادها.. اتأخرت عشر دقايق.

- روّق.. على فكرة أنا سألت عنها ناس هنا ومحدّش عارف عنها حاجة.. معرفتهم لها زي معرفتنا بالضبط.

- إنت سألت؟

- آه طبعا.. أمال أسيبك كدا متحيّر ومش مركّز فى محاضراتك بسببها، ولما تضيع أاعمل إيه أنا؟ ما انت عارف إن مفيش غيرك بغشّ منه في الامتحان، ولو انت محلّتش في الامتحان أنا هسقط..

- يخرب بيتك.. إنت هتسيّح.. اخرس خالص.. ياه كتير أوي.

- هو إيه اللي كتير؛ ال ١٠ دقائق؟!

- صبرني يا رب.. ينظر إليه حسام في غيظ.

- أهي جات.

تجلس كعادتها.. ينظر إليها في تمعن شديد كأنه لم يرها من قبل.. حورية أمام عينيه.. أجمل فتاة تراها عيناه.. شيء ما بداخله يتحرّك بلقياها لا يعرف ما هو.. هل هو الحب؟! أم غموضها الذي يتوّجها جمالا على جمالها أم ماذا؟! لا يجد تفسيرا لهذا السحر سوى أنّه لا يمرّ يومٌ دون أن يفكر فيها أو يراها.. هذا الشيء الذي بداخله يجعله يندفع إليها.. يحدثها.. يخطفها من بين الناس ليلتقي بها بعيدًا عن أعين الناس، ينطلق بها بعيدًا ويسبح في مشاعره ناحيتها فينطق لسانه دون وعي: قصاد عيني في كل مكان..

فجأةً صوت نبيل:

هي إيه دي؟ حبيبتك؟!

في سخرية: لا، النظارة يا فالح.

فجأةً يدخل الدكتور؛ ينتبه الجميع ما عدا هو؛ يراقبها ماذا تفعل، كيف تكتب، وإلامَ تنظر.. يرى في عينيها ما تحب أن تشاهد وما تكره.. ما الذي يلفت انتباهها وما الذي تتجاهله.. يراقب يدَها كيف تكتب وتقلّب الصفحات، وتنظر للدكتور في تمعن.. تفهم ما يقول وتدوّن بدقةٍ شديدةٍ ثم ينتبه لصوت الدكتور.. يقول:

المرة الجاية.. كل اتنين أو أربعة منكم يعملوا جروب صغير ويعملوا أسطوانة فيها عرض للكتاب بصورةٍ كويس..ة والفريق الأفضل في العرض على الأسطوانة هيكون له الأفضليه في الدرجات.

ترفع يدها لتسأل:

هو ممكن أعمل الأسطوانه لوحدي؟

الدكتور: أنا كلامي واضح يا آنسة.. اسمك إيه؟

- أميرة.

- اتفضلي اقعدي.. ثم اتجه للجميع قائلا: أنا كلامي واضح يا جماعة.. عشان لو حد عنده نفس سؤال زميلتكم أميرة.. محدش يشتغل لوحده... اعملوا جروب زي ما

قلت؛ في الاتحاد قوة.. لازم تتعلموا التعاون مع بعض و-إن شاء الله- الشغل نشوفه الأسبوع الجاي لا، اللي وراه.. سلام عليكم..

لأول مرةٍ يسمع صوتها الجميل المليء بالأنوثة ويسحر قلبه العاشق.. أميرة وهي بالفعل أميرة قد سرقت قلب هذا الهائم بالحب.. أميرة سرقت منه عقله وتفكيره.. وبعينيه لا ينظر إلا ويراها في كل مكان، أميرة.. سمع صوتها كالألحان التي تسحر القلوب وتخطف الأنفاس لما هو أجمل.. لما هو أندر إحساس.. إحساس الحب الصادق النادر وجوده في عالم المصالح والخيانة!

تنظر حولها.. لا أحد يعطي لها اهتماما.. الكل يبحث عن شريك وكذلك هي.. فتتلاقى أعينهما.. ينظر إليها في تردد.. هل يسألها أن تشترك معه أو ماذا؟ أيغتنم الفرصة قبل الضياع أو يتركها لبعض الوقت؟

إن الخوف يملؤه أكثر من الحماس.. الخوف بالرفض التام.. تجمع أغراضها لتذهب فيلحق بها لكنها ضاعت منه في حشود الخارجين من المحاضرة.. يخرج من الحشود بأعجوبه يبحث عنها.. لا يجدها كأنها فص ملح وذاب؛ فيدب اليأس فيه على ضياع هذه الفرصه التي أدرك أنّها من النادر أن تعود ثانية مع هذه الفتاة.

يأس يحيط بروحها.. إحساس الوحدة يغمرها في هذا العالم رغم المحيطين بها من ملايين الناس.. تشعر بالغربة في وطن سكن قلبها ووطن تسكن فيه بجسدها بدون قصد فقد تجد نفسها تنظر إليه.. إنه مكان قد جمعهما معا لكنه الآن ليس لها.. إنه لشاب وفتاة آخرين يجلسان مكانهما، ينظران لبعضهما كما كانا يفعلان.. يضحكان، يتلامسان.. نفس النظرة والشوق بهما كنظرات الشوق واللهفة التي كانت بها.. خافت أن يراها هذان العاشقان اللذان أخذا مكانها في بدايه لعشق جديد يكتب قصته على نفس المكان فنظرت للأرض وانطلقت.. تحاول كبتَ دموعها التي تعافر للخروج.. يئن قلبها عندما تتذكره يقول: (هتفضلي أجمل حاجة حصلت في حياتي!).

هل صدق في قوله -يا ترى- أنها أجمل شيء؟! تمضي في طريق مشيا فيه معا من قبل..

تتذكر هذه النظرة في عينيه وهو ممسك بيدها جالسين على الكورنيش.. تجلس في شرود مع نظرات النيل اللامعة بأشعة الشمس المغربية الصافية.. يجلس بجوارها ينظر إليها.. يدقق في ملامح وجهها وهي لا تلاحظه.. ينظر لشرودها عنه وخيالها.. فيمَ تفكر وماذا تشعر الآن؟!

هذا أكثر منظر تعشقه.. يقطع عليها خلوتها بفكرها فيتمسك يدها ويسرق قبلةً فيضطرب قلبها.. تنظر له في اندهاش وينظر إليها في عشق وحنين ثم يضع يدها في كفيه قائلا:

هاا!.. كنت سرحانة في إيه؟

- ولا حاجة..

- كدابة.. وباين في عنيك.

- للدرجة دي.

- طبعا.. واللي يأكد كدبك عينك المطفية اللي مبتلمعش بالحقيقة..

- هه.. كمان عيني بتلمع!

- آه طبعا.. بتلمع بلون الحب اللي ميعرفوش إلا اللي يعشقك.. العين مرآة القلب..

ثم يصمت برهة قائلا:

ها.. مش هتقولي كنت سرحانة في إيه؟

- خايفة.

- من إيه؟!

- من اللي جاي.

- اللي هو إيه بالضبط؟

- خايفة ليبجي يوم أفتح عيني ملقكش جنبي.

- هموت يعني..

في غضب وتقول: أعوذ بالله.

يضحك: هو دا التفسير لكلامك..

- لا، طبعا مش قصدي كدا.

- خايفة من إيه؟

- من الفراق..

- أنا عمري ما هسيبك أو أستغنى عنك..

- إنت بتقول كلام والزمن بينفذ العكس.

- يعني إيه؟

- يعني أنا مش شايفة حياتي مع حد غيرك.. الحياة ملهاش طعم من غير وجودك جنبي فيها.. حياتي تبقى موت بنفس بيدخل ويخرج في جسد قلبه مات ومشاعره انتهت في التراب لو فكرت في يوم تبعد عني.

- متخافيش.. أنا عمري ما هسيبك ولا هبعد عنك، إنت كل حياتي.. لا، حياتي دي تبقى إنت.

- ربنا يخلينا لبعض وميحرمناش من بعض أبدا.

- آمين.

- يّلا افردي وشك دا.. خليني آخدلك كام صورة.

- لا.. مليش نفس.

- يا بنتي افردي بوزك والتكشيرة دي.. عاوز آخد صورة أحطّها خلفية للموبيل زي ما انت عامله صورتي خلفية لموبيلك.. يشمعنى إنت يعني؟!

- عشان بحبك.

- إيه، إيه، إيه... سمعيني تاني كدا.

- أسمّعك إيه؟!

- إحنا هنستهبل بقه.. الكلمة اللي انت قلتيها.

- هي إيه دي؟

- بحبك.

- وانا كمان.

- لا بجد..

- لا، هزار.. هو انت تتحب أصلا يا عم.. روح شوف نفسك في المرايا.

- والله أنا اللي أستاهل الضرب إني حبيتك وبعشقك وبعشق التراب اللي بتدوسي عليه.

- أخيراااا قلت كلام حلو.. هو لازم نقول كلمتين في العضم عشان نسمع كلمتين من القلب.

- هههه... إنت جننتيني والله.. بس بجد، بجد، أنا بموت فيكي وبحبك أوي.

- وانا كمان.

- أنا بدعي ربنا إنّه يقدّرني واقدر أسعدك.. هخليكي أسعد إنسانة في الدنيا.. (يمسك يدها ويقبلها) تنظر إليه في عشق بابتسامة تمحو كل ما مضى في حياتها وتنسيها العالم الذي تعيش به..

(تعود للواقع)!

تنظر إلى الأرض خافتة رأسها في حزن شديد.. يا لها من أماكن.. إلا في شيء واحد.. أنها تذكرنا بأشخاص قد ضاعت أيامنا وأحلامنا وسرقوا قلوبنا معهم ورحلوا بعيدا بعيدا إلى أرض ليس لها طريق للوصول إليها.. إلى أرض المجروحين الذين تؤخذ قلوبهم من أعمافهم باسم الحب وتتركها هناك وحيدة حزينة حتى تموت في مشاعرها أو تموت قلوبهم ويصبحون مثل البيت المهجور لا ينبض بالحياة ولا يتجرأ أحد على الدخول إليه.. ليس به سوى أطلال... أطلال الماضي التي لا تزيده سوى ألم وحزن على ما مضى من الأحلام الوردية.. فجأةً صوت راجل يبيع لبّ: لبّ يا أبلة... لب يا أستاذة؟

- هاتلي اتنين.

- اتفضلي يا أستاذة.

أخذت القرطاسين وما يزال نظرها على البائع.. نظرت إليه بابتسامة خافتة فيها نوعٌ من السخرية ثم قالت لنفسها:

كنا هنا.. تمام، نفس البائع، نفس الكلام، نفس الأسلوب بس مش نفس الإحساس.. اعتدلت في جلستها وأسندت ظهرها.. حاولت أن تلمس السور بقدمها لكن قصر قامتها حال دون ذلك فابتسمت وضعت قرطاس لب بجانبها ثم فتحت الآخر.. أخذت منه حبتين ثم شاحت بنظرها للنيل في استرخاء... (وعادت لتذكر الماضي).

- عايزة لب؟

- يا ريت.

- يا عم الحاج، قرطاسين لو سمحت.

- اتفضل يا باشا.

- ها يا ستي اللب أهوه عشان تعرفي مش مخلي نفسك في حاجة.

- على أساس إنه لبن العصفور!

- ولو لبن العصفور ميغلاش عليك.

نظرت لبائع اللب، ثم فتحت القرطاس، وأخذت حبيتين ونظرت مرة أخرى إليه: إيه.. بتبصي على إيه؟

- على العم بيّاع اللب.. بيقولك يا باشا رغم سنك.. جايز في سن أحفاده.

- عادى يعني.. احترام، وبعدين دا أكل عيشه.

- الزمن دا لما تلاقي واحد قد أبوك أو جدك بيقولك يا باشا أو يا بيه يبقى مش عشان أكل عيشه.. دا عشان فقير.

- أنا بكون أسعد إنسان في الدنيا لما بكون معاكي.. الواحد بيتعلم منك كتير... آه على فكرة.. أنا هغيب عنك كام يوم عشان مسافر.

- مسافرفين، خير؟

- رايح أجيب العفش بتاعنا من دمياط.

- وهتغيب قد إيه؟

- الله أعلم، لما أشوف عفش كويس.. بس محتمل أسبوع لأن هقضي كام يوم مع اصحابي واخلّص كام حاجة هناك..

- أسبوع بحاله مش هشوفك.

- آه.. تصدقي.. بس ما تخافيش.. كل يوم هكلمك أطّمن عليكي.

- المرة اللي فاتت إنت سافرت وغبت أسبوعين وكل ما أكلمك ألاقيك مشغول.. لما كنت بقلق عليك وقولتلي شغل.

- غصب عني.

- تعرف في الوقت دا أنا كنت بعمل إيه؟

- إيه؟

- كل يوم أعدّي على المكان هنا وأنا جاية من بعيد ألمح واحد قاعد مكانك فأعتقد إنه هو إنت.. ولما أقرّب ألاقيه حد تاني فأفتكر إنك مسافر.. أعدي على كل مكان كنّا فيه واقعد فيه عشان أحس بوجودك جنبي وأشتري قرطاسين لبّ.. كنت أزأز واحد واحط التاني جنبي على أمل ألاقيك جاي من ورايا وبتاخد القرطاس وقاعد جنبي.. لكن طبعا كنت بمشي واخد القرطاس معايا وأنا وداني مدلدله إنك لسه مجتش.. يبتسم لها ويضع يدها على قلبه قائلا:

- هنا مكانك.. كل يوم بتخطفي حتة منه تكون ملكك لدرجة إنّه مش هيبقى حتة في قلبي ملك لحد غيرك انت.. إنت ملكة متربعة على عرش قلبي.. أحيانا بحس إنّ اللي جوّه ضلوعي دا مش قلبي لا دا قلبك انتي.. ويضع على يدها قبلة!

فجأةً.. صوت بائع اللبّ يعيدها للواقع مرة أخرى.. تنظر جانبها فتجد عاشقين يأخذان من الحبّ ما أخذت هي من نفس المكان ونفس الدعوة من نفس البائع.. نظرتْ للنيل.. أخذت قرطاس لبّ وتركت الآخر مكانه بنظرة حزينة كأنّه شخص تتركه أو تهجره.. وضعت يدها في جيوب الجاكت ثم مضت هاربة بخطوات سريعة خوفا أن ينادي عليها أحد ليعطيها ما تركت.. إنها لم تترك قرطاسا ومكانا بل تركت شخصا لم تعد تنتظره مرة أخرى.

في المساء

يجلس حسام مع أصحابه شلة الأنس.. مجموعة فتية يسهرون طوال الليل وينامون بالنهار، لا يشعرون بما يدور حولهم.. يبدون كمنحرفين وكل منهم كزير فتيات.. شياطين ضاحكة يتحدثون عن الفتيات، كل منهم لديه فتاة يلعب بمشاعرها ويوقعها في غرامه وفي النهاية يذهب ليحكي عنها لأصدقائه... فأين الرجوله؟!

يجعلوهن متعلقات بهن وعندما يتحول الأمر إلى الجدية.. يهرب كل منهم بعيـــــدا ويترك ضحيته... فتاة أحبته بصدق.. تغرق في بحر الحزن؛ حزن الحبّ الزائف الذي يُفقدها إحساس الأمان لأي شاب آخر مهما كان!

يقول أحدهم:

أنا كنت اعرف حتة بت يا نهار... صاروخ.

- وعملت معاها إيه؟

- زي أي واحدة.. إدتها الصابونة.

- يا أخي حرام عليك.

- حرام إيه يا جدع.. هي كانت حبيبتي ولا حتى خطيبتي؟

يقول الآخر: مش دي البت اللي كنت بترسم عليها الحب وسبتها؟

- آه.. إنت فاكرها؟ بس أنا عوّضتها..

- إزّاي يعني؟

- اتعرفت على بنت من شهرين كدا عملت لها البحر طحينة يا باشا، هههههههههههه.

- الضحية الجديدة.. هههههههههه.

- ضحايا مين يا عم هما اللي بيعملوا في نفسهم كدا.

استنكر حسام هذا الكلام، وقال بصوت فيه جدية وغضب: إزاي بقه يا كابتن؟

- أقول لك (يعتدل في جلسته) يعني البنت من دول بتكلم ولد متعرفوش وتسمح له إنه يقولها كلام حب أو إعجاب، وهي ما تصدق تلاقي حد يقول لها أنا معجب أو بحب

وتقوم تحبه وتفضل ترسم بقه في الأحلام الوردية.. تبقى هي اللي غلطانة أصلا لأنّها سمحت لشاب يكلمها.. فهمت يا حسام باشا؟

- لا، ما فهمتش... بس احبّ اقول لك حاجة: مش كل بنت بتكلم شاب تبقى مش محترمة.. مش كل بنت أعجبت بزميل ليها ورضيت بيه في الحلال تبقى مش محترمة.. مش كل بنت صدقت واحد قال لها بحبك أو معجب بيكي وآمنت بكلامه كراجل تبقى مش محترمة.. مش كل بنت رسمت أحلام وردية مع الشاب اللي بتحبه تبقى مش محترمة.. مش كل بنت بتحبّ حبّ حلال غرضه إنها يضلل عليها سقف بيت واحد مع اللي بتحبّه تبقى مش محترمة... لا، لا، لا!

- أمال تبقى إيه.... محترمة ولكن؟! (يضحك بسخرية).

- تبقى انخدعت في واحد اعتقدت في يوم إنّه راجل زي الرجالة اللي بيصدقوا في كلامهم ويحترم كل كلمة بيقولها.. مهو مش كل واحد شايف نفسه صاحب مكانة ومركز وهيئة.. طول وعرض وكاجوال يبقى راجل.. لا... الراجل هو اللي يقول كلمة يكون قدّها، الراجل اللي يحمي بنت عرف إنها بتحبّه ويتمسك بيها... الراجل هو اللي يحب بنت وتحبه ويروح لابوها يخطبها ويتجوزها ويبنوا بيت في الحلال.. هو دا بس الراجل، وبعدين كل شيء سلف ودين؛ يعني اللي بتعمله في بنات الناس هيتعمل في اختك..

(في استهتار): أنا ما ليش اخوات بنات يا برنس!

أجاب في صوتٍ غاضبا جدا حتى احمرّ وجهك: هيتعمل في بنتك -إن شاء الله-.. وهمّ بالانصراف.

وقف نبيل من مكانه: إيه يا حسام؟ ايه يا جماعة.. اهدوا شوية.. احنا بنهزر بس.

في غضب: كلام زي دا ما فيهوش هزار.

- أنا آسف يا حسام مش هجيب السيرة دي تاني.

نبيل يمسك حسام من ذراعه: استهدا بالله واقعد شوية.

- لا، أنا همشي.. حاسس إني تعبان شوية.

في خوف: حسام، إنت كويس.. آجي أوصّلك؟

- لا، أنا هبقى كويس.. أنا آسف يا جماعة إني اتنرفزت.. سامحوني.. سلام عليكم.

يذهب ونظرات صديقه تتردد إليه... في قلق يجلس مكان حسام قائلا:
متخدوش على خاطركم منه.
- لا.. أبدا، حسام أخونا كلنا وعنده حق.. بس انا عندي لكم حتة مفاجأة..
اجتمع الكل حوله، من بينهم نبيل الشغوف بكل ما هو خفي عن الآخرين.. يعلم أنه كان معهم بجسده فقط لكن عقله في تلك التي سرقت قلبه واحتار في غموضها.. يسأل نفسه: يا ترى هل يحبها فعلا؟ أم أنها مجرد مشاعر فقط؟ لكنه لم يشعر بمثل هذا الإحساس لأي فتاةٍ من المحيطين به من قبل.. هل ستقبل به حبيبا أو أنها ستهرب منه.. هل سينجح في الحديث معها والوصول لقلبها أو أنه شيء مستحيل؟ ولكن من هي؟ ينظر للشوارع والمنازل ويسأل نفسه: أين تسكن؟ هل في هذا الشارع الذي يمر بجانبه أم بالشارع المقابل أم في هذا المنزل أم في هذا، أم أنها لا تسكن ف يأي مكان سوى قلبه الذي يبحث عنها في السائرين لعله يجدها بينهم صدفة؟ لكن.. كفى.. كفى يا عقلي تفكيرا واترك الأمر لصاحب التدبير.. يتنهّد تنهيدة قوية ترك فيها أمره لله!
يخرج مفتاحه من جيبه وهمّ بفتح الباب فوجد أخته تفتح له وتقول في عتاب: ما كان بدري يا بيه..
رافع حاجبيه: امشي يا بنت من هنا.
يجلس لخلع جذائه فتقف أمامه ويدها في خصرها تكلمه في تكبر:
اتاخرت ليه يا عم انت.. انطق، اعترف؛ اسمها إيه، وساكنة فين، وبنت مين...
قاطعها:
إيه، إيه؟ حيلك.. أنا كنت مع نبيل مش مع حد تاني، ارتاحي.
- ما هي دي المشكلة.. مفيش واحدة أصلا.. ما تسلفني نبيل صاحبك دا وروح اتعرف على نبيلة.
- انت عندك كام سنة؟
- ليه الأسئلة اللي تجيب التهزيء لأصحابها دي؟
- أصل كلامك زي ماما بالضبط؛ طول الوقت بتقولّي: بصّي حواليك هتلاقي اللي بتحبك وواقفة من بعيد وعينها عليك.

- ماما نفسها تفرح بيك و...

قاطعها قائلا:

ندى، أنا داخل آخد دش وانام عشان تعبان.

- تعبان.. ما لك؟

- شوية هبوط بس..

- إنت لازم تروح لعمو رفعت يدّيك كلمتين لإهمالك دا.

- إهمال إيه بس؟

- آه.. إهمال... فين علاجك؟ مش هو قالّك لازم تخلّي الحبوب معاك وفي جيبك على طول.. تسمح تقولّي هي فين دلوقتي؟!

- خلاص.. ما تتعبنيش بالكلام الله يخليكي.. ندى... ندى.

تنظر إليه بنظرةٍ ساخرةٍ: إيه.. عايز إيه؟

- بلاش تقولي لماما، ماشي؟

مدّت له يدها.. فَهِمَ قصدها؛ إنها تريد ثمن سكوتها.. فنظر لها في غضب وعضّ على شفتيه وأخرج من جيبه عشرة جنيهات وأعطاها لها.. نظرت إلى النقود في سخريةٍ ثم مسكتها بطرف أصبعها قائلة:

بس إيه دا؟! لا طبعا ما ينفعش.. هات هشرين!

- كام؟!

- هشرين جنيه.. ايه هشرين.. ما تعرفش يعني إيه هشرين؟!

- آاااااه.. مش هشرين دي تبقى عشرين.. صح؟

- آه طبعا..

- امشي يا بتّ من هنا ولّا اقولّك.. تعالي هاتي بقه الهشرة دي يعني وخدي الهمسة دي..

فرحت قائلة: همسة.. يعني خمسين.

- لا يا روحي.. يعني خمسة جنيه، امشي يا بنت من هنا يلّا، ذهبت وهي تتمتم فنظرت في يدها فوجدتها عشرين جنيها فنظرت إليه في خباثةٍ ويدها في خصرها: هو لازم نهدّد يعني؟!

همَّ بالنهوض خلفها...

- طب هاتيها وروحي قولي لماما أحسن.. هربت لغرفتها وأغلقت على نفسِها الباب فارتسمت على وجهه ابتسامة رقيقة.. وأخذ الدش المعتبر ثم ذهب لسريره.. وضع يديه خلف رأسه وعيناه للسقف قائلا لنفسه:

- بطّل تفكّر عشان تعرف تنام.. سلّم أمرك لله وكله هيبقى تمام.. أنا نفسي أحلم بيها... نام يا حسام.. إنت اتهبلت؟ مش لمّا تعرف هي شعورها هيبقى إيه.. دا انت يا عم مش عارف حتى تكلمها.. طب أنا بقه لازم أكلمها بكرة واللي يحصل يحصل.. عشان أخلص من وجع القلب دا بقه.. منا كدا لا طايل سما ولا أرض.. حرام عليك نفسك وقلبك.. أغمض عينيه وظهرت عليها علامات الحزن وقال: قلبك، قلبك، هو دا... إيه دا؟ أنا بقيت بكلم نفسي وبردّ عليها كمان.. يا نهار!

نام واللي فيه الخير يقدمه ربنا.. يا رب.. أغمض عينيه وذهب لملكوت الحالمين.

يستيقظ على صوت والده يوقظه بصوت هادئ: حسام.. حسام..

ينهض مزعورا: إيه يا بابا.. خير؟!

- خير يا ابني.. صلاة الفجر يا حبيبي.. يلّا.

- حاضر.

بعدما توضأ وجد والده في الخارج يفرش سجادة الصلاة وعلى كتفه أخرى: ها يا بابا.. مين عليه الدور في الإمام النهارده.. أنا ولا انت؟

- أنا طبعا.. مش كل مرة تاخد مكاني في الإمام.

- هههه.. ماشي يا عم الحاج.. ارجع بقه ورا عشان أنا الإمام النهارده.

- إنت كل مرة تعملها فيّا؟!

- بقولّك إيه.. تيجي ناخد نفسنا وننزل الجامع؟

- ما بلاش يا عم الحاج.. إنت عارف ماما.. من ساعة ما رُحت تصلي وطلع عليك بلطجية وهي بتخاف إنك تنزل.

- ما انت هتبقى معايا.. وبعدين الأعمار بيد الله.. يلّا بينا ننزل ونيجي من غير ما تحس..

- أوك يا عم الحاج.. بس مليش دعوة بيك لو ماما قفشتنا.. يلّا بينا.

- سيب سجادة الصلاة هنا عشان لو صحيت تفتكر اني بصحّيك، وهات مفتاح الشقة واقفل بشويش.

- أنا حاسس إننا حراميه يا بابا.

- يلّا.. يلّا، وبطّل لماضة.

- وجب يا اسطى.

- اسطى! دا آخرة تصليحي في عربيتك ورايا.

يغلق الباب وينزل هو ووالده بهدوء.. يدخلان المسجد ويصطفان وراء الإمام.. ينظر حسام حوله فيجد المسجد شبه خالٍ من المصلّين إن لم يكن خاليا.. بالطبع ينظر والده إلى ما ينظر إليه ابنه فيجد علامات الألم في عيونه على المسجد الشاغر..

- أول مرة اعرف إن المسجد كبير كدا.

- تقصد إيه أوّل مرّة؟

- أنا طول الوقت في الكلية أو في المعرض.. يا إما بصلي في جامع الكلية أو في الجامع اللي قدّام المعرض ولمّا بصلي هنا بصلي يوم الجمعة.. وبلاقي المسجد مليان لآخره لدرجة إن الناس بتصلي في الشارع.. لكن إني ألاقي المسجد فاضي بالشكل دا في صلاة الفجر! دا احنا ما كملناش عشرة بالإمام!

- هو دا حالنا دلوقتي.. أمة نايمة.. ولّا انت إيه رأيك؟

- حاجه من الاتنين.. يا إما طلع عليهم بلطجية زي حالتنا وبيصلوا في البيت يا إما هما فعلا نايمين وهيفضلوا نايمين لحد ما الوقت يفوت.. لو المساجد في صلاة الفجر تبقى

زي صلاة الجمعة هنبقى أمة لا تُهزم أبدا.. مش هيبقى فيه احتلال زي فلسطين أو دم أي عربي سواء مسلم أو مسيحي على أي حبة رمل من وطننا دا أوأي بلد عربي.

- أو نبقى في صلاة الفجر زي صلاة العيد.. وقتها الشعوب هتخاف مننا ولا هنلاقي أمريكا ولا إسرائيل ولا... فجأة تنحنح إمام المسجد لينبههم لإقامة الصلاة ثم نادى لإقامة الصلاة: الله أكبر...

انتهوا من الصلاة: حرمًا يا بابا.

- جمعا... -إن شاء الله-

- يلّا بينا نروح البيت قبل ما ماما تصحي.. يفتح حسام الباب بشويش يدخل وينظر للصالة، لا يجد والدته قد استيقظت.. نادى على والده.

- ادخل يا بابا.. المكان مؤمّن.. هيه، والله احنا زي اللي بيسرق شقة، دخل والده وأغلق الباب بشويش قائلا:

أحلى حاجة إننا نزلنا وماما نايمة لسه.. أما أروح انا أصحيها على أساس إني لسه مخلص صلاة من بدري وهي متأخرة في النوم.. وتعمل لنا الفطار.

- طب انا هعمل اتنين لمون عما تصحيها.

يدخل والده غرفته، وحسام للمطبخ فتسمّر كلا منهما مكانه بعيون متسعه مخضوضة، وقال له والده بصوت خافت:

- حسااام.. حسااام، ماما راحت فين؟.. ماما مش في الأوضة!

- اهيء اهيء.. منا عارف.. مهي قدامي اهيء.. احنا اتقفشنا يا حاج.

ينظر حسام لوالدته التي تقف ويدها في خصرها كابنتها قائلة بصوت غاضب:

كنتم فين بقه؟!

الأب: هنكون فين يعني.. بنصلي الفجر في المسجد.

- إنتم هتموتوني بدري.. ما بتحرّمش.. المرة اللي فاتت طلع عليك بلطجية وكانوا هيموتوك.. تروح تنزل برضه النهارده؟

- يا ماما، ما أنا معاه أهوه.. وبعدين مش هيكون كل يوم بلطجية يعني.

- وبعدين حتى لو حد قتلني وانا رايح أصلي.. ساعتها هكون شهيد وانتي هتبقي أرملة.. هههههه.

- اصطبح يا عبد الخالق.. وقول يا صبح.. فال الله ولا فالك.. أنا عملتلكم الليمون أهوه.. تعطي (حسام) كوبا.. ووالده كوبا.

- يلّا اقعدوا في الصاله عما أحضّر الفطار.. انصرفوا.

- إيه يا ماما.. هو احنا عفاريت؟!

يمسكه والده من ذراعه: اسكت انت.. إحنا ما صدقنا إن الأمور عدّت على خير.. جلس الجميع حول مائدة الفطار...

حسام: هي ندى فين؟

- ندى عندها محاضرات الظهر.. مش هتصحى الوقتي، إنت عندك محاضرات النهار ده؟

- اه الظهر برضه.. بس أنا نازل مع بابا المعرض وبعدين هروح على الكلية.

- خد علاجك معاك.. صحتك مش لعبة في إيدك.

- هي ندى قالت لك.. ماشي، حسابها معايا بعدين.

- لا، ندى ما قالتش.. أنا اللي سمعتكم وانتم بتتكلموا.

- راحت عليا الهشرين جنيه.

- ال إيه؟!

- صحتك مش لعبة يا ابني.. على رأي اللي قال: الصحة تاج فوق رؤوس الأصحّاء فحافظ عليها.. مامتك عندها حق.. الصحة نعمة واللي ما بيحافظش على النعمة اللي في إيده بيتحرم منها.

- حاضر.. هاخد علاجي معايا ولا تزعلوا.. أنا خلّصت، الحمد لله.

- وأنا كمان خلّصت.

- أنا هقوم اجبلك علاجك عما تلبس جزمتك.

أحضرت والدته الدواء ووضعته في جيب قميصه ثم وضعت يدها على ظهره في حنان الأم الدافئ، وقالت: خد بالك من نفسك يا حسام.

ظلت تراقبهما وهما يغادران إلى أن اختفيا من أمامها..

بعدما ذهب حسام مع والده وأنجز ما طلب منه من أعمال تأخر عن وقت المحاضرة قليلا.. كان يهرع للحضور حتى يرى من ينتظر لقاءها.. ركب تاكسي بعد عناء في إيجاد سائق يقبل أن يوصله إلى الجامعة.

- الجامعة يا اسطى؟

- أومأ السائق بالموافقة.. جلس بجوار السائق قائلا في تنهيدة: أخيرا.. تعجب السائق الذي يبدو في مثل سن والده قائلا: أخيرا إيه يا ابني؟

- أخيرا ركبت تاكسي.

- في تعجب: ليه.. أول مرة تركب تاكسي؟!

حسام مع ابتسامةٍ خافتة: لا، أخيرا تاكسي وافق وتنازل إنه يوصلني للمكان اللي انا عاوزه.. أنا واقف بقالي ساعة وكل ما ألاقي تاكسي فاضي واقوله: الجامعة؛ يسيبني ويمشي، أو يشترط عليا الأجرة وبتكون أكتر من حقه كمان.

- مش كلهم يا ابني.. تعرف اللي عمل كدا إيه؟

- إيه؟!

- قلة الاحترام.. لا الشعب بيحترم بعضه ولا الحكومة بتحترم الشعب.

- معلش.. مش فاهم.

- يعني زمان كان فيه عداد للتاكسي؛ لا كان السواق بيتظلم ولا الزبون يتظلم.. غير البنزين.. كان سعره كويس.. دلوقتي مش لاقيين لا بنزين، ولا زباين، ولا أجرة.

- ما انتم بتركبونا على مزاجكم.. وفي الآخر تقولوا: مفيش زباين.

- ما هو عشان البنزين غالي، واللي بتدفعه انت وغيرك مبيجبش ثمن صفيحة بنزين.. يبقى نركبكم على مزاجنا وبالأجرة اللي نحددها كمان.. آاه قول للزمان ارجع يا زمان.

- زمان مكنش حلو على فكرة.. الأيام هي الأيام لكن البشر همّا اللي بيغيروا الزمن.. الناس اللي تقدر تخلي أيامها حلوة وفي نفس الوقت مرة، ومش كل ماضي بيبقى حلو.. فيه ماضي لما بننساه بيبقى أحلى.

- عندك حق.. هنا يا ابني؟

- قدّام شوية بعد إذنك.. أيوه هنا.. ألف شكر.

أخذ السائق أجرته بعد إصرار على ألا يأخذها برضى نفس.. خرج من التاكسي وانصرف تاركا دعوة جميله على لسان السائق له: ربنا يستر طريقك يا ابني.

يسرع بخطوات مهرولة وكذلك تتسارع في رأسه الأسئلة: هل سيراها اليوم وهل ستأتي الفرصة لكي يتحدث معها؟ هل يستطيع تعويض الفرصة التي ضاعت منه المرة الماضية؟ وهل ستتقبله شريكا معها في عرض الكتاب؟ أم أنها وجدت شريكا وضاعت منه الفرصة للمرة الثانية؟ تساؤلات ملأت رأسه حتى وجد نفسه في المدرج وعيناه تبحث عنها، أول ما وقعت عليه عيناه مكانها ليطمئن أنها هنا ولم تجد شريكا يجلس بجوارها.. نظر إليها مطولا حتى وقع نظرها عليه فأشاح بعينيه عنها حتى لا تلاحظه.. مضى بجوارها كأنه لم يرها مع أنه يشتاق أن ينظر في عينيها.. وهو بهذا القرب منها جلس مكانه ووجد (نبيل) بانتظاره.

- إيه.. اتأخرت كدا ليه؟

- كنت مع بابا فى المعرض.. وفين وفين لما لقيت تاكسي يرضى يوصلني.. قولي هي هنا من زمان؟

- مين؟... آه، هنا من الصبح.. كانت بتسأل البنات عن حد يعمل معاها جروب عشان عرض الكتاب.

حسام في لهفة: ولقيت حد؟!

- لا... فرصة لا تعوّض.. روح كلمها.

- أنا خايف.

- من اللي خايف.. هو فيه راجل بيخاف الزمن دا؟!

- أنا مش خايف خوف من اللي انت فاكره.. أنا بصراحة خايف ترفض.

- مش هترفض، صدقني.. جمّد قلبك؛ اجري وانتهز الفرصة قبل ما حد ياخدها منك.. وبعدين هو انت رايح تطلب إيدها؟

- يا ريت.

همّ ليكلمها لكنه فوجئ بالدكتور يدخل ليلقي المحاضرة.. جلس مكانه في خيبة أمل بأن الفرصه قد ضاعت للمرة الثانية لكنه يأمل ألا تضيع بعد المحاضرة.. ظل ينتظر انتهاء المحاضرة بفارغ الصبر، شعر أن الوقت طويل رغم أنها لم تَدُم سوى نصف ساعة فقط.. لكن ما أصعب الانتظار! بمجرد أن انتهت المحاضرة ذهب إليها.. لكن فجأة وجد من سبق الخطى إليها؛ شاب طويل، عريض المنكبين، شديد الوسامة، يتحدث معها.. فتجمع أغراضها للرحيل معه.. نظر إليهما في صمت وصدمة.. لقد ضاعت الفرصة التي لن تأتي مرة أخرى.. ضاعت منه فرص كثيرة وها قد ضاعت هذه الأخرى. يا لعبثنا.. القدر يضع الفرص أمام أعيننا وعندما نأتي لنأخذها تضيع منا لإهمالنا، دب الياس في قلبه وعاد ليجلس مكانه بجانب صديقه الذي رأى في عينيه الحزن واليأس.. وضع نبيل الصديق المخلص يدَه على كتف حسام قائلا:

ما تقلقش كدا.. هو حصل إيه يعني؟

- إنت ما شفتش حاجة.

- أنا شفت كل حاجة.. مش جايز يكون قريبها أو اخوها؟

أعادت الكلمات الأمل في قلبه مرة أخرى لكن سرعان ما عاد اليأس عندما ظن أنه ربما يكون حبيبها أو خطيبها!

حاول نبيل تشتيت تفكير صديقه بشيء آخر قائلا:

على فكرة.. الدفعة عملت جروب على الفيس بوك هينزل عليه أسئلة بإجابتها النموذجية للامتحانات السابقة الساعة تمانية.. معيد هينزلها، هو جه وقال كدا قبل ما تيجي.. ما تنساش.

- هي المحاضرة التانية إمته؟

- كمان نص ساعة.

انتظر حسام هذا الوقت بفارغ الصبر؛ كم يرغب في أن يذهب باحثًا عنها ليرى أين هي وماذا تفعل الآن مع هذا الشاب، لكن.. مهلًا، ستأتي المحاضرة الثانية وسيتسنى له الفرصة ليحدثها لكن ظنَّه قد خاب فهي لم تحضر؛ فتأكدت شكوكه بأنه حبيب قد أخذها ليخرجا معا، لم يستطع الانتظار لنهاية المحاضرة وانصرف منها للمنزل.. كان كل

شيء قد اسودّ في وجهه... لا يرى إلا هذا الشاب الذي أخذ منه محبوبته وانصرف، يفكر في كل مشهد دار بينها سوى هذا الشاب.. كيف وقفت له وهو مقبلٌ عليها؟ كيف تبسمت له ولأول مره يرى ابتسامتها؟! كيف كانت عيناها تشعان بالسعادة عندما رأته.. ولأول مرة يراها بهذه البهجة منذ أن عرفها؟!

حينما دقت الساعة الثامنة أخذ جهاز اللاب توب وجلس على سريره وما هي إلا دقائق حتى تصفح الأسئلة على الجروب.. ولكنه في الواقع كان لا يبحث عن شيء سواها.. أميرة قلبه، لعل وعسى يجدها ويتحدث معها، ولكن كيف له أن يعرفها من ضمن هذه الأسماء الافتراضية؟! إن في الأمر مشقة.. لكن لكل مجتهد نصيب، فلعل بحثه عنها يستطيع أن يصل إليها.. فجأة ينزل منشور مصحوب ببعض صور الامتحانات السابقة دون الحل، وتتوالى التعليقات ما بين من يسأل عن الحل والثاني عن باقي الأسئلة والبعض الثالث ضاحكا ساخرا: (هو الكلام دا عندنا؟!).. (إحنا أخدنا الكلام دا؟!) تتوالى التعليقات حتى نزل تعليق باسم: (أميرة الياسمين) كتبت:

هي دي كل الأسئلة.. طب فين الحل؟

هل هي الفتاة الغامضة التي سرقت قلبه وتفكيره.. لكن مهلا ما الذي يؤكد أنها هي؟! ألا توجد فتاة أخرى تحمل نفس الاسم غيرها! بالطبع لا.. إنه أمر محيّر.. قد ضاق به صدره لكن لا يهم فالمحاولة هي التي ستظهر إن كانت هي أم لا.. أرسل لها طلب صداقة لعل وعسى يتأكد منها.. على الرغم من أن قلبه وعقله يؤكدان له بأنها هي لكن عاد شبح الخوف مرة أخرى محدثا نفسه قائلا: إيه يا ترى هيحصل لو بعت طلب الصداقة ورفضته؟!

تفاءلوا بالخير تجدوه.. أوك، ماشي، طب لو قبلته هقول إيه؟ يووه.. لا كدا، ولا كدا عاجبك! أنا هبعت الطلب وخلاص، ولو رفضته هوضّح لها صفاء نيتي.. ولو قبلته يبقى ربنا يفرجها بقه بأي كلام... أرسل الطلب ووضع يده على خده بانتظار أي رد فعل منها، وبالفعل كانت توقعاته في محلها.. لم تقبل الطلب وأرسلت رسالة كتبت:

آسفة.. مش بقبل طلب صداقة حد معرفوش.

ترفض قبول صداقة شاب غريب.. يا لها من فتاة نادرة الوجود في هذا العالم الافتراضي.. ولهذا السبب أصر على التعرف عليها والارتباط بها؛ فقرر أن يتحدث بخصوص الأسئلة لعله يفتح الطريق للحديث معها والتعرف عليها.. كتب:

أنا حسام.. زميلك في الدفعة يا ريت لو تعرفي إجابة الأسئلة تنزليها على الجروب أو الخاص عندي لو دا ما يسببش ليكي الإزعاج.. يعلم جيدا أنه ليس في حاجة لإجابة الأسئلة.. ويبدو أنها ذكية لتفهم هذا لكنها أرسلت ردا في غير موضعه.. لقد توقع منها أنها ستشاركه الحوار في سلاسة، لكنها كتبت:

معرفش.. ما تحلها بنفسك.

اندهش من هذا الرد واعتبره من قلة الذوق.. أرسل في غضب: هو فيه حاجة اسمها ما تحلها بنفسك؟! حاسس ان فيه قلة ذوق منك في كلامك ليا!

كتبت: أولا: أنا مش قليلة الذوق.. أنا فعلا معرفش الإجابات وإجابتي كانت على قد السؤال وأرجو إنك ما تراسلنيش تاني على الخاص منعا للإحراج.. وممكن أعملك بلوك، وفعلا.. ما تحلها بنفسك.. ما انت لو بتركز في المحاضرة كنت عرفت تحلها!

اندهش الفتى عندما أدرك تمام ما ترمي إليه من نظراته الدائمة عليها في المحاضرة.. فقفز من مكانه قائلا:

هي.. والله هي بأسلوبها اللي.. اللي ما لوش أي وصف دا.. هي أميرة بكلامها، أبعت لها رسالة اعتذار ولا أعمل إيه.. أنا عارف إنها مجنونة ممكن تعملها وترزعني بلوك محترم.. هبعت وأمري لله.

كتب: آسف.. إني أزعجتك.. لكنها لا حياة لمن تنادي.. في الحقيقة خاف أن يرسل لها رسالة أخرى بعد الاعتذار فيكون الحظر هو نهاية الحوار.. فهذا هو المتوقع من فتاة مثلها ومثل شخصيتها القوية..

ظل مستيقظا طوال الليل يفكّر فيما كتبتْ وكيف له أن يتعامل مع فتاة بهذا الشكل.. أيصرف نظرا عنها ويتركها فالفتيات بالآلاف لكن لا يوجد ألف فتاةٍ مثلها أبدا.. حتى لو حاول أن يقنع عقله أن ينساها فلا يستطيع أن يقنع قلبه على نسيانها.. إنها أميرة

قد ملكت قلبه فكيف يعيش المرء بعقله مع فتاة وقلبه مع أخرى.. يخشى أن يتظاهر.. إنّه نساها فيكتشف في النهاية.. إنها ما زالت هنا جالسة في هذا المكان الذي لا يملك غير حبها.

في المحاضرة

تيبّست عيناه على باب المدرج ينتظر حضورها.. يرى زملاءه يدخلون.. ينتظر لعلها بينهم، وضع يديه فوق بعضها أمامه، ثم نام عليهما بضع دقائق ثم فتح عينيه ونظر بجواره إلى زملائه.. لم يعجبه مناخ المدرج الممتلئ بالغوغاء.. يكاد يشبه السوق أو أي شيء آخر.. هناك ضحكة بصوتٍ مرتفعٍ وبطريقة تغري بها السامع.. ومن يلعب ويجري كأنه شارع، والأغاني المزعجة تتداخل مع بعضها بين الشعبي الصاخب والهادئ المزعج.. لا تفهم حرفا منها والكلام الخاوي بين الفتية والفتيات، لا ينفع، ولا يضر سوى السمع والبصر؛ فإذا بحثت عن تلوّث السمع فمصدره هذا المكان الذي ينقصه كام قفص قوطة على بدنجان وحزمة بقدونس؛ ويصبح سوق حقيقي.. ومن بين هذا التلوث الذي يسرح فيه فجأة صوت نبيل:

البنات دي حاجة غير طبيعية.. أمورهم معقدة؛ بقولّك إيه يا حسام: أنا عندي فكرة لو تنفع خد بيها.

- إيه هي يا ناصح.

- لو تعرف حساب أميرة الشخصي.. ادخله واعرف كل حاجة عنها.. نظر إليه حسام في استنكار.. وكشّر حاجبيه قائلا:

مش فاهم إنت قصدك إيه؟!

نظر نبيل إلى إحدى الفتيات بجواره وقال: تعرف البنت اللي لابسة أحمر دي اسمها أمل بتحب ولد في طب من أيام الإعدادي وهو ولا معبّرها.. ثم أشار بعينيه على فتاة أخرى قائلا:

والبنت اللي قاعدة هناك لوحدها دي بتحب ولد عندنا هنا وهي مش راضية تقول له أو تعرفه.. بتموت عليه لما يغيب يوم عن المحاضرات ولمّا يكون موجود وتكلّمه تعمل نفسها مش مهتمه بيه عشان هو أصلا بيحب صحبتها.

- أحيانا يأتي بنا النصيب ليلقي بنا في أحضان من لا نشتهي... لكن انت عرفت دا منين؟!

- أنا لو عايز أعرف أي حاجة عن أي حد؛ أعرف حسابه الشخصي وأقرأ الرسايل اللي بينهم وبين بعض وأعرف كل حاجة.

حسام في رعب: نهارك أسود محروق.. دي جريمة وعيب وحرام، وممكن تروح في داهية.

- هي مش أسود ومنيل، ولّا منيل.. دي طارت.

- دا انا اللي هطيّر رقبتك.

- أنا مش بعمل بيها حاجة والله.. أنا بس بكون عايز أعرف عنهم كل حاجة فبضطر أعمل كدا.. لكن انت عارف صاحبك بيخاف على بنات الناس زي أخته بالضبط.

- تصدّق.. ضحكتني.. بعد كل دا تقول لي بخاف على بنات الناس.. دا انا أخاف أدخلك البيت عشان أختي.. وقال إيه.. عينك على أختي.. دا عشم شوشو في الجنة.

- بقى كدا.. صداقة عشر سنين تشك فيها؟!

- يعنى بزمتك اللي انت عملته دا صح؟

- يا عم انا عارف والله إنه غلط.. بس انا مش بطلّع سرهم لحد.. أنا بس بكون عايز أعرف همّا مين وإيه أخبارهم.. غير كدا لا، ما بعملش حاجه غلط والله.. يعني انت لو تعرف حساب أميرة الشخصي وتدخل عليه هتعرف كل حاجه عنها.

في سخرية: على أساس إنها هتكتب كل حاجة عن نفسها في رسايل لصحباتها؟!

- آه طبعا.. الزمن دا زمن الكتابة؛ معدش حد بيرفع سماعة التليفون ويحكي مع حد، حتى أقرب الناس ليه.. دلوقتي الناس بتكتفي بدردشة على الشات أو الواتس، ويتكلموا ويطمنوا على بعض ويحكوا لبعض عن كل حاجة، ولو النت قطع انقطعت كل حاجة، حتى صلة الرحم بقت مربوطة بالانترنت.. إذا انقطع انقطعت صلة الرحم.

- عندك حق.. دا حتى الأصدقاء على الفيس بالمئات.. ولما الواحد يموت متلاقيش في جنازته ولا واحد منهم.. بتتعرف على صديق بآد وتقطع علاقتك ببلوك... بس تعالى هنا وقولّي انت عرفت الكلام دا منين؟!

- من الشلة.. بعد ما مشيت قعدت معاهم وهما بيتكلموا وعرفوني أعمل إيه وكل حاجة.. أقولّك: قولّي الأكونت بتاعها إيه وانا أقوم بالواجب.

- أنا أصلا معرفش الأكونت بتاعها ايه.. ممكن تكتب انت.. أعمل إيه بالضبط وانا أعمله... خاف حسام أن يخبر صديقه عن الأكونت الخاص بها!

- ما تعرفش.. آاه، على نبيل برضه، ماشي يا صاحبي.. أنا هكتبلك كل حاجة بالتفصيل وأمري لله.

- بقولّك إيه.. أنا خايف، خلاص مش عاوزها.. لا، لا، لا!

- هتخاف من إيه.. مفيش حد هيشوفك ولا هيعرف إن إنت دخلت على صفحتها، وبعدين لو خايف إدّيني إنت الأكونت بتاعها وانا هقوم بالواجب.

- قلت لك: معرفش الأكونت.. لسه بس لما أبقى ألاقيه.. هحاول.

- أوك يا برنس.. بس بقولك إيه إوعى توقّع نفسك في مشاكل عشان لو وقعت نفسك في مشاكل وسألوني عنك هقول لهم: مين حسام دا؟!

- هههههههه.. للصداقة عنوان اسمه نبيل.. بس اوعدني إنك ما تعملش الحركة دي تاني.

- أنا آسف.. أوعدك مش هعملها تاني.

- بس، بس.. دي جت.. خبي الورقة.

- ما تخافش.. اكتب المحاضرة وأبوس إيدك.. ركّز في المحاضرة وسيبك منها شوية!

نظر حسام لصديقه وكأنّه يرغب في ضربه كفا يلزقه في الحيط.. لكنه عمل بنصيحته وانتبه للمحاضرة..

****

في المساء

تجلس على سريرها مفترشة مجموعة صور أمامها، تمسك بإحداها تتأملها في صمت يصحب معه ذكريات الماضي.

- بقولك إيه بما إن النهارده العيد تيجي ناخد كام صورة..

- ياسمين، إنت عارفة إني أوزعة وقلبوظة ومش بكون حلوة في الصور..

- خايبة.. البنت القصيري والقلبوظة بتبقى أجمل بنت في الصور.. يلّا بقى، الله يخليكي!

تتنهد: ماشي يا ستي.. أمري لله، لكن لو الصور طلعت وحشة مش هنوريها لحد ونخفيها.

- هههههه.. ماشي يا اختي، يلّا بينا.

تدخلان الاستوديو وتطلب من المصور أن يلتقط لهما صورتين فيطلب منهما الانتظار قليلا حتى يفرغ من تصوير إحدى العرائس بالداخل.. تجلس كل منهما بجوار الأخرى حتى خرج العروسان وسط زغاريد الأهل.. يغنون، يتراقصون، ثم تميل ياسمين على أميرة قائلة بصوت خافت:

عقبالك يا أوزعة!

- عقبال انت يا فرعة!

تنظران للعروسين مبتسمتين.. انشغلت أميرة بالعروسة وبفستانها الذي أبهرها وسرحت في جماله.. مالت عليها ياسمين قائلة وهي تنظر لأحد الشباب:

عريسك أهوه.

- بعد الشر.. دا عريسك انت.

تنظران لبعضهما وتتضحكان، فجأة.. المصور:

- يا آنسة.. اتفضلوا جوا.

ياسمين: عاوزين صورتين حلوين تبقى ذكرى لنا مع بعض. تحولت الصورتان للعديد من الصور التي أعجبت الفتاتين كثيرا.

ياسمين: الله! الصور شكلها حلو أوي.. دي أوّل مرة نتصوّر فيها في استديو مع بعض..

- إن شاء الله نيجي ونتصور هنا بفاستين الفرح.

- آمين يا اختي.. شكلنا كدا هنبور.

- يا بنتي ما فيش واحدة بتبور.. في واحدة ربنا منع عنها زواج كان هييجي منه شر، أو ربنا بيختبر صبرها عشان لما تصبر يديها أحسن زوج يغنيها عن أي شيء في الدنيا، وممكن يغنيها عن الدنيا بحالها.. ربنا كتب على نفسه الرحمة وقال: رحمتي سبقت غضبي؛ يبقى ازاي يمنع عنك الخير؟!

- عندك حق ربنا يرزقنا الأزواج الصالحين، إن ما كانش في الدنيا تبقى في الآخرة... (تضحكان).

- طب يا اختي.. يلّا بقه عشان نروّح، اتأخرنا.

يعيدها للحاضر صوت الباب يدق فتنتفض من مكانها، تجمع الصور بسرعة ومسحت دموع ذكرياتها قائلة: ادخل..

أحمد: إنت بتعملي إيه؟

مبتسمة: ولا حاجة يا ابو حميد.

جلس أحمد بجوارها على السرير.. أخذ صورة قائلا:

إيه دي؟

- دي صوري مع صحباتي.

- أهاااا، طب مش تقولي.. جايز ألاقي عروسة لاخوكي الغلبان.

- يا ابني، دا نص بنات المدرج بقوا هيموتوا عليك وانت جاي تاخدني عشان نروّح مع بعض.

- دي صورتك انت وياسمين؟!

نظر للصور في ألم قائلا:

أنا نازل، لو بابا سأل عليا أنا هكون عند إبراهيم صاحبي في المحل.

- أنا حاسّة إنك بتروح عند إبراهيم مخصوص عشان تقعد وسط العصافير وأحواض السمك..

- أنا بعشق العصافير والأسماك وبفكّر أفتح مشروع محل حيوانات معاه نكون شركاء.. إيه رأيك؟

- أنا عن نفسي بعشق الطيور والحيوانات، خاصة الحمام والكلاب.

- لا، خلاص أنا صرفت نظر عن المشروع.. أحسن ألاقيكي كل يوم تاخدي مني حمامة وتجري.. هههههههه.

- طبعا.

- مش كفاية مستولية على أوضة العصافير بتاعتي اللي على السطح!

- بحبهم يا سيدي، وناوية كمان أجيب كلب لولوه صغير.

- أنا هقولك الدعوة الرسمية بتاعت ماما دائما: ربنا يصبرني ويعوض عليا!

- طب قوم من قدامي يا احمد.. تمسك بمخدة وتلقيها عليه، يجري ويتفاداها.. وقف عند باب الغرفة ليغيظها.

- كمان مش بتعرفي تنشني.. ربنا يعوض عليه اللي هياخدك.. تلقيه بالمخدة الأخرى فيغلق الباب مسرعا ليتفاداها قائلا من الخارج:

سلام يا ميرو.. تبتسم قائلة: سلام.

تدخل أختها قائلة:

ها يا بنتي، مشغولة ولا فاضية؟ عاوزة أدردش معاكي شوية..

وتنظر إلى الصور قائلة:

الموضوع كان صعب بس بالطريقة دي الإنسان مش هيعيش.. أميرة، بصي لي.. تنظر إليها بعينين مغرغرتين بالدموع فتشعر غادة بالحزن على حزن أختها لكنها تحاول أن تخفف عنها قائلة:

أنا أي نعم أختك الصغيرة وجايز مش فاهمة الحياة أوي زي بابا وماما لكن ربنا إدانا عقل نفكر بيه، وقلب يعدل حكم عقلنا الظالم؛ فما تخليش قلبك يدمر عقلك بالعاطفة، وما تخليش عقلك يدمر قلبك بالظلم.. أنا عارفة إن الموضوع صعب خاصة إنها أقرب صديقة لقلبك، وربما هي الوحيدة اللي قريبة لقلبك جدا، وعارفة إن الموضوع الأصعب لما خالد...

قاطعتها قائلة:

ما تجيبيش سيرته، مش قادرة أسمع أي حاجة تخصه.. كفاية إنه دمر حياتي وخسرني أعز صحباتي وسرق مني أجمل أيام عمري.. أنا كل يوم بموت؛ بكلم نفسي في وحدتي بحلم بيهم في نومي.. كل ما أفكر في اللي حصل وأنا صاحية أقوم أنام ومجرد ما أغمض عيني أحلم بيهم.. الجرح في قلبي وعقلي، مستحيل يتنسى، أنا بموت يا غادة، ما حدش حاسس بيا، أنا فقدت الثقة في كل حاجة حواليا حتى نفسي.. نفسي أرجع أعيش طبيعية ومش قادرة، قلبي خايف وعقلي خايف كأني طير صغير لسه جناحه ما كملش؛ خايف يطير ليقع، وخايف لما يكمل جناحه ما يطرش؛ يعني الخوف وانعدام الثقة بقوا زي عيني الاتنين؛ كل ما أمشي ما أشفش في وشوش الناس اللي بتضحك وفي كلامهم المعسول غير الخوف وانعدام الثقة، نفسي أرجع زي زمان.. نفسي أكون أميرة بتاعة زمان.. أنا تعبت وضهري حاسة إنه مكسور.. نفسي ألاقي حد شبهي.. تقول لنفسها:

إن ظهري يؤلمني كلما رفعت من رأسي لكي أنهي ألمي يعود ظهري للانحناء مرة أخرى، أنا لم أحنِ في يوم رأسي؛ فماذا حدث بقلبي كي ينحني ظهري بأكمله؟!

- مفيش حد شبه التاني.. بس فيه حد بيكمل التاني..

- إنت لازم تكوني أقوى من كدا.. كلنا هييجي علينا اليوم ونتوجع بس المشكلة إننا عارفين إن اليوم دا جاي وما بنعملش حسابه.أ

- كنت متأكدة إنه بيحبني رغم خيانته، كنت أسعد إنسانة في الدنيا ولما قلت له: إن أنا بحبه.. أول حاجة عملها إنه خانني.

عندي مقولة بتقول: إذا أحببت شخصا بصدق فلا تخبره حتى لا يتفنن في تعذيبك.. بس أنا عندي مقولة أفضل: إذا أحببت شخصا فعليك بإخباره فإن حفظك وأحبك فقد اكتسبت حبيبا للأبد، وإن كان العكس فهذه تجربة لتتقن اختيار من يستحق الحب ومن يستحق أن يكون حبيبك المرة القادمة.

- عارفة يعني إيه يكون جواك الخوف ساكن.. الواحد مش قادر يتخلص منه؟!

- لازم يكون في كل واحد منا خوف لأنها طبيعة.. لكن الخوف اللي يزيد عن الحد دا هو الخوف الحقيقي، ليكي الحق إنك تخافي لكن مش ليكي الحق إنك تقتلي نفسك

بالخوف.. عارفة؛ سمعت أمسية للدكتور إبراهيم الفقي قال فيها: إنك هتلاقي اللي يخونك، هتلاقي اللي كسر قلبك خمسين حتة، هتلاقيك بتقع والناس بتضحك عليك، هتلاقيك اتجوزت واطلقت، هتلاقي نفسك تعبان نفسيا وحد نصب عليك، وهو دا التحدي وهي دي الوقود اللي بيخلينا نستمر ونوصل للنجاح.

- ويا ترى إيه النجاح اللي أنا عاوزاه؟ ما عدش عندي هدف.

- بالعكس إنت عندك هدف متخبي جواكي وهو إنك تعيشي، تنجحي، تتميزي، ترجع لك ثقتك من جديد، ترمي قلبك عشان تحبي من جديد وتتخلصي من خوفك.. إنت مش أميرة، البنت المثابرة اللي أعرفها.. أنا شايفة قدامي أميرة تمثال مكسور بس من بين الكسر شايفة نور أميرة جميلة عايشة جوّا التمثال دا ونفسها تطلع للضي للحياة.. يا أميرتي اكسري تمثال همومك وانطلقي للحياة، ولو الدنيا وقفت ضدك يكفي إن رب الدنيا واقف جنبك.. ربنا بيحب الخير للعبد بس خير من غير عمل مش ينفع (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)..

- فكرتيني بياسمين؛ كانت تقولي: ربنا بيحب الخير لعبده، ربنا كتب على نفسه رحيم يبقى ازاي يخلي عبده حزين..

- شوفتي بقه.. ودا فضل الأخت الصغيرة..

- ربنا ما يحرمني منك أبدا..

- ولا منك يا ميرو.

- بس انت أخدتيني في الكلام، وما قولتليش إيه أخبارك مع فريد؟

- والله يا أميرة ما عدتش عارفة أعمل معاه إيه.

- ليه؟

- يعني إنسان متناقض.. شوية يقول إن إنت أكتر إنسانة بحبّها وأحترمها في الدنيا، وفي نفس الوقت بيفكر في واحدة تانية مش بتعبره.

- إزاي يعني بيفكر في واحدة تانية.. مش هو قالّك إنه نساها؟

- تعرفي.. نفسي أدخل قلبه وأمد إيدي وأطلعها منه!

- أنا مش فاهمة حاجة.. أنا فاكرة إنك حكيتي عنه من قبل إنه كان بيحب واحدة لمدة طويلة جدا وبعدين اكتشف إنها بتحبه كأخ بعد فترة من الحب دا.. رغم إنها عارفة إنه كان بيحبها وهي حبت إنها تتسلى بيه الفترة دي وبعدين إنتي حبيتيه.. المفروض يسيب اللي كانت بتتسلى بيه لأنه ما كنش حب حقيقي ويحبك انت.. مش كدا برضه؟

- الحب مش حاجة سهلة.. الحب حاجة معقدة؛ فيه ناس بتحب الإنسان اللي مبيحبهاش.. لمجرد إنه بيحبها حابب يعيش دور المجني عليه.

- لا، الموضوع مش كدا.. الموضوع إنه نفسه يدوّقك نار الحب اللي هوا داقه، بيشوفها فيك وبينتقم منك!

- دا يبقى مريض، بس هو إنسان محترم جدا ومعتقدش إنه زي ما بتقولي..

- غادة اتعلمي من غلط أختك وما تخليش التيارياخدك بعيد عن شط الأمان، اللي بيحب واحدة بيروح بيت أبوها ويتقدملها عشان كل حاجة بينهم تبقى في النور، أما اللي بيعمل غير كدا هو اللي بيسرق لحظات جميلة من عمرها في السر، وفي الآخر هو يكون فرحان بنفسه على أساس إنها رجولة وإنت تكوني ضحية قلب مجروح تحت مسمى ضحية حب.. الحب بيروح وبييجي لكن كرامة الإنسان لما بتروح ما بترجعش.. فهمتيني يا غادة؟

هزت رأسها، فهمت ما ترمي إليه أختها أن لا تؤمن بكلام الحب المعسول.. فمن يحب بحق يحافظ على من يحب.

في هذه الأثناء كان أحمد في طريقه إلى صديقه، وأثناء ذلك جلس على الكورنيش وأدخل يده في جيبه وأخرج ما سرقه من أخته دون أن تلاحظ؛ صورة لها وتذكر ما سرق من قلبه في هذا المكان...

- ياسمين، أنا أعترف بحاجة كدا بس خايف..

- خايف؟! أول مرة أعرف إنك بتخاف..

- ياسمين، أنا بتكلم بجد وعشان كدا حابب أتكلم معاكي في موضوع.

- من الصبح بتقول موضوع.. ما تقول يا أحمد.

- ياسمين، أنا بحبك..

صمتت ولم تحرك ساكنا.. شعرت بعاصفة تهزّ كيانها الداخلي كأنها على حافة صخرة على ارتفاع شهيق إذا نطقت بحرف فسوف يلقى بها من أعلى.. تجمدت نظراتها إليه؛ لم تستطع النطق؛ إحساسها بأن العالم توقف من حولها ليس به أحد غيرهما.. هو الآخر كان يتخلله الخوف من ردة فعلها؛ هل ستتقبل طلبه وتفتح قلبها إليه أم ماذا؟ لم يطل الصمت حتى سألها مرة أخرى..

- ياسمين، قلتي إيه؟

- في إيه؟

- في موضوعي.. أنا بحبك وعايز أطلب إيدك.

- تسارعت ضربات قلبها خوفا وليس عشقا، بماذا تخبره؟ أتخبره أن هناك عشقا يعيش داخلها.. عشقا تخشى أن تخبره به فتجرح قلبه فهي لا تحب أن تجرح أحدا.. وفي نفس الوقت تخشى أن تخبره أنها تفكر فيه مثل أخيها فيحاول أن يشقّ الطريق لقلبها فتخدعه في الحالتين ولكن مهما كانت العواقب لا بد من الحقيقه دائما.. نظرت إليه في عينين آسفتين قائلة:

- أحمد، إنت بالنسبالي زي ما انت بالنسبة لأميرة..

- يعني إيه؟

- يعني مش قادرة أفكر فيك غير بالصورة دي..

- أنا ممكن أكون أخوكي وحبيبك برضه.. أنا بحبك ومش مستعد أحب حد غيرك.

- أنا.. أنا.. قاطعها قائلا:

- في حد في حياتك؟! اقشعر بدنها فجأة..

- بصراحة.. آه.

في يأس: من إمته؟

- من مدة.

- زميلك؟

- حاجة زي كدا؛ تقدر تقول معرفة..

- أميرة تعرف إنك مرتبطة بالمعرفة دا؟

- أميرة صاحبتي؛ هي سري ومأمني، وعارفة كل حاجة عني وعنه.

- ممكن أعرف اسمه؟

- ليه؟

- عشان لو كان على نفس اسمي أروح أغيره.

نظرت إليه في تعجب وقالت: إيه؟!

- الصراحة أتمنى لو كان قدامي كنت قتلته.

- لو سمحت يا احمد ملوش لازمة الكلام دا..

- أنا آسف وأتمنى إنك تكوني اخترتي الإنسان الصح اللي تكملي معاه حياتك.

- أنا فعلا اخترت إنسان كويس وأتمنى لك إنك تلاقي الإنسانة الكويسة اللي تكمل معاها حياتك.

- مظلنش!

- ليه بتقول كدا؟

- لأن أنا عارف الإنسانة اللي أنا حبيتها مفيش منها اتنين.

- ما تتخدعش فيا؛ أنا مش ملاك ولا أنا أجمل بنت على الأرض ولا أطيبهم.. فيه بنات كتير أجمل مني في الأخلاق والأدب والخلقة كمان.

- لو كل البنات ملاك وانت شيطانة أنا أختارك تكوني شيطانة قلبي.

- صدّقني.. دا كلام انت بتقوله عشان تعيش اللحظة وخلاص.. لكن أول ما تلاقي بنت الحلال المناسبة هتقول لنفسك: أنا إزاي قلت الكلام دا لواحدة تانية غير اللي أنا ارتبطت بها، وهتندم على إنك قلت الكلام دا مش ليها.

- تعرفي الحاجة الوحيدة اللي أنا ندمان عليها إيه؟

- إيه؟

- إنك ما حبتنيش.

- ودي ندمان عليها إزاي؟

- لأني ما قدرتش ألاقي سبيل أفوز بيه بقلبك.

- إنت فعلا ليك مكانة في قلبي بس زي أخويا.

امتلأ قلبه بالحزن حتى فاض على عينيه وكادت أن تدمع فأدار وجهه الجهة الأخرى ثم تماسك نفسه ونظر إليها قائلا:

- أتمنى إن الحوار اللي دا بنا دا يفضل سر بينا إحنا الاتنين.. ويا ريت نعامل بعض زي الأول وكأن شيئا لم يكن.. وأوعدك إن يوم فرحك هكون أنا اللي بزفّك بالعربية وتأكدي إن اللي هيكون بيزفك دا مش واحد حبك وبيموت لما يشوفك مع غيره.. لا هيكون واحد بيوصل أخته لبيت جوزها.

- أنا فعلا أتمنى إنك تكون أخويا زي ما أميره أختي.. ربنا يخليكم لبعض.

بتلقائية: ويخليكي ليه.. يلّا عشان أوصّلك البيت.

- ملوش داعي.

- وتمشي لوحدك؟ تعالي أوصّلك.. مامتك عارفة إني زي أخوك ودايما كانت تقولك: خلي أحمد يوصّلك؛ يعني واخد تصريح رسمي من الحكومة، هههههههههه!

- أوك، أنا هقولها إنك بتقول عليها الحكومة.

- هههههه، عادي.. عادي.. دي جايز تسجنك، هههه، يلّا عشان متتأخريش.

- يلّا بينا.

ذهب معها إلى بيتها.. شعر بأن الوقت يمر كلفحة نسيم عابرة، وعندما وصل وجد والدتها في الشرفة تنتظرها، وعندما رأته نادتة أن يأتي إلى المنزل لتضيّفه لكنه اعتذر منها بانشغاله ببعض الأمور.. اطمأن عليها أنها وصلت بأمان إلى المنزل.. وما إن أدار وجهه عنها حتى انفجر باكيا؛ تساقطت دموعه على الطرقات.. ليست بأقل من دموعه التي تسقط الآن على صورتها التي بيده؛ يحاول أن يكبت دموعه لكنها أقوى منه.. انهمرت وفقد السيطرة واستسلم لبحر من الدموع والأحزان التي طالما كبتها في قلبه.. ها قد آن الأوان أن يظهر كل شيء في عينيه التي آلمته كثيرا كلما حاول منعها من البكاء، نظر حوله خائفا أن يراه أحد فما أضعف الرجل عندما تدمع عيناه ويحاول منعها!

وكلما حاول أن يمسح دموعه تزيد العيون في البكاء حتى أجهش بالبكاء كطفل صغير فقد لعبتَه فمهما كان الرجل قويا ومعتزا برجولته فبداخله طفل يبكي عندما تقسو عليه الأيام.. ظلّ نصف ساعة يبكي كالطفل الصغير حتى استطاع أن يتماسك ويعود إلى

هدوئه من جديد.. مسح عينيه ووقف مكانه وأخذ نفسا عميقا أعاد فيه انتعاشه وكأن شيئا لم يكن.. ارتدى نظارته الشمسية لتخفي العيون الدامعة ومضى في طريقه لا يعرف إلى أين!

في هذه الأثناء جلس حسام أمام الكمبيوتر وفي يده الورقة التي ستساعده في كشف الكثير من الأسرار التي يتمنى معرفتها عن حبيبته التي لقبها بأميرة قلبي، خائف وكأنه قادم على جريمة ويخشى من يراه، يخشى عقابها.. وبالفعل هي جريمة، وأي جريمة.. أن تتجسس على أسرار الآخرين.. ينظر للورقة ويحدث نفسه قائلا:

لا، لا، لا، إيه دا؟ معقول اللي بعمله دا؟! أنا كذبت على نبيل.. خفت إنه يتعدى على خصوصيتها، يبقى إنت يا حسام تعمل كدا؟! بس أنا مش غرضي وحش والله.. أنا بس عايز أعرف هي مي! طب متحاول تكلمها.. بس أنا حاولت أكلمها وكان ردها مش ظريف.. طب وبعدين.. هاااااا، أنا هغلب نفسي ليه؟ أنا بس هعرف إيه حكايتها وخلاص، ما أنا مش هفضل كدا... ربنا يستر.. مضى بعض الوقت ونجح في فتح صفحتها وظل يقرأ رسائلها قائلا لنفسه:

-يااه، كل دي رسائل مش بترد عليها.. طب ليه؟!.. ايه دا تاني؟ الله.. دي رسالة من واحد في الدفعة معانا هو كمان حاول يكلمها! يظهر إنها مش مأنتمة مع حد، رسائل كتير من أصدقائها.. إزيك، أخبارك، وهي ولا هنا؛ حتى مش بترد بأي حاجه.. كل دي طلبات صداقة مش بتقبلها.

لحظة.. في واحدة بس هي اللي بتكتب لها (روح الياسمين) بس ليه هي بالذات؟ جايز أختها أو صحبتها من زمان.. فجأة.. صوت والدته:

حسام... حسام.. تعالى، فيه ضيوف.

في ارتباك: نعم يا ماما، حاضر جاي، حالا.. أغلق الجهاز وألقاه تحت السرير من شدة خوفه وارتباكه، ذهب ليلتقي بالضيوف فإذا هي جارتهم.. كانت تسكن معهم في نفس العمارة قديما وجاءت لدعوته لحفل خطوبة ابنتها.

- أهلا يا طنط تريز..

- أهلا يا حسام، أنا جيت مخصوص أعزمك إنت وماما على خطوبة كرستين، هتكون في البيت..

- وأخيرا هنفرح بمقصوفة الرقبة اللي مجننا الدنيا دي.

- الوحيد اللي بيناديها بمقصوفة الرقبة.. يا واد اعقل، دي بقت عروسة دلوقتي عريسها لو سمعك هيجري وراك.

- إنت عارفه يا تريز الظروف؛ مقدرش آجي وأسيب دعاء لوحدها.. عندها امتحانات.

- وأنا عذراك يا حبيبتي، هما بتوع الطب دول بيخلصوا امتحانات؟ أبدا، المهم أنا مستنية حسام وندى، مجيّتهم على دماغي.. أما في الفرح فمش هقبل أعذار.

- من غير ما تقولي يا طنط، كلنا لازم نيجي الفرح وربنا يتمم على خير يا رب.

- الله يحفظك يا ابني.. أستاذن بقه عشان أعزم باقي الحبايب.. سلام عليكم.

ذهب إلى شلة الأنس.. جلس معهم بجسده فقط، أما عقله فكان مع من سرقت قلبه.. ظل طول جلسته على هذا الوضع حتى وصل لمرحلة خاف أن يجاريهم الحديث فينطق لسانه باسمها؛ فما أحرج ما يكون أن تنادى شخص باسم شخص آخر تفكر فيه فيكون الخطأ الصريح، لم يجد الفتى بدا سوى العودة إلى المنزل مرة أخرى.. عاد لصفحتها وفتح رسائلها ليقرأها!

يا له من فتى غريب الطباع؛ كان يخاف من اختراق صفحتها والآن يفكر بكل يسر في قراءة رسائلها وأسرارها.. هكذا تبدأ الخطيئة بخطوة واحدة فقط.. خطوة واحدة وبعدها لا تشعر بالذنب نحو الأخطاء الأخرى لأننا حينها لا نشعر بأنها أخطاء!

بدأ يقرأ الرسائل مع صديقتها روح الياسمين يوميا ومنذ زمن طويل أراد أن يعرف من هي روح الياسمين، ولماذا هي الوحيدة التي تراسلها أميرة.. وجد صورة لمجموعة من رسائل الواتس screen shut ومرسلة لياسمين، بدأ يقرأ...

- ياسمين، أخبارك إيه؟

- الحمد لله تمام، إيه رأيك تيجي معايا نخرج النهارده.

- مش هعرف، خطيبي معزوم عندنا النهارده على الغدا.

- أيوه بقه.. تنسي صاحبة الكفاح من دلوقتي..
- ما تزعليش مني.. أنا هتصل بيك بكره وآجي أتغدا معاكي.. أوك؟
- أوك... آه، ما تنسيش تستأذني خطيبك.
- هههه.. اتلمي يا بت.
- هو أنا قلت حاجة.. مش لازم تستأذنيه؟
- طبعا.. أنا مش بخرج إلا بإذنه.
- هههه، الخطوبة دي شيء معقد أوي.. البنت السنجل أكتر حرية من المرتبطة.
- آه فعلا، بس الارتباط عموما يعتبر بداية عش من أعشاش الحياة الزوجية.
- قصدك سجن ذهب من سجون الزوجية.
- يووووه بقه، سجن.. عش.. المهم إني لقيت اللي يحبني وأحبه.
- ربنا يسعدك.
- ويسعدك مع خالد.
- انسي الموضوع وما عدتيش تجيبي سيرته تاني.
- ليه.. إيه اللي حصل؟
- أبقى أقولك بعدين.. لما أعرف كل حاجة.
- حاجة إيه اللي تعرفيها.
- سيبي كل حاجة لوقتها.. يلّا بقه تصبحي على خير.
- وانت من أهله.

إلى هنا انتهت الرسالة.. لاحظ أن هناك مدة طويلة لم تتحدث فيها أميرة إلى ياسمين بناءً على تاريخ الرسالة التي قرأها للتو، وكان محتواها..

- صديقتي ورفيقة عمري، من مدة متكلمناش، وحشاني ومش قادر أوصف وحشتي ليك أد إيه! كان صعب عليه إني أزورك النهار ده في أوضتك الجديدة وسريرك الجديد.. بس بصراحة مش لايق عليك ولا مناسب لسنك، يا ريت لو ترجعي لأوضتك القديمة، وسريرك القديم وحشك أوي على فكرة.. مع السلامة.

- ياسمين زعلانة منك أوي يا صديقتي، إزاي يا حبي آجي أشوفك وأكلمك ما ترديش ولا حتى تبصيلي، إنت زعلانة مني؟! بوست إيدك النهارده عشان تردي عليه وانت برضه ما ترضيش تكلميني؟! أنا بقيت بكلم نفسي وبكتب لنفسي وأرد عليها.. ما ليش حد غيرك يا صديقة عمري أكلمها وائتمنها على سري وأحس بالأمان معاها غيرك إنت؛ أرجوك ما تسيبنيش وارجعي كلميني.

اندهش قائلا لنفسه: معقولة؟!

إيه اللي حصل عشان يجرى كل دا؟! وهي أميره ما عندهاش كرامة إزاي تبوس إيد صاحبتها عشان تصالحها وفي الآخر ما تردش عليها ولا تكلمها، هو فيه صديق بيبوس إيد صديقه اليومين دول؟! لا وكمان تبعتلها رسايل تترجاها إنها تصالحها.. لا، لا، الموضوع دا وراه حاجة، وليه بعتالها صورة لرسايلهم على الواتس؟! لما أجري المحادثة جايز أعرف السبب ايه! لكن إلى هنا انتهت الرسائل.. ومن وقتها لم تتكلم معها.. كل ما تفعله هو إرسال ايموشن حزين وكلمة وحشاني ياصديقة عمري، يوميا ترسل فقط هذه الرسالة.

تعجب الفتى من هذا وظل عقله يذهب ويأتي.. ما الذي حدث ولماذا توقفت عن الكتابة لصديقتها؟ هل هذه الرسائل هي نهايه هذا المجهود وتأنيب ضميره المستمر من أجل أن يعرف من هي؟! إنه لشيء مخيب للآمال كما أن الوضع ازداد حيرة وتعقيدا؛ هل سيظل الوضع هكذا؟ لقد ذهبت جميع الفرص في التعرف عليها؟! لم يجد الفتى بدا من أن يطفئ نور غرفته ويستلقي على سريره يفكر فيما وصل إليه فكلما وصل إلى مفتاح باب يتصدّر طريقه لمعرفة الحقيقة وجد بابا آخر أمامه تنهّد تنهيدة تحمل في طيّاتها فقدانه للأمل ولكن لا.. لن يستسلم، سيجد الطريق للوصول إليها.. ظل يفكر حتى ذهب في نوم عميق...

اليوم الثاني

ينتظرها وهو يراقب ساعته وكأن الجاذبية انعدمت عن عقاربها فيمضي الوقت ببطئ شديد.. انتظرها على أحر من الجمر وتنهّد بعمق في راحة عندما رأها تدخل المحاضرة.. يخشى أن يغلق عينيه عن النظر إليها ولو حتى برمشه، يحاول أن يقرأ في ملامح وجهها اللغزَ الذي شغله، وظل يفكر فيه أمس.. تتسارع أنفاسه كأنه يسابق الزمن كلما تذكر رسائلها مع صديقتها حتى إنها تكاد تسمع أنفاسه المتسارعة من مقعدها.. مضى وقت المحاضرة سريعا كالبرق.. ساعتان كان يشعر بأنهما ثانيتان في تأملها ومراقبتها في صمت، وكيف لا؛ فهكذا وقت الحب! لم تغفل عينه عنها طوال الوقت كأنه يخشى عليها من الضياع.

انتهت المحاضرة وهم كل منهم في طريقه لكنه تجرأ وذهب إليها.. كانت أقدامه واحدة تتقدم بخطوة والأخرى تؤخّر يخشى أن تنهره من الحديث معها، وأن لا تأتي فرصة أخرى للحديث.. القلق والاضطراب من الداخل، يكثر العرق على جسده المرتعش من الخارج؛ فهو مقبل على امتحان وأي امتحان.. إنه امتحان القلوب الذي لا ينفع فيه دور ثانٍ.. إنه دور واحد فقط.. إما أن تسلم القلوب وتستسلم وإما أن ينتهي كل شيء للأبد..

سألها بينما تهرب منه كلماته وتتعثر.. الشاب الفصيح اللسان أصبح كالطفل يتعثر في كلماته أمام حبيبته.. يا له من حب!

- لو سمحتي يا آنسة.. التفتت إليه ونظرات عينيها تخبره أنها لم تتوقع مجيئه.

- لو سمحتي ممكن آخد كشكول حضرتك.. أصل عندي كام محاضرة ما لحقتش أكتبهم.. ممكن؟

تجمدت نظراتها في عينيه وتصلب لسانها عن النطق.. لم تشعر إلا ويدها تقدم له الدفتر دون أي كلمة أو حتى حرف، في صمتٍ تامٍ لا تسمع فيه إلا الأنفاس؛ لا يفسر هذا المشهد إلا أمر واحد أنها في حالة غرام بهذا الفتى!

قطع الفتى هذا الصمت قائلا:

أنا ما لقتش حد أعمل معاه جروب فبعد إذنك أنا ملاحظ إنك ما عملتيش جروب فإيه رأي حضرتك نعمل جروب مع بعض.. (كرر كلامه من التوتر).

لم تجد شيئا لتقوله سوى أنها هزت رأسها بالموافقة.. ولكنه عاد ليسألها ثانية.

- حضرتك موافقة؟

- آه عادي، مفيهاش حاجة، بس الجروب هيبقى أنا وإنت بس.

- بصراحة.. أنا ما لقتش حد تاني وخايف لترفضي يبقى وقتها كنت هقع في ورطة..

ابتسمت برقة قائلة: ما لهاش لزوم كلمه حضرتك؛ أنا اسمي أميرة وبصراحة أنا برضه كنت هقع في ورطة لو ما لقتش حد أعمل معاه الجروب.

- طب الحمد لله يا أستاذة أميرة.. أنا اسمي حسام.

- حسام، أنا أميرة.. مش الأستاذة أميرة.. تمام، الاحترام مش بالألقاب.. الاحترام في أسلوب الكلام.

- مش فاهم..

- يعني: أنا أميرة وانت حسام.. أوك؟

ابتسم: تمام يا أميرة.. كان ينطق الاسم وقلبه يرقص فرحا.. أراد أن يقفز من مكانه.. حمد الله أن بداية القصيدة ليست كفرا بل ابتسامة رقيقة وجدها بشفتيها وفي عينيها.. ظل ينظران لبعضهما بضع ثوان حتى قاطعت هذه النظرة قائلة:

أستاذنك، أنا لازم أمشي عشان في حد مستنيني بره.. سلام!

- مع السلامة، وآسف إني أخّرتك.

ذهبت دون كلمة.. ابتسم ابتسامة الأمل العائد بعد فقدان.. ونطق دون وعي:

الحمد لله.. يا رب، اللهم لك الحمد والشكر!

أثناء عودته للمنزل كان يعيد ما حدث في عقله كأنه شريط فيديو يرغب في رؤيته مرة أخرى.. تعجب من نظراتها وصمتها، ماذا أصابها؟! كانا متوترين حتى إنهما لم يحددا الوقت الذي سيعيد فيه دفترها وكلما يعيد مشهد نظراتها إليه يبتسم، يتأمل دفترها كمحبوبته، لا يصدق بأن هناك شيئا يخصها بين يديه وفي حضنه.. يشعر كأنها هي التي بين يديه؛ يتحسسه ويلمسه بيده في رقة وعاطفة كأنه يتحسّس وجهها ويلامسه.. يخشى أن يخدشه أو يصيبه سوء.. لا يزال الشغف يملأ قلبه حتى أمام مجموعة من الأوراق

المجمعة في دفترها.. يحنى رأسه على الدفتر، يشم رائحته بعمق، يحاول أن يستخلص رائحتها منه، يأخذه في صدره ويرخي جسده ورأسه للخلف في هدوء شديد..

يغمض عينيه ويسرح بخياله في لا شيء.. لا شيء.. يريد فقط أن يسرح في رائحتها بين ذراعيه، يتحسس بأطراف أنامله طرف الغلاف؛ يفتحه برفق شديد يخشى أن تكون محبوبته داخل الأوراق كأميرة نائمة فيوقظها من نومها الهادئ الخفيف.. يتأمّل المكتوب في صفحاته.. لكنه لا يتأمل مجرد كلمات أو أحرف فهو لا يعلم ما المكتوب ولا يعبأ بما كتب!

بل ينظر ويتخيل أصابع يدها وهي ترسم هذه الأحرف.. يتحسس الصفحة كأنه يتحسس أصابع يدها ورقة ناعمة، يشعر بالكلمات البارزة ناعمة جميلة ككاتبتها، يضع الدفتر على وجهه ويشمه لعله يجدها في حروف كلماتها، يضمه لصدره تارة ويقبله تارة أخرى، وهكذا صار حال الفتى الذي يخشى أن يترك دفترها فيتوهم أنه يتركها هي.. يشعر أن صدره لا يتنفس إلا هواء كلماتها عجبا! إنها مجرد كلمات، مجرد حبر ولكنها ليست كذلك بالنسبة لأنفاسه التي اعتبرت كل حرف ما هو إلا نفسا من نفسها مطبوعا بورقة بين يديه.. يمضي الليل ويظل الفتى على هذه الحالة حتى أيقظه ضوء الشمس في عينيه.. فما إن فتح عينيه حتى نظر إلى الدفتر يتحسسه مبتسما قائلا له:

صباح الخير... يقبله، ذهب مسرعا في نشاط غير معتاد ليذهب للكلية وأثناء الطريق كان عقله مشغولا؛ يحاول أن يؤلف موضوعا أو أي حوار يفتح المجال للحديث معها، عندما دخل المدرج نظر إلى مكانها عجبا! لأول مرة تأتي مبكرا عن موعد المحاضرة..

لا يعلم الفتى أن أميرته عندما تركته في ذلك اليوم كانت تقضي ليلها ساهرة تفكر فيه وفي عينيه الواسعتين البنيتين التي تسلط نظرهما إليها.. تبتسم كلما تذكرت ما حدث وقلبها مليء بالخوف؛ تخشى أن يكون هذا هو الحب الدفين التي ظلت تخاف من ولادته بقلبها مجددا وأن يكون حبا من طرف واحد وهو لا يفكر فيها أبدا، لم تجد الراحة إلا عندما قامت فتوضأت وصلت ركعتين قيام الليل ودعت ربها قائلة: (يا رب أنت أعلم بنفسي مني وتعلم ما مررت به في حياتي.. لا أحد بجواري غيرك، غيرك، لا أب ولا أم ولا إخوات بيمنعو ضر ولا بيشفعو.. أنت أمرهم في يديك وأمري في يديك، ولا أملك سواك..

لقد انجرح قلبي وألمني وفارقت وروحي من الفراق تعبة.. أنت طبيب القلوب والروح، لا أريد أن تدمع عيناي من أجل أحد إلا في طلب الرضا منك ودموع فرحة أنتظرتها سنين.. أنا لا أدري ما الذي أتمناه وأنتظره لكني أنتظر رحمتك بقلبي فقدر لي الخير يا رب!).

جاءت مبكرا في انتظاره وما إن رأته حتى تسلطت عين كل منها على الآخر اشتياقا لرؤيته.. لم يبعد نظره عنها حتى اقترب منها فأبعدت عينيها متداعية عدم رؤيته وكذلك هو ولكن لم يدم الحال هكذا طويلا فكل منهما يحاول أن يلفت الانتباه لدى الآخر حتى يرى بعضهما وكأنها صدفة كبرياء الحب، ويا له من كبرياء.. يتهافت العشاق للحديث لكن لا يمنعهما سوى كبرياء الحب الجميل، حاولت أميرة أن تلفت انتباهه إليها فألقت بقلمها على الأرض... إن أجمل شيء في الحب أن يتجاهل كل منهما حبه للآخر وهما جالسان يخططان كيف يحدث أحدهما الآخر، لكنه فهم حيلتها والتقطها قائلا:

أميره! إيه الصدف دي؟ تصدقي مخدتش بالي منك.. تقول في نفسها: (يا سلام، دا انت عينك كانت هتطلع من وشك وانت بتبص عليا)... هو دا قلمك؟

- آه.. وقع مني.. أنا كمان مخدتش بالي منك.. إنت هنا بقالك كتير؟ في نفسه: (والله أحلى حاجه في الحب شوية الهبل اللي في الأول دا).. الدفتر نقلت منه اللي انت عايزه؟

- الدفتر!.. آه، لا، لسه، إنت محتاجاه ضروري؟

- لا، خالص، بصراحة.. أنا عاوزة منك خدمة.

- اؤمري.

- أنا مش هقدر آجي الأسبوع الجاي لأني مشغولة.. عندي مشروع خطوبة وكدا.. فلو تكتب المحاضرات الوقت اللي هغيب فيه وأبقى آجي آخدها منك.

لم ينتبه في كلامها سوى لكلمه مشروع خطوبة.. وقعه على أذنه كالصاعقة.. لم يتفوه بكلمة كالتمثال أمامها؛ لا صوت ولا حركة؛ فقد اختفت الأصوات من حوله ولم يعد يسمع سوى صوت ضربات قلبه.

- أنا النهار ده مش هحضر باقي المحاضرات لأن عندي مشوار ضروري فيا ريت لو تكتب محاضرة النهار ده كمان.. نظرت إلى باب المدرج فوجدت من ينتظرها فأشارت إليه

برأسها أنها قادمة ثم نظرت لحسام وقالت: أنا هستأذنك بقه عشان مشغولة.. زي ما قلت لك عندي مشروع خطوبة.. عقبالك، عن إذنك.. سلام.

لم ينطق الفتى بحرف فقد وجدها تحمل أغراضها وتذهب إلى هذا الغريب مرة ثانية.. مشروع خطوبة! لعله هو.. لعله هو الخطيب المنتظر.. عريس الغفله الثري الذي يفضله الآباء دائما.. ظل خيال الفتى يرسم له ما ينفره قلبه وهي مع غيره تشاركه حياتها وضحكاتها وكل شيء.. جلس في صدمة وعليه علامات التعب.. فجأة.. نبيل...

- حسام، إنت كويس؟!

- تعبان يا نبيل، تعبان.

- فين علاجك؟... أشار لجيبه فأخرج حبة ووضعها في فم صديقه.

- حسام، نروح المستشفى؟ حاسس بتعب جامد؟

- لا، لا، هبقى كويس.

- ما دام إنت تعبان كدا.. جيت ليه النهارده؟

- أميرة..

- ما لها؟!

- هتتخطب.

- وهو دا اللي خلاك كدا؟! إنت مجنون.. تضيع عمرك ونفسك علشان واحدة؟

- بحبها.

- يا أخي ملعون الحب اللي يضيع صاحبه ورا الشمس.. وبعدين عرفت منين إنها هتتخطب؟

- قالت: إن عندها مشروع خطوبة، والشاب اللي بييجي كل مرة.. جه أخدها ومشى.

- الله.. برضه مهما كان.. مش لازم تضيع نفسك.. إنت عندك أهلك واخواتك محتاجينك.. نسيت كل دول للحظة؟

- أنا ما فكرتش غير في كلامها.

- طب روّق، روق، لو ليك نصيب فيها ما فيش قوة في الأرض هتمنعك، ولو مش لبعض ما فيش قوة في الأرض هتجمعك بيها؛ فسيب أمرك لله.

- اللهم إني أفوض أمري إليك.
- قوم أوصلك للبيت.
- والمحاضرات؟
- ما تقلقش.. هاتصرف أنا واخدها من أي حد هنا.. قوم يلّا أروّحك البيت.

الفصل الثاني

الكل يخبرك أن تلقي الماضي جانبا وأن تستمر للأمام فالحياة لا تسير للخلف لكنك تضرب بهذا الكلام عرض الحائط لأنك لا تجد مفرا للخلاص من الماضي.. حينها لا تلقي الماضي جانبا! بل اجعله خلفك كظهرك يزيد إصرارك لبناء مستقبلك الذي تحلم به.. سامح لكن لا تعد إلى نفس القاع الذي حاولت الهروب منه، أشرع رأسك للسماء.. للنور، واجعل ظلام الماضي خلفك؛ اجعل خوفك منها دافعا لأن تركض مسرعًا لتحقيق مستقبلٍ خالٍ من الماضي فليس كل خوف ضعفًا؛ فهناك خوف يقوي القلب.. يجعله ينبض ليبعث من جديد! هناك خوفٌ يحولك لإنسان أقوى يخافه كل خوف!

براثن الماضي

لم ينم للفتى جفن طوال الليل؛ كلما حاول أن يطفئ النار المنقادة بقلبه تشتعل مرة أخرى.. يشعر بالاختناق.. لحظاتٍ وسوف تذهب روحه سدى؛ لم يجد مفرا من فتح صفحتها مجددًا ليجد ما يبرد قلبه، يفتح الرسائل لعلها قد بعثت لأحد برسالة وما في الحسبان قد كان..

كتبت:

وحشاني يا روح الياسمين، مش لاقيه حد أتكلم معاه زي ما كنا بنتكلم.. قررت أن أكتب لك.. أيوه مفيش غيرك أفضفض ليها وأشكي لها عن اللي جوايا، الإنسان لازم كل فترة يطلّع اللي مكبوت جوّاه عشان ما ينفجرش ويروح على الفاضي.. أنا مش خايفة من الموت لكن أنا مش عايزة أكون إنسانة عادية.. مش عايزة أموت من غير ما تكون صورتي للناس كويسة.. مش عايزة أكون زي أي حد بيعيش ويموت.. روتين حياة البشر دا روتين شغّال على الكل واللي بيفوق منه بيكتشف إنه حياته روتينية ملهاش معنى.. الإنسان يتولد.. يكبر.. يتجوز.. يخلف.. وفي النهاية.. يموت زيه زي أي حد تاني عاش قبله وهيعيش

بعده، أنا مش عاوزة أكون كدا لكن يظهر إني هفضل اقول كدا لحد ما اموت وساعتها هكتشف إني قضيت حياتى كلام عن التفوق والنجاح والوصول لهدف وانا أول من فقد هدفه في الحياة من أجل الحب في براثن ماضي أليم مش قادرة أنساه...

صديقتي... الحياة ألم لكن كلما تذكرت يا صديقتي إن الدنيا وهبتك لي أبتسم وتعلو ضحكتي من السعادة.. فأنت السر والمأمن والأخت التي لم تلدها أمي.. عارفة إنك مش هتقرئي أي حاجة أكتبها بس على الأقل إنت الوحيدة اللي بتسمعيني وإنت الوحيدة اللي برتاح في الكلام معاها لما بنجرح وأحاول لم شتات نفسي من جديد!

٢٠١٠

داخل الحرم الجامعي

- أخيرا خلصنا المحاضرة.

- إنت مملة يا أميرة.. مملة!

- يا سلام، وإيه الملل بقه يا ست ياسمين؟

- يعني محاضرة جميلة زي دي بتضيعها في كلام فاضي.

- مش بتكلم على المحاضرة نفسها؛ أنا بتكلم على الزفتة اللي كانت قدامي اللي أفقدتني تركيزي.. أنا هفرقع، هفرقع.. يااااه!

- نفسي أفهم إيه اللي هيفرقعك كدا..

- يعني مش شيفاها وهي نايمة على كتفه؟!

- يا لهوي.. أقولّك حاجة حلوة يا صديقتي العزيزة..

- قولي يا اختي..

- في نص الجامعة مكان واسع أوي، روحي فرقعي نفسك هناك.. وغوري من قدامي.

تنظر لها بغضب: ما تبصليش بالشكل دا يا بنت انت... واحد وواحدة بيحبو بعض؛ إنت ما لك انت؟

- مستخسرة فيها الواد بصراحة.. الواد مزّمزّ، وهي شبه البصلة أم شراشيب.

- إيوا بقه.. قولي لي إن الواد طالع من عينك.

- ولا من عيني ولا حاجة.. بس هي سمعتها مش ولا بد، مش عارفة النصيب دا بييجي ازاي.. تلاقي بنت جميلة أوي تقع في حب واحد شبه الباجور المصدي.. وتلاقي ولد مزّ مزّ ويقع في بنت أخلاقها هباب وشبه حزمة الكرّات!

- لما بتنزل القسمة من السماء بتنزل على عيون الأحبة العما..

- بتّ!

- عيون البتّ..

- تفتكري في يوم هلاقي حد يحبني؟!

- أكيد.. محدش بيعيش من غير حب.

- بس انا حاسة إن عمري ما هلاقي اللي يحبني.

وضعت يدها على كتف صديقتها وضمتها قائلة: يكفي إن انا بحبك!

- فعلا، يكفي إن انت في حياتي... تق، بس ما ينفعش أعيش انا وانت نحب بعض يعني.. انعدمت الرجالة خلاص؟!

- بقولّك إيه.. يوم ما تقفل في وشنا وما نلقيش راجل يحبنا أعمل عملية أقلب راجل واتجوّزك وأحبك.. إيه رأيك؟

- يع.. إيه القرف دا، أخرتي أتجوزك إنت!

- نعم؟! إنت تطولي.. قدامك أهوه شاب رقيق ووسيم.. عيبي إيه يعني؟

- عيبك إنك هتكوني صحبتي... هههه... بس مش متخيلاكي وانت بشنب.. هههه.

- آه يا.. شنب، هي دي أخرتها؟

- إيه؟ وما له الشنب مش هتبقي راجل وقتها؟ هههه..

- لا يا اختي.. ما دام فيها شنب يبقى خلاص شكرا.. مش عايزة أبقى راجل.

- هههه، تبقي تسبيني أتمنى براحتي وأتخيّل إن فيه راجل بيحبني في الدنيا دي وجاي في الطريق.

- أكيد، أكيد.. بس ركزي انت في المحاضرة، وهو هييجي على مهله.. جايز وقف في كمين ولا حاجة!

- كمين؟ طيّب خليه في الكمين ويلّا بينا نروّح.

- لا.. أنا جعانة؛ تعالي نروح مطعم ناكل.

- لا، سيبك من المطعم.. تعالي اتغدي معايا.. ماما عاملة صنية بطاطس باللحمة في الفرن وانت بتموتي فيها.

- أوك.. هيا بنا يا أوزعتي!

يعيدها صوتُ المحمول من حياة الدفتر الأحمر التي تقرأ فيه فتنتفض من مكانها تبحث عنه، تجده في غرفة النوم، المتصل بابا (حماها).. ترد في خوف!

- ألو.. أيوه يا بابا، حسام كويس.

- حسام كويس؟ أنا اتصلت أطمّن عليكم؛ تليفون مامتك وندى مغلق.. إنتم كويسين؟

- الحمد لله، كويسين.. لو عايزهم ضروري أروح أخبّط عليهم.

- هما مش معاكي؟!

- لا، أنا في شقتي.

- طب شوفيهم كدا وطمّنيني.

- حاضر.

تدقّ الباب عدة مرات لكن لا يبدو أن هناك أحدا.. تعجبت أين ذهبوا؟!

تنادي، على بواب العمارة.

- عمِّ مجدي.. عمِّ مجدي.. تعالى بسرعة.

عمِّ مجدي.. في هرولة...

- خير يا مدام دعاء؟

- همَّا الجماعة راحو فين؟

- الجماعة نزلو منْ حوالي عشر دقايق للمستشفى.. وقالو لي.. أخلي بالي من حضرتك؛ لو محتاجة حاجة، ما رضيوش يقلقوكي.

- طيب يا عمِّ مجدي، كتّر خيرك.

- الحاجة مش هتيجي على الفطار، وقالت لي: اشتري أكل، عشان ما تتعبيش نفسك بالطبيخ، تحبي بقه أشتري لك إيه؟ بيتزا زيّ كل مرة؟

- إنت فاكر يا عم مجدي؟

- يعني هنسى بنتي اللي ربّتْها على إيدي؟ ومتربية على البيتزا والشيبسي؟ هيه...

- كتّر خيرك يا عمّ مجدي... على كلّ حال أنا عندي أكل في التلاجة.. لو احتجت حاجة هنادي عليك...

- ماشي يا بنتي...

تتصل على حماها، وتخبرهم أنهم في الطريق..

لم تتوقع أنْه أشْرقَ عليها يوم جديد، وهي ما زالت تقرأ هذا الدفتر الذي حملها لعالم آخر.. شعرت بالإرهاق، أثنت آخر صفحة قرأَتْها، ذهبت لغرفتها، وما إن وضعت رأسها على المخدة، حتى انهالت عليها أسئلة لا تعرف لها جوابا؛ كيف وصل الدفتر إلى زوجها؟ ولماذا لم تكتمل قصة الحاكم الشاب الذي يخشى أنْ يعود لوالده بالهزيمة؟ وماذا بعد ما قرأت؟ ما النهاية التي ترغب بها حتى يرتاح قلبها؟

سألت نفسها: هل زوجي لم يعشق غيرها؟ حتى وإن كان الأمر هكذا فهي الآن عنده كل شيءٍ والعبرة بالخواتيم.. تنهدت وقالت بصوت عالٍ:

يعني لو ما زال بيحبها هتعملي إيه؟ حتطّلقي؟ إنت غبيّة.. وبعدين بتفكري في إيه دلوقتي وحب إيه، وكلام فارغ إيه، دا جوزك وبيحبك وعايش معاكي ومستنيين نونو جاي في السكة.. عايزة أكتر من كدا إيه؟ ليه بتفتحي صفحات الماضي؟.. عايزة تشبعي احتياجك وبس، ولّا إنت مشْ واثقة إنّه بيحبك.. بس مستحيل إنه مش بيحبك؛ دا ركع قدامك وطلب إيدك للجواز وقالك: بحبك... إيه التخلّف دا؟ إنتي بقيتي معاه خلاص وانتهى الموضوع..

تُقْ، أنا مش هقرأ الدفتر دا تاني.. أصلا ما لوش لازمة.. أكيد كل واحد بيكتب يومياته بحلوها ومرها عشان تكون ذكرى مش أكتر أو على الأقل يملى الفراغ اللي عنده وانتهى الأمر.. جوزك وحبيبك بين الحياة والموت وانت قاعدة تقرئي حاجات حصلت من زمن فات مش هتنفع ولا هتضر!...

سيبك من الماضي.. خلاص راح مع ناسه وذكرياتهم وخليك انت في الحاضر مع اللي قلبك وحياتك... اللي فات اندفن من زمان ومستحيل تحييه حتى لو كان إيه...

آاااااااه.. نامي شوية عشان تقدري تقومي تروحي لجوزك حبيبك والدفتر دا انسي أمره تمام واحرقيه كمان إن لزم الأمر.

وما إن أغمضت عينها حتى ذهبت في نوم عميق جدا.. وفجأة سمعت صوتا في الغرفه وشعرت بأحد يضع يده عليها.. فتحت عينيها فوجدت ما لم تتوقعه..

- أميرة؟!

اعتدلت في جلستها... إنت.. إزاي...

ابتسمت: ما تخافيش.

- إنت إيه جابك هنا وجيتي ازاي؟

- حبيت أطّمّن عليكي واطمنك.

- تطمّني عليا؟! ولا جايه تخدي حسام مني؟!.. مستحيل أخليك تخديه، إنت فاهمة..

- بتحبيه؟

- اللي بيننا أكتر من كلمة حب!

- أمال ليه بتقرئي الدفتر؟

- الدفتر؟! وانت عرفت ازاي إني كنت بقرأ فيه؟... وبعدين أنا هحرق الدفتر دا نهائي؛ مش محتاجة أعرف اللي كان بينك وبينه.. دا حتى اسمه كان.. أنا دلوقتي مراته.

ابتسمت قائلة: لسه مغرورة زي ما انت... تعرفي إن حسام كلمني وقالّي: إنت وحشاني موت.. أنا بحبك ومشتاق أشوفك.

- إنت كدّابة... ثم انت إزاي تدخلي هنا وفي أوضتي؟

- أنا أدخل أي مكان أنا عايزاه.. وبعدين حسام إدّاني المفتاح حتى شوفي... رفعت المفتاح أمام عينيها، تحرّكه يمينا ويسارا؛ استفز هذا دعاء.. فهمّت أن تخطفه لكن أميرة أسرعت وأخفته بيدها قائلة:

هيه.. اللي بيني وبينه أكتر من اللي بينك وبينه.. حسام محبش غيري ولا عمره هيحب غيري، ولما يرجع من المستشفى هيطلقك وهتجوّزه أنا وهعيش هنا في شقتك وهنام هنا جنبه على فرشتك.. (تضحك)، أصلا هو تعب لما قلت له إني هبعد عنه لو ما طلقكيش؛ هو بس كان مستني إنّك تولدي عشان خايف على الأولاد مش عليكي حتى.

- إنت كدابة... مستحيل يكون ما بيحبنيش، مستحيل... أنا مراته أم ولاده، أما انت خطافة رجالة.. عشيقته.

- لا، لا، لا.. تق، تق، تق.. هو حسام ما قالكيش ولا إيه؟!

- قالّي!.. قالّي على إيه؟!

- أنا وحسام... متجوزين..

لم تتمالك دعاء نفسها من الصدمة.. وضعت يدها على بطنها من الألم.

- إيه.. اتصدمتي.. هيه... تحبي أصدمك أكتر؟... هه، أنا... حامل وكلها أربع شهور وأولد... مفجأاااة!

- كدابة.. كدابة... أنا هروح لحسام وأسأله أكيد انت كدّابه ومجرمة وخطافة رجالة.. اطلعي بره بيتي.. همّت دعاء أن تضربها على وجهها لكن أميرة مسكتها بقوة وقالت في هدوء: أنا ولا كدابة ولا مجرمة.. أنا مراااااااااته.. ثم بدأ صوت أميرة يتغير لصوت مخيف وهي تردد: مرراته.. مرااته!

ترتعب دعاء وفجأة تنتفض من السرير غارقة في عرقها متسارعة الأنفاس تبحث في غرفتها وفي الشقة عن أميرة.. لم تجدها، استقر بها المكان في غرفة الجلوس، جلست كما كانت سابقا، أرخت جسدها المرتعش ويدها على قلبها قائلة: أووووف.. إيه الكابوس دا، مستحيل... الحمد لله إنه حلم.. حلم ايه دا كابوس.

ياه.. أنا نمت أربع ساعات، حسيت إنهم أربع دقايق، تمسك التليفون لتطمئن على زوجها..

- ألو يا ندى، حسام عامل إيه؟

- الحمد لله يا دعاء، الدكتور بيقول كويس.

- أنا ساعة وجايه يا ندى.. ماشي؟

- لا، ما لوش لازمة تيجي.. أصلا هو كويس بس احنا هنقعد هنا.. خليكي انت ولو أي حاجه حصلت رني علينا أو نادي عمي مجدي.. ماشي؟

- ماشي.. لو فيه جديد عرفيني يا ندى.. طمنيني أول بأول.

- أوك.. سلام.

تحتار.. تريد قراءة الدفتر وفي نفس الوقت لا تريد.. تسأل نفسها: هل تزوجها حسام يا ترى؟! يا للغباء.. دا مجرد كابوس.. تذهب في غضب وتلقي بالدفتر في الحوض.. تبحث عن كبريت.. تشعل عود الثقاب وهمت أن تحرقه حتى عاودها الكابوس مرة أخرى وظلت تفكر فيه، تعيد النظر في أمر إحراقه حتى كادت أن تُلسع من عود الثقاب فأطفأته وأخذت الدفتر مرة أخرى وعادت تقرؤه وهي مترددة.. لكنها استمرت من مكان ما انتهت..

٢٠١٠

- أميره.. أميرة.

- نعم يا بابا.

- جهزي نفسك النهارده.

- أجهز نفسي؟! ليه.. خير؟

- جايلك عريس.

- عريس؟!

- آه، عريس.. ما لك اتخضيتي ليه؟

- أصل حضرتك فاجأتني.

- اتفاجأتي ولا فرحتي؟

- لا، اتفجأت.. أصلا الموضوع مش في بالي.

- في بنت في سنك تقول كدا؟ دي اللي أصغر منك مخلفة ومعاها دستة عيال.

- أنا مالي بغيري.. أنا بفكّر في نفسي وبس.

- وأنا بفكر يعني في مين؟ مهو فيكي يا روح قلب بابا.. يلّا روحي قولي لماما على اللي قلتهولك عشان تجهزو نفسكم.

- هو العريس دا جاي إمته؟

- الساعة ٧.

- النهارده؟!

- أيوه.. يلّا انت لسه واقفة؟!

- حاضر.

ذهبت لأخبر أمي وقلبي يردد بخوف: عريس!

هل سيكون رجلا علي وتتحطم أحلامي على يده؟ أم سيكون رجلا لي ويأخذ بيدي لأحلامي؟.. وأي رجل سيكون زوجك وله متطلبات وحياة غير التي أحياها.. ومن يدري هل سيدللني مثل والدي أم أنه سيتعامل معي كجارية تلبي طلباته ولا يهتم بما لها من طموحات وأماني ويحول أمانيها إلى سلم لكي يحقق هو متطلباته وأحلامه؟..

كلمه عريس تأتي على آذان الفتيات بالفرح والسعادة؛ فقد جاء الفارس الذي سيأخذها على الحصان الأبيض ولكن بالنسبة لي ملك الموت الذي سيأخذ أحلامي وطموحاتي وسعادتي إلى أرض لا طريق لها.. سيأخذها لأعماق المحيط وأنا لا أستطيع السباحة!

كل ما كان يدور في ذهني أن أنتهي من عريس الغفلة مثل غيره من العرسان، أطلع فيه العيوب التي أراها وأخمن لها من أول لقاء يجمعني به.. إن كان رجلا حقا فسيظهر حقيقته من أول لقاء لكما ويتحدث عن نفسه بصدق، أما الرجل الناصح كما يقولون هو من يخبئ عيوبه حتى تدخلي بقدمك اليمنى عش الزوجية التي كنت تحلمين به وما إن تدخلي حتى تجدي الجحيم التي ترغمي على تحمله خوفا من القال والقيل وعشان خاطر العيال اتحملي.. صممت أن أرفضه ولكن ماذا إن لم أجد عيوبا؟! حينها ليقف المولى جانبي.. وبالفعل حان وقت وصوله.. حتى اتصلت برفيقتى هدى..

- ألو..

- أيوه يا هدهد.. ازيك.

- الحمد لله، مالك.

- جايلي عريس.

- يا دي الهنا.. اسمه، شكله، مؤهله ،عيلته، يلّا قري.. اعترفي.

- ولا اعرف عنه أي حاجة.. لسه بانتظاره.

- أمال بتتصلي ليه؟!

- هو ايه اللي بتصل ليه؟!

- آه.. بتتصلي ليه.. اتصلي بيا لما تجيبي السي في بتاعه.. وبعدين أقولك رأيي فيه.. يلّا سلام.

- بت يا.... آه يا جزمة.. قفلت الخط... ما فيش غير سومة وكيري، بس كيري بتصيف.. يبقى سومة.

تتصل: ألو يا سومة.

- خير يا أوزعة؟

- يا ساتر يا رب.. فيه إيه يا بنت؟

- قايمة من النوم عايزة إيه؟

- هو كل أما أكلم واحدة تقولي: عايزة إيه؟

(تضحك): يبقى أكيد كلمتي هدى.

- آه، بقولّها جايلي عريس وكدا وباخد رأيها قفلت السكة في وشي.

- أكيد قفلت بعد اما لقيتك مش عارفة السي في بتاع العريس.. أنا عارفة.

- هههه.. وعرفتي منين؟

- ما تبقاش صاحبتك إلا لما تسألك عن العريس اللي متقدم لك، وتلاقيكي مش عارفة عنه حاجة، وتقفل السكة في وشك.

- طب يا ناصحة.. أنا مش عايزاه.

- هو انت لسه شوفتيه؟

- لا.

- مش كان نفسك تتحبي؟

- آه.

- أمال متنّحة ليه؟

- ما بحبش جواز الصالونات.

- جواز الصالونات في الزمن دا بيستمر أكتر من جواز الكافيهات.

- خايفة لمحبوش.

- استني وشوفي العريس لعله خير.. اجري يلّا وابقي قوليلي عملتي ايه... سلام.

- سلام.

تساءلت: هل يا ترى هو الحب الذي أنتظره؟ لم أرغب في إشغال بالي بهذا الموضوع كثيرا.. فهناك مليون طريقة بإمكاني استخدامها لتطفيش أحسن عريس.. وجاء موعد اللقاء فوجدت العريس المنتظر هو شخص أعرفه جيدا.. إنه ابن صديق لأبي.. ارتاح قلبي قليلا فأنا أعرف أخلاقه جيدا ولطالما ارتحت في اللقاء.. بقه عندما أقابله صدفة وأعلم أنه ليس من الرجال التي تتحطم على عتبة بيته أحلامي ولكن رغم هذا لم أستطع قبوله كزوج لي.. شعرت أني لم أحب نظراته التي تتفحصني من أعلى لأسفل فهي غير النظرات التي أعهده بها.. وكان إحساسي في محله ففي أول كلام بيننا قال:

ازيك.. عاملة ايه؟

- الحمد لله تمام.

- ما بتضحكيش ليه؟

تبسمت ابتسامة خفيفة ظهرت لها غمازات..

- الله.. إنت عندك غمازات؟

- يظهر كدا.

- إنت هتعملي نفسك مكسوفة؟

نظرت له باستغراب: أكيد مكسوفة.

- على أساس إنك ما كلمتيش أولاد قبل كدا..

- أبدا..

- كل البنات بتقول كدا وبنلقيهم مقطعين السمكة وديلها؛ فمتعمليش نفسك مكسوفة.

- هي بقه كدا من أولها؟

- لا، لا، لا.. بهزّر يا سوسو.

- سوسو مين؟

- دلعك من هنا ورايح سوسو.

- أنا دلعي ميرو.

- مبحبش اسم ميرو.

- خلاص قول: أميرة، وبلاها دلع.

- إلا قوليلي.. عنيكي دي ولا لينسز؟

- عيني.

- نظرك كام بقه على كدا؟

- ليه.. خير؟

- عشان اشوف لو نظرك ضعيف أغير رأيي في البيعة.. مهو أنا مش هتجوز واحدة تحسس في البيت عشان تلاقيني.

- إنت شايف إني أنا حاجة للبيع؟

- هههه.. بهزر، بهزر.

- آه.

أسلوب مستفز لكني تعاملت مع الموقف بمرونة مطلقة وابتسمت لكن نيران الغضب اشتعلت بيني وبين أسرتي بعد مغادرته.

- عجبك يا ماما اللي البيه العريس قاله؟

- دا بيهزر.

- وهو في هزار بالشكل دا.. أنا مش موافقة عليه.

- هو كل ما يجيلك عريس تقولي: مش موافقة عليه؟ ايه حكايتك بقه؟ قولي لابوكي اللي بتقوليه دا.

- ما انا مش هتجوز غصب عني.

- وهو حد جاب سيرة جواز دلوقتي.. إنتو هتتخطبو لبعض وربنا يصلح الحال في الجواز.

- لا، لا، أنا مش عايزاه يا ماما.. مش عايزاه، خلاص!

وكانت كلماتي الشراراة الأولى لبركان من الغضب من كل المحيطين بي وخاصة أبي الذي دخل غرفتي فجأةً غاضبا.. فما هي حجتي الآن للرفض.. شاب طول بعرض، وملو هدومه، وكله أخلاق...

أبي: هو كل عريس مش عايزاه.. إحنا هندق لك واحد على إيدنا كامل الأوصاف.. الواد طول بعرض وكسيب.. جيبه عمران.. هيقدر يصرف عليك وعلى بيته، مش شاب صايع على القهاوي من غير شغل ولا مشغلة.. يا بنتي الراجل ما يعيبوش إلا جيبه... أميرة..

- نعم يا بابا.

- مش عايزة العريس ليه؟

- ما ليش نفس للجواز يا بابا.. وكمان البني آدم دا كلامه لوحده كفيل إني مقبلوش.

- طب في حد في حياتك؟ يعني: زميلك معجب أو حاجة من دي؟

- أبدا والله يا بابا.. بس كل الحكاية: مش لاقيه الإنسان المناسب.. البني آدم دا مش حساه.

- شوفي يا بنتي.. زمان كانت الواحدة تتجوز من غير ما تشوف عريسها، وهو كمان كدا، لكن زمان مش زي دلوقتي.. كل واحد بيشوف عروسته ويقول: آه موافق أو لا.. بس فيه وقت الواحدة ما تقدرش تقول غير كلمة: آه موافقة على أي عريس.. عارفة إمته؟

- إمته؟

- لما يفوتها قطر الجواز وتلاقي نفسها سنها كبر وخلاص هتعنس، أو عنست بالفعل وباقي من عمرها كام سنة لو عدوا مش هتعرف تخلف.. أظن فاهمة قصدي.

- يعني إيه عانس؟

- يعني زي الأرض البور.. ما لهاش منفعة في الدنيا ولا المجتمع.

- ولو اتجوزت وطلعت عقيم.. إيه موقفها في نظر المجتمع؟

- يبقى نصيبها وقدر ربنا كتبه لها.

- يشمعنا بنقول هنا: عانس، وهنا: نصيب، مع إن الحالتين قدر ربنا يا بابا؟! أولا: ربنا ما خلقش إنسان إلا وكان لخلقه منفعة.. في القرآن الآية الكريمة بتقول: (سبحانك ما خلقت هذا باطلا). ثانيا: البنت مش بنقيس منفعتها في الدنيا بجوازها أو قدرتها على

الخلفة.. ربنا ما قلشي كدا في كتابه ولا الرسول قال كدا في سنته.. وبعدين كلمة عانس معناها إن ربنا كفاها شر إنسان كانت هتكمل معاه حياتها.. يعنى ما لقتشي الراجل اللي يصون قلبها وعرضها، يعني لسه مجاش الراجل اللي اتخلقت من ضلعه وتحس بالأمان جنبه.. وهو سندها وضهرها ودنيتها وآخرتها.. لسه مجاش الإنسان اللي يستحق يكون أبو أولادها واسمها على اسمه يعني: ما لقتشي الحب!

- الفلسفة دي ما تنفعش مع مجتمعنا وبعدين: حب إيه اللي بتتكلمي عليه؟! الحب بييجي مع العِشرة.

- وفيه عِشرة بتموت الحب!

- لو ما وافقتيش على العريس دا هتأكد إن فيه في حياتك حد وانت مش بتصارحيني.. دا آخر كلامي.

ازدادت الشكوك أني على علاقةٍ بأحدهم.. لكن ليعلم الله أن وقتها لم يكن يملأ قلبي سوى الدراسة وحلمي في التمثيل والشهرة.. لكن.. كل من كان له يد في الموضوع تدخل برأيه وأبي في المنتصف لم ينطق بشيء سوى جملة يقولها أي أب لابنته فتجعلها تقبل بأي عريس:

نفسي اشوف ولادك قبل ما اموت.

كانت هذه الكلمات كفيلة بأن أقبل هذا الفتى رغما عني خاصة وأنا أعلم أن أبي مريض.. والأعمار بيد الله.

طلبت يومين لأفكر.. وما كاد الموعد ينتهي حتى تمت الموافقة من كلا الطرفين.. شعرت أني مسلوبة الإرادة.. تم تحديد موعد الخطوبة، وتحضير الفستان، وإحضار الشبكة حتى إني لم أستطيع أن أخبره أعز ما أملك في حياتي وهي أنت يا صديقتي بما يحدث حولي.. كانت الأحداث تجري مجرى المياه الساقطة من أعلى المرتفعات.. أكثر شيء أوجعني أني لم أختر أي شيء؛ لا شريك الحياة، ولا شبكتي، ولا حتى فستاني.. التحكم في قراراتي ملك (خالد) العريس وأهله، وأهلي الذين يعاملونني كدميةٍ يزينوها كما يرغبون، ولم يهمني هذا ولا ذاك.. بل كل ما كان يهمني هو النظر إلى عيني أبي فأجده مسرورًا بي، أخيرا سيرى ابنته عروسةً في فستان كان يتمنى أن يراها ترتديه منذ وقت طويل...

أجل يا أبي.. لقد قبلت به، وضعت دبلته في إصبعي، وكان أول نظرة مني لرجل غيرك يا أبي كانت له، وقبلت أن أُعامل كدميةٍ وكل هذا من أجل أن أرى نظرة فرحةٍ في عينيك التي ما رأيت فيها فرحا قط إلا أياما معدودةً على أصابع اليد..

رأيت كفاحك لتعليمي وتعليم إخوتي ولكي تعلي من شأني ولا تجعلني أقل من أي فتاة في سني ورغم هذا ألا أرد لك الجميل بأن ترى أحفادك قبل موتك؟! مضت أشهر على الخطوبة وفى أحد الأيام قلت له:

يا ترى الشاب بيشوف البنت ازاي؟

- أول حاجة الشاب بيدوّر عليها في البنت أخلاقها.

- احنا هنكدب من أولها؟!

- شوفي.. أول حاجة الراجل بيشوها في البنت جسمها.

- كدا هبدأ أصدقك... أكمل قائلا:

لو لقاها ممشوقة القوام كل شيء في جسمها صغير ومحندق بتبقى أجمل في نظره.. تاني حاجه بقا فلوسها؛ غنية ولا لاء، هتورث ميراث يهنيها في المستقبل ولا لاء، وبعدين شكلها.. وشها يعني، وبعدين يخطبها يشوفها هل هي على هواه، لو على هواه ويقدر يمشيها زي ما هو عايز يبقى هنياله وهيتجوزها ويرتاح.. لكن لو مش على هواه يرميها لأي حد تاني.. واهي البنات على قفى من يشيل..

- دا تفكير حيوانات، مش بني آدمين!

- نعم؟!

- آه، حيوان.. بل إن الحيوان أنظف من التفكير الزبالة دا.. في حد متعلم مثقف بيفكّر كدا؟ تفرق إيه بينك وبين الكلب اللي ماشي في الشارع.. دا حتى الحيوان لما بيتجوز بيحاول يفوز بقلب الأنثى اللي قدامه مش بجسمها ومالها.

- هو الدين اللي قال كدا.. الواحد يتجوز الواحدة للمال والجمال.

- وكمان بتحرّف الدين على مزاج أهلك؛ بتاخد اللي ليك وبس.. إنت عامل زي اللي أخد بالآية اللي بتقول: (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى).. أخدت انت: (ولا تقربوا الصلاة)، وعامل نفسك ماشي على دين الله وانت ماشي على مزاج أهلك!

- إنتي كدا بتغلطي ودي قلة أدب.. مش في آخر العمر بنت تهزّأني.. إنتم فاكرين نفسكم إيه.. دا انتم شوية حريم ما لكوش لازمة وزي الهم على القلب؛ العشرة منكم بساغ.

- مهو الغلط مش عليك؛ الغلط على اللي خلفتك ورباتك لما بقيت راجل، وأول ما جيت تطول لسانك طولته على اللي زيها وبتهزأها وتقلل منها.

- الكلام دا هيكسرك في الآخر!

- يكسرني؟! احنا اتخلقنا مش عشان يكسرنا راجل، احنا اتخلقنا عشان نربي راجل... بس يظهر أول ما الراجل بيتربى على إيد واحدة.. أول ما بيقوى بيكسر الإيد دي.

- طب امشي بقه على البيت.

- أنا لو مشيت على البيت دلوقتي لوحدي.. إنت مش هتدخله تاني.

- أحسن برضه.

وما زاد الطين بلة هو عندما تحدثت مع والدته بشأن هذا الاسم الغريب (سوسو) الذي أصر على مناداتي به.. قالت إنه اسم فتاة أحبها في السابق، ازدادت المشاكل حتى انهارت أعصابي.. إلى أن جاء يوم وأخبرني أبي عندما نظر إلى حالي وعيوني المنتفخة من البكاء قائلا:

أنا عمري ما هغصبك على شيء مش عاوزاه.. كان نفسي تتخطي واهو انتي مخطوبة.. بس بالطريقه دي أنا مش فرحان؛ أنا هفسخ الخطوبة وهبعت لأهله ييجو ياخدو شبكته.. رأيك إيه؟!

أجابته دموعي المتساقطةه دون إرادتي؛ فقرر أبي ما أرغب فيه ولا أستطيع النطق به. على الرغم من أني لم أكن فرحة بهذه الخِطبة لكني أقنعت نفسي أن أعيش اللحظة.. لحظة ارتدائي لفستان عروسة والزفة وما إلى ذلك لكني بعدها اقتنعت أن عيش اللحظة يأخذك إلى وهم آتٍ لا محالة...

فقدت الثقة في نفسي بسبب رجل، لم يواسيني أحد غيرك يا صديقتي.. حتى أبي اعتذر مني لأنه لم يحترم رغبتي في البداية برفض هذا الشاب.

أتعلمين أكثر شيء اشتقت له في هذه المحنة.. هو وجودك بجانبي.. اشتقت لك يا صديقة عمري أن تأتي وتأخذي بيدي وتضميني في حضنك وتقولي لي:

خلاص بقه بلاش عياط.. ربنا هيعوضك إن شاء الله!

ولكن هل فعلا سيعوضني الله في التو واللحظة عما حدث أو حدث نتيجة خطئي بأني لم أصمد أمام من يدخل ويهب ويدب في حياتي؟ لا أعلم.. لكن ما أعلمه أنني اشتقت لك...

لم أعد أرغب إلا في وجودك معي وخروجاتنا المتكررة على المكتبات وقراءة قصص الحب الخيالي؛ أتذكرين.. أتذكرين عندما كنت تقرئين إحدى الكتب وفجأة ضحكتِ ضحكة مدوية في المكتبة أثارت من حولك.. وعندما قربت منك لأسالك عن سبب الضحكة لم تجيبني سوى أن أعطيتني الكتاب لأقرأ ويا ليتني لم أقرأ! لم أستطع أن أتمالك نفسي حتى ضحكت أنا الأخرى وضحكت لضحكي حتى دمعت عيناناً، وضحك من بالمكتبة على ضحكنا؟ أتذكرين يا صديقتي ما الذي أضحكنا؟!..

مع الأسف لم أعد أذكر! يا ليتني تذكرت ما الذي أضحكنا في هذا الكتاب لأجعلك تضحكين الآن.. فقط أصبح ضحكك أمرا شاقا علي!

أشتاق لصداقتنا.. أتتذكرين؟!

- أميرة، اكتبي انت المحاضرة.

- يشمعنا.

- أنا هموت وانام.

- وانا كمان.. طب انا هقول لهدى تكتب.

- هاا أنا سمعاكم يا اختي منك ليها.

- يا ساتر... متكتبى انت المحاضرة يا هدهد لأن هموت وانام.

- أنا مش قادرة اكتب لأن بصراحة جعانة.

- ومين سمعك كلنا جعانين وعاوزين ننام... بقولك إيه: إحنا هنقعد في آخر المدرج ننام براحتنا وتعالي جنبنا اكتبي.

- أنا لو رجعت ورا مش هكتب.. هنام معاكو.

- يووووه، خلاص ماشي هكتب انا.

وما إن جلسنا في آخر المدرج حتى نمتِ يا صديقتي على كتفي ونامت هدى على كتفك.. كنت أنظر إليكما وأشعر أنكما لستما صديقتين لي بل توأمتان لروحي.. إحساس جميل بالصداقة لا يمكن وصفه.. لقد خلقنا الله لنكون معا أصدقاء.. ذهبنا للكورنيش، دندنت بصوتي:

على بالي.. عارفين أغنية على بالي؟

ساد الصمت فدندنت: على بالي حبيبي على بالي.. على بالي على بالي ابن بلدي على بالي..

هدى: لا يا مصري.. لا، ولا، لا وألف لا.

الاتنان معا: تهجر بلدك وتسبنا.. بلدك بيك أول

ياسمين: على بالي ابن بلدي على باااااالي... آه والله على بالي.. فين حبيب القلب يا بلد؟ي كان بعيد عني وكل ما بغني بفكر فيه، آه والله بفكر فيه.

- فعلا بتفكري فيه.. دخلتي أغنيتين في أغنية.. هههه.

- مش فاكرة إلا الجملة دي من الأغنية.

غنت أميرة: كلمة حلوة وكلمتين.. حلوة يا بلدي.. غنوة حلوة وغنوتين..

- حلوه يا بلدى.. فين حبيب القلب يا بلدي؟ كان بعيد عني وكل ما بغني بفكر فيـــــه.

تفجأهم هدى بصوت غليظ: حب إيه اللي انت جاي تقول عليه..

فتنظر إليها أميرة قائلة بتلقائية: أعوذ بالله.

ينفجر الثلاثة بالضحك المستمر حتى تدمع عيونهم.. لم تكن دموع حزن بل دموع الفرحة التي لن تعود أبدا!

لكن يا صديقتي سبحان مغير الأحوال؛ فقد تغير خالد بعد فسخ الخطبة إلى شخص آخر.. اتصل بي ورغب في مقابلتي، رفضت في البداية لكنه توسل لي.. قابلته ولم أتوقع ما حدث.. اعتذر لي عن سوء تصرفه.. أعمى الحمق قلبه الممتلئ بحبي وخوفه من بعده عني جعل لسانه يتلفظ بما لم يتلفظ به قط فأساء معاملتي.. هو رجل يعشقني،

كلما تقابلنا صدفة يتغزل في حبي في دفتر أشعاره، كلما غفلت عيناه يحلم بي بين أحضانه في قصور العاشقين، كلما رأى فتاة لا تحلو في عينيه غيري، عندها لم أتمالك قلبي ولم أسيطر على دقاته التي رقصت على أنغام اعترافه، لم يكن رجلا يعترف بحبه لأنثى بل ملاكا ينتشلني من ربوع اليأس من وادي الحب المفقود إلى جنة الحب المرغوب..

أحببته! أجل أحببته! لا أريد أن أخبرك يا صديقتي أني رغبت في تقبيله وهو يقول لي:

منذ الوقت الذي تركتني به وأنا حياتي أصبحت جحيما وأصبح قلبي ظلمات.. أضاء الله ظلماته بحبك فلتغفري لي ولتسمحي لأخطائي أن تغتفر.

آاااااااه من لوعة الحب.. آاااااه وألف آااه... لم أتذوق لوعة الحب قبل هذا اليوم، الحب هو أفيون القلوب، أم أقول موروفين القلوب الذي يريح القلب بعد طول انتظار.. وأدمنت الحب بعد هذا اللقاء!

ولن أخفي عليك سرًّا يا صديقتي؛ كان قلبي كالصحراء المتعطشة لقطرة حب وها قد جاء الحب ليروي ظمئي، وما خفي كان أجمل!

في يوم لن أنساه أبدا اجتمع إرهاق جسدي من المحاضرات بإرهاق عقلي وقلبي الذي ما زال يفكر ويعيد كلامه ومشاعره لي.. فجأة دخلت أمي قائلة:

أميرة، جهزي نفسك بالليل.. فيه ضيوف جايين النهارده بالليل.

- ضيوف مين اللي جايين فجأة كدا؟

- عريس يا قلب ماما.. عريس.. أغلقت الباب ولم تعطني فرصة للرد، عريس أخر! وماذا عن خالد العاشق المتيم بحبي؟، كنت أنت ملاذي يا صديقتي؛ انطلقت إليك لأخبرك.

- ياسمين، جايلي عريس؛ أعمل إيه؟

- أيوه يا عم، عيني على الناس اللي كل دقيقة العرسان تخبط على بيتها، مش انا مسكينة يا عيني!

- وحياتك ما لوش لازمة تريقة.. أنا أعمل إيه دلوقتي؟ افرضي أهلي صمموا عليه زي المرة اللي فاتت، وبعدين خالد أعمل معاه إيه دلوقتي؟

- أنا مش مرتاحة لخالد دا يا أميرة.

- دا واحد اعترف لي بحبه وبعدين انا عايزة أعترف لك بحاجة؛ أنا يظهر كدا بحبه انا كمان!

- بلاش تثقي في حد جرحك قبل كدا حتى لو جرحه ليك أول مرة يعملها؛ لأنه قدر يجرحك بإرادته وقادر يجرحك مرة واتنين، اللي يجرح حد مرة قادر يجرحه مليون مرة ما دام بإرادته مش غصب عنه، قابلي العريس دا وربنا يكرم.. وبعدين لو ما عجبكيش أي عريس يجيلك حوّليه على بيت صاحبتك الغلبانة دي.

- أوعدك أي عريس ما يعجبنيش هحولهولك.. (تضحكان).

جاء الضيوف وسمعت صوتا مألوفا لدي لكن كلما اقتربت من الغرفة لم يغيب عن تفكيري هذا الحبيب الذي كشف النقاب عن قلبه واعترف بحبه لي؛ (خالد).. لقد أحببته من قبل وأنا لا أدري! هذا المتقلب في صدري خانني وحبه قبل خطبتي به.. أتدرين كيف؟!

تذكرت كل لحظة لقاء جمعتني به حتى لو كان لقاءا عابرا لنا في الشارع بابتسامته، بنظراته، العديد من الذكريات كان يحملها هذا المتقلب ويخفيها عني ولم تظهر إلا في لحظة طلب المغفرة ولحظة طلب يدي للخطبه الثانية لنا.

أجل كان هو العريس رقم اثنين.. صاحب الصوت المألوف ولكن هناك شيء غريب حدث معي وشعرت به فالفتاة التي دخلت لمقابلة أول عريس ليست كالفتاة التي قابلت الثاني؛ الخجل لم يكن كالخجل، والخوف والشغف لم يكونان نفس الخوف والشغف، أغاني الحب التي سمعتها من قبل ليس لها نفس الطعم في أذني؛ لقد تغير الإحساس بكل شيء وفي فترة وجيزة كتغير الطقس في ليالي الشتاء الشرقية!

حالة غائمة أصابتني في ريعان أول تجارب الارتباط والعاطفة، ثم يدفأ هذا الطقس البارد بشمس الحب التي ازدهرت في حياتي من جديد..

ما إن جلست معه حتى أخبرني بما لم أتوقعه!

- أنا بحبك وبعشق التراب اللي بتمشي عليه.

هذا الحب جعلني كالتمثال لا أستطيع الحراك أو النطق بحرف.. كل ما فعلته أنني تسمرت في مكاني ولا أصدق ما أسمع بأذني.. ثم أكمل قائلا:

لما عرفت إنك سبتيني ورجعتي الشبكة عيّطت وحسيت إنّي مخنوق والدنيا اسودت في وشي، وإني ما عدش ليه هدف أعيش ليه لأن انت كنت هدفي من زمان اللي بتمناه بس كنت خايف رغم كل الشوق دا إني.. إني... يعني..

في اهتمام شديد: إنك إيه؟

- إني أترفض سواء منك أو من والدك ووالدتك عشان اللي حصل قبل كدا.. بس انا قلت اللي ليه هدف مهما كانت العواقب ما يسيبوش وعشان كدا قلت أتشجع وأتقدم لعل وعسى إن هدفي يرضى بيا!

كف عقلى عن التفكير وتولى قلبي القيادة فباتت دقاته هادئة وكأن ما يخرج من فمه ليست كلمات بل كامنجة تعزف على أوتار قلبي.. تعزف ألحانا لم أعهدها من قبل.. ألحان الحب والشوق، الحب الذي انتظرته طويلا!

سبحان الله مغير القلوب من حال إلى حال في وقت قصير؛ فهذا التغير السريع الذي حدث لنا ذكرني بشيء قد حدث لي في الماضي؛ فأنا كدت أن أُحرَم من التعليم الجامعي.. عندما نجحت في الإعدادية قال لي أبي:

أميرة.. تعالي، عايز اتكلم معاكي شوية.

- حاضر يا بابا... خير، في إيه؟

- إنت عارفة إني اللي جاي على أد اللي رايح ومصاريف أحمد في الثانوية كانت كتيرة عليه.. دا غير إنه كان بيشتغل وبيساعدني في الصيف، يعني اللي بيشتغله في الصيف على قرشين من معايا كنت بقدر أدّيله دروس لحد ما دخل كلية تجارة وبيشتغل وبيصرف على حاله، لكن انا مش هقدر على مصاريف الثانوية بتاعتك وكمان لسه أختك اللي أصغر منك نفسها تكون مهندسة.

- بس نا عاوزة أتعلم يا بابا.

- وانا والله يا روح بابا نفسي أعلمك وأشوفك أحسن بنت في الدنيا.. بس انت عارفة الحال فانا بقول بلاش ثانوية عامة وادخلي ثانوي صناعي.. قلت إيه؟

كانت دموع عيني هي الرد الأمثل وأخذت نفسي ودخلت غرفتي في بكاء مرير... لما الظروف قاسية هكذا؟ لماذا لا توجد ثانوية عامة بدون حيتان دروس خصوصية؟ لماذا لا

توجد ثانوية عامة بمدرسين مخلصين يحللون ما يأخذون من رواتب ويشرحون في عناية وضمير؟ لماذا تتحطم أحلام الطفولة على يد مدرس يأخذ بالمئات في سبيل ساعة واحدة شرح؟

تحوّل التعليم والمعرفة من أمر مشرّف في ديننا إلى تجارة في دولتنا.. سحقا لكم!

قضيت ليلتي يا صديقتي وأنا أدعو الله أن ينجيني ولا يكسر بخاطري.. أخبرت ربي وقلت له:

يا رب، أول حاجة قلتها في ديننا (اقرأ).. فإزاي أكون جاهلة؟ يا رب عايزة اتعلم.. أُقف جنبي عشان أحقق أول أمر أمرت بيه في كتابك؛ هو إني أتعلم يا رب.

وما كاد النهار يشرق حتى وجدت أبي يوقظني من نومي.. يقول لي:

أميرة، أنا لو هبيع دمي عشان أقدر أصرف عليكي في الثانوية العامة هبيعه.. حتى لو حصّلت أبيع حتة من جسمي، لكن إنت لازم ترفعي راسي لفوق وتدخلي الجامعة وتعملي لنفسك مستقبل عشان تعوضيني.. وما تزعليش طول ما انا عايش.. مش عايز أشوف دموعك أبدا.

ضمني أبي إلى صدره ونزلت الدموع من عيني.. يا الله! هل يوجد رجل مثلك يا أبي؟! كاد قلبي يرقص من الفرح وتحولت دموعي التي كانت تنزل في كل وقت وكل دقيقة تمر إلى ابتسامة... ابتسامةٍ بأن الغد أفضل..

عندها يا صديقتي ثبت إيماني بأن الله على كل شيء قدير.. فقد تغيّر كل شيء في سواد الليل.. السعادة غمرت قلوب الجميع؛ كانت السعادة الكبرى في عيون أبي لأنه وجد رجلا يحب ابنته غيره وسيحافظ عليها.. لم يشغل بال أبي سوى أن يجد البديل له عندما يرحل إلى العالم الآخر.. بديل لا يهم شكله أو سنه أو مكانه، بل ما يهمه قلبه وضميره اللذان يحميان ابنته أبد الحياة التي يعيشها معها.

سرعان ما وفقت خوفا أن يذهب من يدي من دعوة الله لكي ألقاه فقد دعوت الله أن يهب لي رجلا يحبني وها قد جاء! ففي هذه المدة لم أفكر في شيء سواه، هل هناك حقا رجل يحبني؟! لا أصدق!

وما أدراك يا صديقتي كيف كان قلبي يدق ويكاد يقف من الفرحة عندما كتبنا أسامينا على الدبلة بتاريخ الخطوبة وأعطاني الدبلة لكي ألبسه إياها؛ وقتها شعرت بأنني أملك العالم كله؛ نعم.. عندما تجد من تحب ويحبك فأنتما تملكان العالم بأسره بل إنك لن تتمنى شيئا في الدنيا سوى وجود من تحب بجوارك!

- يعني انت بتحبني من زمان؟

- من زمان جدا.. من أيام ما كنت طالبة في الثانوية.

- وليه ما اعترفتش بحبك دا من الأول.

- كنت خايف لافتقدك.. عارفة اللي بيخاف على عصفورة بيحبها لتضيع من إيده فمسكها جامد من حبه ليها خنقها وماتت.. أنا الحبيب دا وانت عصفورتي؛ من خوفي لتبعدي عنك خنقتك بأسلوبي معاك في البداية.. أنا آسف.. اغفري لي.

- كان المفروض تفتح كفك.. لو العصفورة فضلت تبقى بتحبك، ولو طارت يبقى مكانها فوق على غصن شجر.

- بس انا مش عايز أشوف عصفورتي على غصن شجرة.. أنا عايز أشوفها في قلبي.. بحبك!

يا سبحان الله! هذا الرجل ليس فقط الحبيب الذي كنت أتمناه بل هو الأخ والصديق والمأوى والحضن الدافيء... على الرغم من أننا لم نتعانق في فترة خطبتنا لكن كلامه كان أجمل حضن شعرت به على الإطلاق.. كانت نظرات عينيه أجمل نور أمل يخبرني بأن المستقبل سيكون أجمل.. كانت أنفاسه أسمعها في وقت صمته كأنها أنفاسي.. كنت أضبط نفسي مع إيقاع أنفاسه حتى نتنفس في وقت واحد، ويدق قلبي على نفس إيقاع قلبه.. حتى في صمته كانت له هيبته، عشقت كل نظرة منه، وكل كلمة منه كانت دواء لي من أي قلق يصيبني.. استماعه لي كان ملجئي من زحمة الحياة، كلمة بحبك سمعتها بإيقاع وكأني لم أسمعها من قبل في أي مكان..

دائما ما أسمعها في الأفلام، ودائما كنت أسمعها من أبي لكن عندما سمعتها منه كانت لها طعم آخر ونبض آخر في قلبي وأنفاسي تتلاحق، وترتفع قدماي من الأرض فرحة مسرورة كأني فزت بشيء لم تفز به أي فتاة في سني من قبل.. إنه الحب يا صديقتي.. أصبح

وجهي أكثر إشراقا وابتسامتي أكثر فرحا وضحكاتي أكثر سعادة عندما أعرف أن إحدى زميلاتنا تتمنى أن تخطب.. كنت أدعو لها الله أن يهبها رجلا كمثل ما وهبني وأن تشعر بنفس سعادتي التي لا أستطيع وصفها.. كان أحرص الناس على دراستي.. عندما أتحدث معه كان يقول لي:

عندك مذاكرة؟

- آه.. كتير.

- طيب.. أنا هقعد معاكي نص ساعة واروّح عشان معطلكيش عن حاجة.. عايزك تجيبي تقدير زي كل سنة واكتر كمان عشان.. مش عايز أسمع حد بيقول ان الخطوبة خلاتك فاشلة أو خيبتك، عايزهم يقولو الخطوبة شجعتها وخلتها أفضل وأفضل.. لما لقت الراجل اللي بيحبها وتحبه.

- طبعا، بحبه، يكفي انه بيحبني.

- لا.. لا.. لا.. أنا مش بحبك.. أنا بعبدك.

- حرام كلمة بعبدك دي.. العبادة لله.

- ونعم بالله.. بس مقدرتش أقول كلمة غيرها لأنها أقل كلمة توصف حبي ليكي.

- ربنا يخليك ليه.. يا رب.

- أنا اسيبك بقه واجدعني يا حلوي عشان حبيبك يجبلك حلاوة النجاح ويكون فخور بيكي.

- دعواتك..

- مش بركعها إلا وانا بدعيلك .

(مش بركعها إلا وانا بدعيلك) يا الله! ما أجملها وما أعمقها أن تكون دعوة لأحدهم يدعو بها الله في صلاته! شعرت بدفء وحنان ومشاعر ما أجملها! كنت أبكي من شدة سعادتي بك يا حبيبي.

- نفسي اعرف انت بتفكري في ايه؟

- بفكر في ايه ازاي؟

- يعني كنتي بتفكري في إيه قبل ما القدر يجمعنا؟

- آه... (تنهدت تنهيدة عميقة)، دايما كنت أقعد في المواصلات جنب الشباك.. مبفكرش في حاجة.. بكون سرحانة في لا شيء؛ خاوية العقل والفكر وكانت حياتي عادي جدا.. دراسة.. امتحانات.. ولا أكتر ولا أقل.

- كدابة..

- كدابة؟!

- أيوه؛ فيه بنت بتسرح في لا شيء، في بنت ما بتفكرش غير في دراستها والامتحانات وبس؟ والحب فين؟ دا البنت أول ما بتدخل الجامعة بتفكر ازاي هتقع في حب الدكتور أو المعيد..

نظرت إليه باستغراب: إنت جبت الكلام دا منين؟!

- من الأفلام القديمة..

- إحنا في دولة العواجيز.. أصغر دكتور في الأربعينات وأصغر معيد بيجري عشان يثبت نفسه في الكلية ويحضر الماستر.. ولما يتعين بيتجوز معيدة زيه أو دكتورة عشان يكون في نفس المستوى.. أفلام زمان دي كانت بتحكي عن زماااان، زمن الحب اللي ما بيعرفش سن ولا شهادة ولا حتى عنوان.. واحنا سبنا زمان دا من زمان!

- كلامك عنب.

- هههه، لا انا بحب المانجة.

- إنت صدقتي؟... بس على كدا مش بتؤمني بإن فيه حب؟

- مين قال كدا؟... طبعا اؤمن بأن الحب الحقيقي لسه موجود بدليل إن انت معايا.

- آاااه، أنا عاوز أتجوّز بقه خلاص تعبت.

- جهز شقتنا واحنا هنتجوز.. بس على شرط.

- هو كمان فيه شروط؟ وعلى العموم اؤمري يا ملكة قلبي.

- بص يا سيدي.. لو جيت تعبانة من الكلية ابقى اطبخ انت، ولو مكوتش هدومك إبقى اكويها، ولو لقيت أطباق في الحوض ابقى اغسلها انت.. مهو مش معقولة هكون في كلية واجي أطبخ وأكنس واكوي وانت قاعد بيه كدا ما بتعملش حاجة؛ فلازم تساعد شوية.

- أميرة يا حبي؟

- نعم يا عمري.

- إنتي طالق!

- إيه؟! من أولها كدا.

- هههههه.. لو هعمل انا كل دا أمال انا متجوزك ليه؟!

- لا بجد.. إنت متجوزني عشان كدا وبس.. طب متجيب شغالة أحسن.

- يا حبيبتي احنا الاتنين هنساعد بعض؛ يعني يوم لما ما تطبخيش أخدك على مطعم ونتغدى، يوم لما ما تكويش هكوي أنا وأساعدك، ولو على البيت ننظفه مع بعض.. متخفيش صدقيني حياتنا مع بعض هتكون أحلى!

- ربنا يخليك ليه يا رب.

- عارفة انا مستعجل على الجواز ليه؟

- ليه؟

- لأن بشتاق أخدك في حضني.. وعشان ما فيش حاجة في الدنيا تقدر تفرّقنا وتكوني حلالي.

- مفيش أحلى من الحلال يا ابني.

- ابنك؟ مش بقولك انت هتطلقي!

- هههههه.. أمال اقولك إيه؟

- يا قلب.. يا حبي.. يا أي حاجة.

- بحبك.

- يالههههوي.. آاااااخ.. أنا عايز اتجوز!

في منزل أميرة..

- أميرة... أميرة... زفتاااااااااااااااااه.

- أيوه.. مين، مين؟

- مين إيه؟ اتأخرت على الكلية.. قووووووووووووومي.

- طب يا ندى، قايمة نهوه بس سبينى انام شويه

- ندى مين ياحيلتها فوقى

انتبهت للصوت وفتحت عينها قائله

- ياسمين !ايه اللى جابك يابت

- رجليه ياروح عنيه عندنا محاااااااااااااضره فوقى

- محاضره ايه غورى يابت روحى بيتكم

تمسك ياسمين بملابس اميره وترجها في عنف

- قومى عندنا محاضره لغه والدكتور هيسقطنا قووووومى قامت قيامتك قومى

- يافتاح ياعليم اصطبحت بوش مين

- بوشى ياقلبى فزى يالا احنا اتاخرنا على المحاضره

- طب مادام انت متاخره ماتروحى انت وفارقينى بقه

- يعنى انا اجى من بيتنا بدرى واقلق اهلك واتاخر واصحيكى وانت نايمه وفى الاخر تقوليلى امشى انت اه يازباله فزى قومى البسى

- خلاص طيب متزقيش إيه كورس الشتيمه اللى على الصبح دا هاخد شور والبس

- انت لسه هتاخدى شور منك لله طب بسرعه انت اخرك تستحمى في حنفيه الحوض بقصر دا

- يافتاح ياعليم خف من علينا نخلك يارب بيطرح زلط بدل البلح

- انجرى يابت

- حاااااضر..تتمتم قائلا- والله لازم البس براحتى واطلع عينك زى ماطيرتى النور من عينى

- بتقولى ايه يابليه

- مبقلش

اثناء الطريق للكليه

- ينفع كدا اتاخرنا منك لله

- متقرفيش اهلى بقه انا ماشيه اهوه

تدخلا المدرج فتتفجأن ان الدكتور اعتزر عن الحضور والكل ينصرف تنظر اميره لياسمين في لوم وهى ترفع حاجبها

- اهو الدكتور ماجاش يافرعه عاجبك كدا

- براحه على حاجبك ليطير من وشك

لم تتمالك اميره نفسها فضحكت

- بقى كدا ماشى..يالا بينا نروح

- يالا ياستى

- استنى استنى..نروح دا ايه دا انا نسيت اسالك عملتى ايه؟

- في ايه؟!

هنستعبط

- اااااه طب براحه كدا...قابلته..

- وبعدين..انطقى يابت..طب تعالى نقعد في الكافيه اللى قدام الكليه واحكيلى من اول طقطق لسلام عليكم

- يالا بينا

وما ان جلسنا حتى وضعت اميره يديها على خديها ونظرت باهتمام ل ياسمين تنتظرها ان تتكلم

- في ايه يابت بتبصيلى كدا ليه؟

- انجزى يااختى..عملتوا ايه؟

- ولا حاجه

- شبشب زنوبه فين..هو ايه اللى ولا حاجه امال انا جيباك هنا عشان ايه انطقى

- طيب اصبرى عليه افتكر هتفضحينا

- انجزى اول ما قابلك قلتيله ايه وقابلك فين وجابلك ورد وهو جاى ولا لاء اخلصى

- اصبرى....شوفى ياستى هو كلمنى اول امبارح وقالى عايز اقابلك وقابلنى في كافيه وكان جايب بوكيه ورد لونه بنفسج فرحت اوى انت عارفه أنا بعشق اللون دا...وبعدين قاعدنا وقالى ازيك وعامله ايه قلتله كويسه وقلتله عامل ايه قالى الحمد لله

قالى اتفضلى البوكيه دا مخصوص عشانك..سالته عرفت ازاى ان بحب اللون دا قالى اللى بيحب حد بيعرف هو بيحب ايه من غير ما يقول

- وبعدين؟

- وبعدين: قال لي إنه بيحبني وعايز يتقدم لي.

اتنفضت أميرة واحتضنت ياسمين: لووولي.. ألف مبروك!

- إيه... هتفضحيني.. ألف مبروك إيه، هما أهلي لسه وافقوا؟

- هيوافقوا، ما تقلقيش.

- نفسي.. يا رب، يا رب يوافقوا.. أنا بجد بحبه أوي.

- ربنا يجمعكم في الحلال يا رب... بس قولي لي هو صادق في كلامه كدا ولا زي شباب اليومين دول؟

- لا، ما تخافيش.. دا صادق جدا في كلامه.. جدا، جدا، كمان.

- أنا شايفة لمعان الفرحة في عنيكي.. ربنا يبارك لك يا رب... طب هو قالّك هيتقدم إمته؟

- لا..

- أوباااا... يبقى بيضحك عليكي يا ناصحة.. كان لازم يحدد معاد، لازم.. النوع دا بيماطل معاكي عشان يتسلى بيكي أكبر قدر ممكن.. مقابلة يقولّك فيها: بحبك، ومقابلة يقولّك فيها: هتقدملك، ومقابلة تستنيه بعد الجيش.. وما يجيش وتلاقيه طفش.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، ما توقعيش قلبي في رجليه.

- ما دام انت خايفة كدا تبقي مش واثقة في حبه ليكي.

- واثقة.. بس خايفة من النصيب اللي بيفرق الأحباب.

- كلام فارغ.. النصيب دا احنا بنصنعه بإيدينا لما بنحب نهرب أو نبرر عجزنا.. إنت خايفة ليكون بيلعب بيكي.

- تفتكري؟! تفتكري بيلعب بيه؟!

- اتصلي بيه وقولي له إنك كلمتي باباك وهو حدد معاد عشان يقابله.

- كادت أن تتصل حتى وجدته يتصل بها..

(في فرحة): بيتصل، بيتصل.

- ردي عليه وقولي له ع اللي قلتلك عليه.. خلصي.

- ألو... أيوه، ازيك.. عامل إيه.. إيه؟ (تتسع عيناها وتنظر لأميرة)، جاي انت ومامتك بكرة... ماشي، حاضر، أوك.. سلام.

- صرخت ياسمين من الفرحة وتمسك يد أميرة: جاى بكرة، ياااااااااااه!

تضمها: ألف مبروك، ألف مبروك، أخيرا.. كدا النحس اتفك!

- لازم أقوم أجهز نفسي... تفتكري ألبس إيه... لا، لا، أنا هشتري فستان سواريه أقابلهم بيه.. ولّا اقولّك: لا، أنا هقابلهم كدا بطبيعتي... ولّا اعمل إيه؟ أعمل ايه؟

- عارفة.. إنت تروحي البيت وتقولي لباباك ومامتك ع الموضوع أحسن.

- آه، صح فعلا.. طب يلّا بينا نروّح، يلّا..

- لا، روحي انت، أنا هقابل خالد كمان شوية.

- أميرة، لازم بكرة تكوني معايا.. ماشي؟

- أكيد طبعا هكون عندك العصر.

- خلاص أوك.. يلّا سلام.

تركتني والسعادة تغمر قلبي لسعادتك، ثم ذهب بي عقلي لأشاهد نفسي مع حبيبي في عش الزوجية نحضر الفطار سويا وأثناء خروجه من المنزل يضع قبله على جبينيه، وأثناء عودته أتلقاه بشوق لا يهدأ إلا بحضن دافيء وقبلة بابتسامة فرحة بمجيئه إليّ سالما.. وفي ليالي الشتاء القارس تضمنا بطانية واحدة وأنا أنام على صدره ونشاهد مسرحية تضحكنا فتدفئنا ضحكاتنا سويا من برد الشتاء.. وتهدت طويلا.. عندما أتخيل أول مولود مننا وهو يمسك يدي يطمئنني وأرى خوفه علي، وما إن أفتح عيناي حتى أجده بجواري يحمل طفلنا ويقبل جبيني ويشكرني بأن الله رزقني وجعلني أنجب له طفلا ينوّر حياتنا بهجة وسعادة.

كنت أبتسم وأنا أتخيل حياتنا حتى ظن البعض من حولي أنى مجنونة تبتسم للخيال وما الخيال إلا حياة نرغب أن نحياها في الواقع.

وما هي إلا لحظات حتى حضر خالد ووجد الابتسامة على وجهي..

- إيه؟ ازيك... خير، شايفك بتضحكي.

- اتأخرت ليه؟

- الطريق زحمة... ها، ما قولتيش كنتي بتضحكي ليه؟

- كنت سرحانة في حياتنا..

- سرحانة في حياتنا؟

- امم.. بتخيل نفسي وانا معاك في بيت واحد، وبتخيل اليوم اللي ألبس فيه الفستان الأبيض!

- أيوه بقه..

- امته اليوم دا ييجي.

- خلاص يا ستي.. عايزاه يوم إيه؟

- يوم إيه إيه؟.. إحنا لسه مخلصناش العفش.

- العفش خلاص هيخلص كمان أسبوعين.

- بجد؟

- آه والله بجد.. هتحبي نتجوز بعد شهر ولا اتنين.

- والله.. اللي انت شايفة.

يغير صوته: والله اللي انت شايفه.. مكسوفة؟!

- لا، هتكسف من إيه بس؟ فرحانة.. خلاص نخليها بعد شهر.

- أوك.. أنا هروح لباباك النهارده وأقوله إن الفرح بعد شهر.. وأخيرا بقه هنتجوز ويجمعنا سقف بيت واحد...

- ولازم بقه نختار الأغاني بتاعة الفرح والفستان.. بس هستنى ياسمين أما اشوف هتعمل إيه في خطوبتها وننزل كلنا مع بعض ننقي فستان الفرح... وآاااااه لو يبقى فرحي وفرح ياسمين في يوم واحد.. يا سلام.

- سيبنا بقه من ياسمين بتاعتك دي.. كل شوية ياسمين، ياسمين.. إنت عندك إخواتك أفضل من أي ياسمين.. عندك أختك وأخوك أحمد.. اشغلي نفسك بيهم شوية وسيبك من صحبتك دي.

- الأخوات أكيد لا يمكن الاستغناء عنهم.. بس فيه أصحاب بيبقوا زي اخواتك وأكتر؛ بتحس إنهم بيكملوك عن أي حد تاني في الدنيا حتى إخواتك، بتحس إنك اتخلقت عشان تكونوا مع بعض أصحاب؛ إنكم روح واحدة واتقسمت اتنين، اتنين ملهمش نفس الدم ولا نفس الأب والأم، ولا نفس الطول والعرض ولا الملامح، لكن نفس الروح والقلب والإحساس.. نادرا لما تحسه اتجاه شخص مش من دمك والشخص دا هو صحبتي وصديقة عمري... فهمت ليه أنا مرتبطة بياسمين؟! وبعدين مش ياسمين بس؛ أنا عندي كيري وهدى، بس كيري ظروف كليتها مختلفة عني أنا وياسمين وهدى؛ لأنها في كلية تانية ولما الوقت ما بيسمحش إننا نتقابل بنحاول نلاقي أي وقت ونقابل بعض حتى لو في بيت أي واحدة مننا.. جايز المسافات بتبعدنا لكن احنا قريبين جدا من بعض.

- جايز أنا مش قادر أفهم لأن أنا معرفش حد أعز على قلبي من أمي وابويا واخواتي...

- ومفيش أصحاب؟

- لا، ليا.. بس مش هحبهم زي أهلي.

- ومش ناوي تحب حد تاني زي أهلك.

- حد زي مين يعني؟

- حد... أي حد.

- قصدك انت.

- اها.

- إنت حبيبتي اللي لا يمكن أستغنى عنها أبدا.. فهمتي؟ بس حاولي تبعدي عن أصحابك شوية.. ما تربطيش نفسك بهم و... قاطعته قائلة:

ممكن ننسى الموضوع دا ونخلينا في نفسنا شوية؟.. ناوي تودني فين النهار ده؛ السينما زي ما وعدتني ولّا إيه؟

فجأة يرن هاتفه.. فيرتبك: لحظة بس أرد على التليفون: ألو... حاضر.. فين؟.. طب أنا جاي.. سلام.

- خير في إيه، ورايح فين كدا؟!

- واحد صاحبنا فرحه قريب ومحتاجني معاه في كام حاجة عايزها قبل الفرح.

- صاحبك؟.. ويا ترى صاحبك دا مهم أوي لدرجة هتسيب حبيبتك وخطيبتك وتروح له؟!.. مش كنت بتقول إن أهلك أهم من صحابك وأنا حبيبتك.. رايح تسيبني عشان صاحبك؟!

- معلش بقه.. نبقى نتكلم بعدين...

- طب والسينما؟

- بعدين بقه يا ست البنات أعوضها لك.. يلّا سلام.

في منزل ياسمين..

- ها يا ميرو، ألبس الفستان دا ولا ألبس بلوزة وجيبة؟

- مش عارفة.. طب البسي كدا الفستان أشوفه عليكي... بعد لحظات..

- ها إيه رأيك؟

- لا، لا، بلاش الفستان دا.

- ليه يعني؟

- الرباط اللي على الوسط دا مشدود أوي.. عملك زي حزمة البقدونس.

- اممم.. هعديها لك بس عشان ننجز... طب ألبس الجيبة والبلوزة.

- اممممم، جربيهم كدا.. لحظات.

- ها إيه رأيك؟

- الله.. جميلة أوي!

- بجد.. حلو يعني متناسق كدا وهيعجب أهله؟

- إحنا ما لنا ومال أهله؟ أهم حاجة هو.. هوشايفك ازاي.. لو الدنيا كلها قالت عليكي: لا، هو يقول: آه، فاهمة؟

- آه، فاهمة...

ثم قالتا في نفس واحد: الطرحة بقه ما تبقاش أوفر!

فنظرتا لبعض وضحكتا!

- إنت يا ميرو بتقرئي أفكاري؟

- هما الأصحاب كدا؛ بتلقيهم بيفكرو في نفس الحاجة في نفس الوقت حتى كلامهم بيكون واحد.

- أخيرا هييجي الفارس الأبيض ويخطفني على الحصان الأبيض يا ميرو، ويلمنا عش زوجية واحد!

- هو مش بالضبط كدا.. أولا: هو مش فارس أبيض خطيبك دا أو اللي هيكون خطيبك -إن شاء الله- أسمراني!... ثانيا: دلوقتي بقينا في زمن السرعة؛ يعني هياخدك على عربية بيضة، أما بقه عش الزوجية فما اظنش إنه عش؛ هيبقى بيت الزوجية، أو سجن الزوجية.

- سجن؟!

- ممكن يكون سجن، وممكن يكون أحلى عش في الدنيا.. كله بيتوقف على مدى الرحمة والاحترام والمودة اللي بينكم وكمان الحب.

- كلامك مضبوط... أنا خايفه لَ بابا ميوفقش عليه.

- يا شيخة.. فال الله ولا فالك، وبعدين باباك عنده كام ياسمين؛ هي واحدة بس والواد المقصوف الرقبة (عدي).. إلا هو فين صحيح؟

- هههه.. مقصوف الرقبة دا من الصبح بيساعد ماما في المطبخ، وبيقولّها: يلّا نعمل جاتوه للعريس.. ماما تقوله: هنجيب جاهز. يقولها: طب يلّا ننزل نشتريه. ومع ماما من الصبح في المطبخ لما زهقها.

فجأة.. يدق الباب...

- مين؟

- أنا دودي.

- تعالى.

(يدخل في غضب): أنا عايز عريس أنا كمان.. يشمعنا إنت جالك عريس وانا لا؟

- قصدك عروسة بقه؟

- مليش دعوة.. أنا عايز أتخطب.

- طب تعالى يا دودو.. بعد ما العريس ييجي ويخطب سومة هطلب إيدك من بابا واخطبك.. إيه رأيك؟

- إنت خاطبة واحد.. هتخطبيني أنا كمان ازاي؟

- هههه.. لا، الواحد دا هو اللي خطبني.. لكن أنا اللي هخطبك يا دودو.

- هيه، هيه، موافق.. هروح أقول لماما إن أميرة هتخطبني... يا ماما..

تضحكان...

- ياه يا ميرو.. أخيرا هييجي اليوم ويدخل حبيب القلب بيتنا.

تبتسم قائلة: ربك كبير يا سومة.. حاجات كتير بتعدي في حياتنا وبنعتقد إننا مش هنحصل عليها.. وفي آخر لحظة بتتحقق وربنا يفرحنا بيها.

- عندك حق ربنا على كل شيء قدير.. يلّا بقه نجهز عشان ما نتأخرش ونتلبخ لما ييجوا...

يرن هاتف ياسمين.. وتقول:

هو... هو... ألو...

- أيوه.. جاهزة أهوه ومستنياك.. تلبس إيه؟! يا حبيبي البس اللي ع الحبل عندك وتعالى.. مش ينفع هههه ع فكرة مش لوحدي في الأوضة.. أميرة معايا.. ماشي يا سيدي... بيسلم عليكي يا ميرو وبيقولّك: زوقيني كويس.

- طبعا، طبعا، علم وينفذ.

- هههه، لا مش مشغلاها... هههه، حاضر يا سيدي، بس تيجي الأول إنت ومامتك واحنا مجهّزين كل حاجة... إمته؟ كمان ساعة.. طب خلاص اقفل بقه دلوقتي عشان ألحق أخلص لبس... أوك مع السلامة.

- إيه يا بت.. بيقولّك ايه؟

- بيقولي: شغلتي متزوقيني يا ماما ولا لسه.. عاوزني أشغلها وأجهز يا دبلة الخطوبة.. عشان هنزل النهارده لما نتفق نجيب الدبل.

- الله.. ألف مبروك يا سومة، أنا مش ناسية طبعا.. أنا مجهزة الأغنيتين دول وجا يباهم على فلاشة.. هشغلهم في سماعات الكمبيوتر أول ما يقرؤوا الفاتحة.

- بجد؟! والله أنا ربنا بيحبني إنه رزقني صديقة زيك بتحس بيه ومش ناسية أي حاجة تخصني مهما كانت كبيرة ولا صغيرة حتى أدق التفاصيل مهتمة بها.. ربنا يخليكي ليه يا صديقة عمري.

- متقوليش كدا.. إنت أخت وصديقة.. فعلًا الصداقة دي رزق من عند ربنا والنعمة وانا ربنا بيحبني إنه أنعم عليه بيكي.

- أمال هدى وكيري ما جوش ليه؟

- كيري عندها امتحان وهتكلمك تطمن عملتي إيه، وهدى مش بترد على التليفون من امبارح.

- يلّا خير.. هيييييييييه، أخيرا يا زمن.. أخيرا يا دنيا هتخطب!

تجلس ياسمين بجوار والدها ووالدتها وصديقتها وفي الكرسي المقابل يجلس العريس ووالدته.. في هدوء هذه الجلسة يتنحنح العريس ثم يقول:

- والله يا عم أنا اعرف ياسمين وعارف أخلاقها وكدا، وانا حالي -الحمد لله- ميسور ومن عائلة ميسورة.

يقاطعه والدها ويقول: ياسمين حكت لي على كل حاجه وانا قبل ما أدخلك بيتي سألت عليك وعرفت انك من عائلة غنية عن التعريف والست الوالدة سيرتها الطيبه طمنتني إن هدى بنتي لأمها التانية، مش أم زوجها وحماتها..

- بنتك في عنيه واللي هتطلبوه إحنا تحت أمركم..

- أنا مش هقولّك: إحنا بنشتري راجل والكلام الفارغ دا لأن الزواج مفيش فيه بيع وشرا، وكمان لو بيع وشرا زي ما احنا هنشتري راجل إنتم كمان هتشترو زينة البنات ونور عنيه الاتنين وأغلى حاجة عندي؛ هتشترو جوهرتي اللي معيشاني في الدنيا دي.

- ربنا يخليها لك يا أستاذ..

- كل اللي عايزه إن ابنك يحافظ عليها؛ يكون ليها الأب والابن والأخ والزوج، وحضرتك تكوني أمها في غياب أمها اللي مخلفاها.. بنتي أمانه في إيديكم والنبي وصى ع الأمانة فشوفوا بقه انتم هتحافظوا على أمانتي ازاي؟

- هنحافظ على أمانتك في عنينا.. ربنا يقدّم اللي فيه الخير.

- يا عمي، ياسمين تاج فوق دماغي وأقسملك إني هحافظ عليها وهسعدها واحميها زي ما بحمي روحي بالضبط!

- كلامك بيطمني يا ابني واللي فيه الخير يقدمه ربنا.

تمسك أميرة يد ياسمين في فرح.. فتجد يدها مثلجتين.. تنظران لبعضهما وتبتسمان..

- على خيرة الله.. أنا مش هقولّك العفش بكام ولا أد إيه لأن الجواز مش عفش وشقة.. الجواز عهد قدام ربنا إنك تعامل اللي من نصيبك بما يرضي الله ودا يكفيني واللي هنقدر عليه هنجيبه واللي تقدروا عليه إحنا موافقين بيه... نقرا الفاتحة...

تنظر أميرة لصديقتها فتجدها تتبادل النظرات مع خطيبها.. تبتسم وتنظر في كفها حتى لا تقطع عليهما هذه اللحظات السعيدة..

٢٠١٣

في غرفة أميرة..

يدق باب الغرفة..

- ادخل.

- أميرة، سلفيني فلاشتك لو سمحتي محتاجها ضروري.

- الفلاشة مع غادة في الكلية بس أعتقد إن فيه فلاشة قديمة معرفش شغالة ولّا لا في مكتب ندى.. استنى أروح أشوفهالك.

- أوك.

تذهب أميرة لغرفة أختها فينظر أحمد للصور المعلقة على الجدار.. يتأملها وكأنه يملأ نظره من حوريته المفقودة قائلا:

يا ريتنا ما تقابلنا ولا شوفنا يوم فراقنا!

يضع شفتاه عليها وكأنه يملأ شوقه الذي يقتله دائما فصمت.. تعود أميرة فتجد أخاها يقبل الصورة حتى أنه لم يشعر بوجودها فتراجعت في هدوء لغرفة أختها وهي مضطربة فقاطعه اضطرابها وقالت بصوت مرتفع:

أحمد.. أنا لقيت الفلاشة.

يترك الصوره ويقف بعيدا قائلا:

كويس إنك لقيتي فلاشة.. محتاجها للشغل.

بابتسامه خفيفة: ربنا معاك بس حافظ عليها.

أنا ماشي.. سلام.

ابتسامة مكسورة: سلام.

تفحصت الصورة حتى تتأكد مما رأته فوجدت علامة لشفايف أخيها على زجاج الصورة.. لم تصدق ما رأت، هل كان يحبها؟ منذ متى، ولماذا لم يخبرها من قبل أنه يحبها؟ وهل كانت تعلم هي بهذ الحب أم كان يحبها ولم يعترف لها بحبه؟ كانت صامتة اللسان

ولكن عينيها كانتا لا تصمتان أبدا عن الأسئلة التي تدور بعقلها.. وما لحظات حتى جاءت غادة من الجامعة..

- إنت جيتي يا غادة؟

- آه، بخلع الجزمة.

دخلت لغرفة أميرة...

- إيه بتعملي إيه؟

- ولا حاجة، ما قابلتيش أحمد ع السلم وانت طالعة؟

- آه، قابلته وقال إنه أخد الفلاشة بتاعتي.

- إيه أخبار الكلية؟ واللي في الكليه؟ تبتسم..

- الحمد لله تمام.

- ما لك بتقوليها بالعافية كدا ليه؟

- أعمل إيه بس يا ميرو.. يقطع الحب وسنينه!

- عمل إيه فريد؟

- ما فيش، الواد دا هيجنني خلاااااص.. حطيت صوابعي العشرة في الشق منه.. أنا عاملة في حبه زي السمكة وهو الصياد لما يحب يقرب ليه يرميلي صنارة الحب آجي ألقط الطعم يسحب الصنارة بسرعة.. خلاااااص تعبت!

- مش فاهمة برضه عمل إيه؟

- بصي يا ستي: هو قال إنه بيحبني وإنه مش بالساهل إنه ينسى حبيبته الأولى.. أقصد اللي كانت حبيبته.. قلت له: خلاص، مفيش مشكلة انت لو لقيت حب جديد هتقدر تنسى حبك القديم.. وربّ حب يمحي ما قبله من سكرات.

- يا عيني.. أختي بتقول حكم.

- المهم قال إنه عمره ما هيرجع لها تاني أبدا أبدا، وإنها بقت كارت محروق عفى عليه الزمن.. حلو؟

- حلو!

- النهارده لقيته واقف معاها، أعمل إيه؟

- واقف معاها؟!

- آه، واقف معاها وبيكلمها كمان.

- ومتكلمتيش معاه؟

- لا، منا اتصدمت وفضلت واقفة متنحة ومقدرتش أكمل بقيت المحاضرات؛ فجبت نفسي وجيت.

- كمان ما كملتيش محاضراتك.

- حسي بيه يا أميرة.. الله يخليكي، أنا بحبه؛ عارفة يعني إيه بحبه.. يعني لما يضحك بلاقي الدنيا تضحك لي.. لما يزعل أحس إن دي نهاية الدنيا.. وآه لما بقف واكلمه؛ عيني دايما بتبقى في عنيه حتى في عزّ حزنه بلاقي عنيه مبتسمة وكأن ربنا خلق بسمة مش عنين.. عنيه دي لها جمال لو ساحر ما يقدرش يسحرني بسحرزي سحر عنيه عليه!

- كلميه واساليه: ليه واقف معاها؟

- أخاف يزعل!

- يزعل إيه؟ هو المفروض اللي يخاف على زعلك لأنه كدا بيخونك وبيضحك عليكي... عندك محاضرات تاني إمته؟

- كمان ساعة.

- مكنتش أقصد النهارده.. ع العموم اجري بسرعة ع الكلية.. احضري محاضرتك وكلميه واعرفي إيه الحكاية.. أنا مش عايزة يحصلّك اللي...

- ما تكمليش -إن شاء الله- لا.

- طب يلّا بسرعة اجري وكلميني.

٢٠١٠

اقترب موعد الامتحانات وكذلك الزفاف لكن هناك شيئا أقلق قلبي فقد جاء (خالد) وقال:

عندك امحان إمته؟

- بكرة مادة تقيله، ادعيلي.

- هو لازم تكملي تعليم؟

- بتتقول إيه؟!

- لا ولا حاجة.

- ما لك؟ كلامك ما له مش انت كنت بتشجعني إني أكمل تعليم.. وبعدين في حد في الزمن دا مبيكملش تعليمه الجامعي؟

- لا، طبعا.. بس العلم في الزمن دا ما بيأكلش عيش وما لوش معنى إنك تكملي تعليم هتعملي إيه بعد ما تخلصي جامعة.. هتقعدي زي أي حد.

- سبق واتكلمنا في الموضوع دا.. دا هدف لازم أوصلّه وما فيش بنت بتسيب جامعتها.

- بس انت مش زي بنات الجامعة؟

- إزاي؟

- معقدة كدا ومش كلاس في لبسك ولا مكياجك.

- إنت بتقول إيه؟!

- مش بتشوفي البنات بيلبسو محزق وفساتين وجاحات كدا جنتل.

- أول مره تقول الكلام دا؟ ما لك في إيه؟

- ما فيش، أصل استايل لبسك مش عاجبني!

- وانت جاي تقول لي الكلام دا دلوقتي وانا عندي امتحان بكرة بدل ما تشجعني وتهدئ خوفي من الامتحان.. على العموم بعد الامتحان تعالى معايا واختار اللبس اللي عاجبك وانا ألبسه ولا تزعل.. بس لو لقيته مش محترم ومحزق وشفاف أنا مش هلبسه ولو بأمر ملكي.. فهمت كلامي؟

- بأمر ملكي؟ آه، طيب تمام، ركزي، ركزي، على الله تفلحي.. أنا ماشي، سلام.. سلام.

تستيقظ أميرة من نومها على صوت والدتها...

- أميرة، اصحي بسرعة.. طنط هنا.

- طنط مين؟!

ما إن دخلت حتى وجدت حماتها..

- طنط، إزيك.

وهمت أن تسلم عليها لكنها رفضت وقالت:

لا.. لا.. لا، يا أميرة ولا تكلميني ولا ليكي دعوة بيه ولا حتى تسلمي عليه.

- ليه يا ، خير.. أنا مزعلة حضرتك في حاجة؟!

- بقى ينفع واحدة في احترامك وأدبك وأخلاقك دا يا بنت الناس تزعل خطيبها؟!

- أزعل خطيبي؟! زعلته في إيه؟

- بقى مش عارفة؟!... شوفي يا ستي بنتك هتسوق العبط..

- لو سمحتي يا طنط، عبط إيه؟ وبعدين ابنك فين وما جاش ليه؟

- ليه هو انا مش ماليه عينك؟!

- مش قصدي.. بس المفروض يكون هنا واعرف زعلان من إيه.

- بقى ينفع إن عريسك ييجي امبارح ومتديلوش وش وتتكبري عليه؟!

رفعت أميرة حاجبها: نعم؟! مين قال كدا؟

- هو قالّي: يا ماما روحت البيت وبكلمها ترد عليه بطرف مناخيرها.

- كداب!

- لا، اسمحي بقه.. أنا مربية ابني تربية يشهد بيها الكل.. ما تجيشي تقولي عليه كداب.

- لا، كداب لأنه هو اللي مكلمني بأسلوب وحش امبارح!

- وما قولتليش ليه يا أميرة؟

- لأن يا ماما متفقين أي زعل بينا أو مشكلة نصفيها بينا وبين بعض.. وما ندخلش أهلنا فيها، لكن وهو وعدني بكدا بس يظهر إن اللي بيوعد في الزمن دا بيخون وعده.

- عجبك كدا يا ام أحمد؟!

- ابنك برضه غلطان.. كان يكلمني وانا أكلمها، أو يحلو مشاكلهم مع بعض زي ما هما متفقين، وبعدين احنا ياما اتجوزنا وعملنا مشاكل مع عرسنا والحياة مشيت.

- خلاص يا ستي.. إحنا غلطانين بس ابني مش هييجي البيت هنا غير لما بنتك تعتذر له!

- أعتذر عن إيه؟

- معرفش.. تعتذري وخلاص لأنه زعلان منك.

- خلاص يا ام خالد.. أنا بنتي هتكلمه وتعتذر له.

- خلاص وانا ولا كأني جيت ولا قلت حاجة.

لم أستطع أن أطلبه وأعتذر له عن الخطأ الذي لم أرتكبه! حينها أصابني الشك؛ هل أخطات الاختيار؟! حينها تذكرت مناقشة لدكتور في الجامعة..

مما أدى لزيادة المشاكل بيننا.. أصبح يفعل كل شيء لا أحبه. يخبر أصدقاءه وأقاربه عن كل سر بيننا، وكل مشكلة حدثت بيننا، عن كل تصرف وكل فعل كان بيننا حتى كلمة أحبك.. أفشى للناس بأني لا أخبره كثيرا بكلمة أحبك.. الأحمق!

كنت أعشق أن أسمعها منه وعندها كنت أبادره إياها وأكثر! عامان من الخطبة من أجمل أيام حياتي وفي نفس الوقت من أكتر الأيام التي حدثت نفسي فيها كثيرا: هل اخترت الرجل الصح ليكون زوجي؟

تذكرت مناقشة في إحدى المحاضرات..

قال الدكتور:

كل واحد لازم يضيف حاجة في حياته قبل ما يموت، دا لو عاوز حد يفتكرك على مر التاريخ؛ فيه اللي هتتخرج وتتجوز، ومنكم اللي هتتجوز برضه بس بتضيف حياة وفكرة للحياة، مش عاوز واحدة فيكم أو واحد يكون هدفه الجواز بس لأن حياتها هتتقلب لمكنة زي باقي المكن البشري اللي كان قبلنا؛ إنهم يتجوزوا ويخلفوا ويشوفوا أحفادهم ويموتوا وهيلاقوا شوية من أحفادهم فاكرينهم وشوية بيتريقوا عليهم في سهرة شبابية ملهاش لازمة! وبيجي ابنك أو بنتك يسمي حفيدك باسمك تيجي عائلته من الطرف الآخر وترفض لأن اسمك أصبح موضة قديمة!

لذلك أحسنوا اختيار الحياة اللي هتعيشوها بمعنى: أحسني اختيار الزوج أو الزوجة على عدة أسس.. أولها أخلاقه، ثقافته، بيئته... ما تجيش واحدة تتجوز واحد عشان طوله أو عرضه وتنسى أهم حاجة؛ أخلاقه.. لو على الطول والعرض اللي هتختاري أبو أولادك بناء عليه فباب المدرج مفيش أعرض منه؛ اتجوزيه!

ضحك الجميع وتابع الدكتور قائلا:

وما يجيش واحد يختار واحدة على جمال جسمها أو عنيها أو عشان غنية وأكتركم أهم حاجة عنده في اختيار زوجته هى جمالها؛ لما بشوف شاب أهم حاجة عنده جمال زوجته بحس إنه بيختارها للناس إنها تقول: يخرب يتك جبت المزة دي ازاي؟ ولما واحد يتجوز واحدة عشان مالها مفهومة أكيد عشان هتورث ويتنغنغ.. أي نعم الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها؛ فاظفر بذات الدين.. تربت يداك).

ومش معنى إن الدين جه في الآخر يبقى مش مهم.. لا، لا، الرسول -صلى الله عليه وسلم- عارف انك كرجل بتسعى لجمع المال وبتحب الجمال لكن بيقولّك: احذر الأخلاق والدين.. تربت يداك يعنى هتكون أغنى الناس وأكترهم رضى نفسي.

ولازم ناخد من حياة الرسول الحكمة؛ زواج الرسول من نسائه لحكمة من ربنا.. أولها مش مهم سن اللي هتتجوزها أو هيتجوزك.. أهم حاجة المودة والرحمة بينكم والحب الحقيقي، أما حب الأيام دي فحب صيني زي الدهب الصيني يتلف لو جه جنبه شوية مكياج، كذلك حب الأيام دي يتلف قدام المشاكل والأزمات اللي هتقابلكم في

حياتكم -إن شاء الله- وأهم حاجة لازم يكون فيه توافق فكري مش علمي.. يعني ما تتجوزيش واحد عشان شهادته أو اتخرج من كلية كذا.. ممكن يكون متخرج من أعلى الجامعات وما يتعاشرش وأسلوبه لا يحتمل، وممكن من كلية اللي بنسميها في زمنا كليات القاع بس يعيشك ملكة..

كل واحدة وواحد فيكم ملك وملكة.. وعلى كل ملك أن يختار الأنثى التي تستحق أن تكون ملكته وكل ملكة عليها الاختيار الصحيح للرجل الذي سيصبح ملكا لقلبها.. لا يهم فرق السن بينكم أو الفوارق الاجتماعية، كل ما عليكم فقط هو الاختيار الصحيح..

لا أخفي عليك القول: كلما سألت نفسي: هل أحسنتي الاختيار؟ أسمع صوت بين أضلعي فكان قلبي يجيب بحبي له.. لم أتخيل أن معنى الحب يحمل كل هذه الدموع والأشجان؛ رجل واحد فقط هو كل العالم بالنسبة لك.. لن أكذب إن قلت لك أن حلم الشهرة والنجومية انتهى ليبدأ حلم جديد وهو الزواج من الرجل الذي أحب، هذه المشاعر التي فاضت بداخلي زادت عند دموعه التي فاضت من أجل حبي مرارا.. ألا يستحق هذا الرجل أن أحبه؟ أنا نجمة لامعة في سماء العاشقين وأنا الشمس الساطعة التي تدفئ قلبه بحبها، وكما هناك جنة للحب فهناك أيضا الجحيم، ألم أخبرك من قبل أن ما خفي كان أجمل؟! الآن أقول لك: إن ما خفي كان جهنم! جهنم الآخرة أول ما تكشف عنه هو القلب وقلب الظالم ظلمات وحطب لجهنم.. وما مررت به كان جهنم الله على الأرض تأكل القلوب وتعذب الروح.. جهنم كانت بانتظاري لم أضعها في الحسبان!

كل يوم تزيد تصرفاته السيئة؛ فكنت أقول لنفسي: تحملي فربما هذا اختبار من الله حتى تستطيعي مواجهة الزواج وما فيه من مشكلات؛ فإذا عجزت الآن على أن تتحملي بعض التصرفات الطائشة في فترة الخطوبة.. فماذا ستفعلين بعد الزواج؟! كانت تلك الفكرة هي ما تصبرني على ما أتحمله من إساءة التصرف، يتركني إنسانا جميلا صاحب لسان عذب وحبيبا صاحب قلب جميل، ويأتيني في اليوم الثاني شخصا آخر لم أعهده قط! كان كالطقس غير متوقع التصرفات!

- كان نفسى أكون ممثلة مشهورة بس اتخليت عن الحلم دا عشانك.

- يا ماما انت آخرك تقفي في المطبخ..

- أنا عارفة إن كل واحدة بتقف في المطبخ من وهي لسه في بيت ابوها مش شرط لما تتجوز.. وعلى يدك انا بطبخ ولا أجدعها واحدة ست.

- بتطبخي... آاه.

- آه إيه.. بتتريق؟!

- لا وانا أقدر أتريق على سياتك.. عاملة نفسك بتطبخي ومامتك هي اللي بتطبخ وبكره لما نتجوز انا متأكد إنك مش هتعرفي تعملي بيض مقلي!

- على أي أساس حكمت الحكم دا؟

- ما تخديش في بالك.. بكرة الأيام هتعرفنا كل واحد على حقيقته.

لم أحتمل كلمته وعزمت نفسي في منزله وقمت بالطبخ، وما إن حضر حتى حضرت له الغداء الذي طلب مني تحضيره بكل قلة ذوق كأني خادمة ولكني تحملت حتى أثبت له بأني طباخة ماهرة وأن القلم والكتاب وحلم الشهرة لم يمنعاني من تعلم أمور المنزل فكم من طبيبة ومهندسة ومدرسة وممثلة وغيرهم من النساء المتعلمات والعاملات أخرجن من بيوتهن رجالا عظماء..

وما إن انتهى حتى أخبر أمه أنه أفضل طعام أكله على الإطلاق وقال لي:

اتعلمي من أمي الطبيخ عشان بكرة لما نتجوز الجيران ما تسمعش صوت الضرب.. مهو أصل الجواز مش عسل على طول..

لم تعجب أمه من هذا الكلام..

- على فكرة، أميرة هي اللي طبخت وعملت كل حاجة بإيديها وجهزت السفرة قدامك وكلامك دا عيب.. شوفت انت أبوك مد إيده عليه قبل كدا عشان تقولها كدا؟!

لم يملك سوى الصمت ولكن عينيه لم تكن صامتة بل كانت شرارات الغضب تنفذ منها كأنها أسهم تريد قتلي! أين ذهب هذا الرجل الذي أحبه.. أين ذهب هذا الرجل الذي عشقته.. أين ذهب الرجل الذي اعتبرته أبي وأخي وصديق عمري وحبيب قلبي.. هل أخذته الشياطين وتركت لي هذا الغريب الذي لم أعهده من قبل أم ماذا؟!

- بكلمك على طول مشغولة.. بتكلمي مين؟

- بكلم هدى صاحبتي.. أعزمها على معاد كتب الكتاب.

- مش قلت لك ما تكلميش الزفتة دي تاني.

- احترم نفسك.. ما تقلش عليها زفتة دي صاحبتي وأختي وأكتر من أختي كمان.. أنا أعرفها قبلك وبقالنا سنين أصحاب... وبعدين انت ما لك وما لها يا أخي أكلمها ولا لاء، ومتضايق منها ليه.. هي تلزمك في حاجة؟!

- ما تلزمنيش.. لا هي ولا عشرة زيها!

- أمال حتطها في دماغك ليه.. كذلك ياسمين واخد نفس الموقف منها.

- مش بحبها.

- ليه هي مراتك ولا خطيبتك ولا شايفني بخيرك عشان تجوزها... وبعدين دي دائما تجيب سيرتك بكل خير وبتدعيلنا إن ربنا يكمل لنا بخير ويسعدنا.. إيه بقى؟!

- أخلاقها وحشة.

- إيه؟! أخلاقها وحشة بناء على إيه بقى إن شاء الله.. كنت شايفها ماشية على حل شعرها؟ وبعدين: أهلي وأهلها عارفين بعض من سنين وأظن لو أخلاقها وحشة ماما وبابا مش هيدخلوها البيت وأولهم أنا.. لكن صاحبتي أشرف بنت عرفتها في حياتي... وبعدين: نفسي أفهم انت حاطت صحباتي في دماغك ليه؟!

- دا كلامي الأخير، اسمعيه كويس يا أنا يا أصحابك..

في الهاتف

- ازيك يا سومة، أخبارك إيه؟

- الحمد لله تمام.

- ها.. ناوية تخرجي فين النهارده؟

- مش هخرج.

- إنت كل مرة مش عايزة تخرجي.. إنت عارفة إن مليش حد غيرك بخرج معاها.

- معلش يا ياسمين، حاولي تخرجي مع هدى أو كيري..

- أنا مش عارفة فيه إيه؟ ليه مش بنخرج مع بعض زي الأول حتى في الكلية بلاحظ انك بتكلميني كويس وأول ما نخرج من المدرج ولا كأنك تعرفيني.. أنا مش هسيبك غير لما تعرفيني الموضوع..

- أقولك إيه بس.. غصب عني والله، خالد محرص عليه إني مكلمش حد من صحباتي، ورغم كدا بكلمكم من وراه.

- نعم؟! ليه بقه.. عملنا إيه لكل دا، وبعدين: هتبيعي أصحابك عشان خاطر خطيبك، هتبيعي عشرة سنين عشان خاطر عشرة كام شهر، أنا من زمان قلت لك بلاش خالد.. مسألتيش إيه السبب للعداوة دي؟

- معرفش..

- هو إيه اللي متعرفيش..

- والله ما اعرف.. أنا حتى سألته وما قليش على سبب وسابني ومشى.. أنا آسفة، وبعدين: أنا بكلمك وهنفضل على اتصال من وراه.

- بس من وراه يا أميرة؟! يعني كأننا زي الحرامية بنسرق الوقت عشان نطمن على بعض... طب مامتك تعرف بالكلام دا؟

- إنت عارفة إني ما بقلش لأهلي على أي خلاف بيننا.

- خلاص، خير ولا يهمك، وبعدين: سعادتك أهم حاجة عندي ولو خصامي هيسعدك أنا عمري ما هقف قدام سعادتك..

- ما تقوليش كدا انت صديقتي اللي حياتي من غيرها ما تكملش...

كنا نتقابل سرا في الكافيهات..

- عاملة إيه مع خالد؟

- تصرفاته وحشة معايا.. أنا مش عارفة إيه مخليني أتحمله.

- عشان بتحبيه..

- كلمة بحبه دي قليلة أوي أوي على اللي بحسه بيه من نحيته بس بالشكل دا انا خايفه ل اكرهه.

- القلب اللي بيحب ما بيعرفش يكره، دي قاعدة..

- هييجي يوم يكون للقاعدة دي استثناء!

- ما تقلقيش كله خيروبعدين يا ستي نخرج احنا ونستمتع ونضحك ونهزر ولا تزعلي.

- ربنا يخليكي ليه يا رب يا سومة.

أصبح كل شيء يطفئ أنواره في وجهي فجأة وكأن مكتوبا على قلبي: ممنوع اقتراب الأفراح منعا للإزعاج، أما الأحزان فتدخل من أي اتجاه ولا يبقى أمامي غير أني أضحك في الوجوه والقلب مجروح.. فقد ضاق الصدروانتهى الأمر، لم يشعربي أحد سوى أخي الذي واجهني قائلا:

ما بقتش اشوف أميرة بتاعة زمان، والضحكة الحلوة اللي على وشها مكانها حزن وعنيها اللي مليانة نور أصبحت ضالمة، مش شايفة ما لك.. في إيه؟

- تعبت يا احمد وما عدتش قادرة، خلاص، خالد تعبت منه ما عدتش قادرة اتحمل تصرفاته.

- طب خلاص ما تعيطيش واحكيلي.

- أقولّك إيه ولا إيه.. منا مش برضى أحكي لحد على حركاته وتصرفاته؛ بيكون معايا بوش ومعاكم بوش تاني خالص.. أنا صعبانة عليا نفسي، حركاته بتقول لي: اكرهيني، أبوس إيدك.. اكرهيني.

- ما عدش غير أيام على كتب الكتاب والفرح.. جاية تقولي الكلام دا دلوقتي، بس ولا يهمك.. لو عايزاني أكلم بابا في الموضوع أكلمه.

- يا ربت خلاص.. مش قادرة أستحمل تصرفاته أكترمن كدا، مش عارفة بيعمل كدا ليه!

- خلاص، خلاص، حتى لو بابا ما وافقش أنا لازم أفسخ الهبابة دي.. ما عاش ولا كان اللي يخليكي تعيطي... وضمها إلى صدره...

جلس أحمد مع والده قائلا:

بابا، عايز اتكلم معاك في موضوع.

- خيريا احمد، وادي قاعدة.. سمعني، تكون عايزتخطب ويبقى الفرحة فرحتين؟

- خالد ما عدشي يلزمنا.. أميرة بتعيط ليل مع نهار على اللي بيعمله فيها ومش بترضى تحكي لحد؛ كرهت تصرفاته معاها، أميره صبرت وقالت الدنيا هتتعدل لكن إني ادخل على أختي النهار ده ألقيها هارية نفسها عياط.. ليه وعشان إيه؟ دا مانعها عن صحباتها يبقى يا بابا لازم تحل الموضوع دا!

- ما ينفعش ناخد الأمور كدا، الناس يقولوا إيه؟ إحنا عزمنا الناس على الفرح وكتب الكتاب وبعدين فيه إيه لمّا تبعد عن صحابها.. عاجلا أم اجلا هتنشغل بحياتها وهتنساهم وهيبقى عندها ولادها وجوزها أحسن من أي صاحبة!

- ملعون أبو الناس! هما الناس وراهم إيه غير سيرة فلان وعلان وفي الآخر الكل بينسى.. ما ينفعش نربط حياة أختي بكلام الناس خوفا منهم، لما يكونوا خاليين من العيوب يبقوا ييجوا يحكمونا على عيوبنا، وبعدين النهار ده حرمها من أصحابها بكره يحرمها من إخواتها وأهلها ويسجنها في بيته.. ما هي هتبقى خلاص مراته ما لناش كلام عليه!

- مش للدرجة دي يا احمد.. الأمور أبسط من كدا انا هبعت لوالدته تكلم مامتك وكل شيء هيبقى عال العال.. ما انا مش هطلع عيل صغير أخطب النهار ده وافسخ بكره.. والواد ما عملش حاجة غلط غير إن أاختك متدلعة حبتين مش واخدة على الحياة الجد والمسؤلية، وما فيش بنت هتلاقي في بيت جوزها دلع ابوها وحنية اخوها.. خليها تعيش الواقع هتعيط النهار ده دمعتين وبكرة تضحك.

- حضرتك شايف كدا؟! ربنا يعدي الأمور على خير..

ساعات معدودة تمضي والجميع مجتمعون يتناقشون فيما حدث.. نادى علي أبي وحكيت لهم على كل شيء.. لم أُخْفِ عنهم شيئا حتى نظرات الاستهتار التي كان ينظر لي بها وصفتها لهم فقد جاء اليوم الذي تفشي فيه الأسرار، ولكن يا ليتني لم أرَهذا اليوم؛ فما إن حكيت على ما حدث منه حتى تعالت الأصوات واشتد الجدال وفي النهايه قرروا جميعا مصيري بجملة خربت بيوتا: (بكرة هيتعدل بعد الجواز).. غلبوني بكثرتهم فالكثرة تغلب القوة وليست الشجاعة!

أصبح الزواج القيد الذي يرغمني على البقاء معه.. ولكن هيهات لمن سولت له نفسه في التفكير بهذا فحتى إن تزوجته ووجدت ما يكرهني فلن أقبل بأن أظل زوجته ولو لليلة! ورغم أن أخي غضب من أبي للموافقة عليه وترك المنزل لأنه لم يقبل بأن يكون هناك رجل يهين أخته وهو على قيد الحياة، ورغم هذا خضعت لهم لعل وعسى أجد أي بصيص نور أو أمل يتغير بهذا الكائن الذي خطف حبيبي وترك لي شيطانا... شيطانا حرمني من أيام سعادة كنت أعيشها ومن صديقة عمري التي أسرق اللحظات لأطمئن عليها وهي بدورها كانت تطمئن علي كأختين نسرق من السجان نظرة اللقاء!

ازداد غضبي على خالد كلما زاد غياب أخي عن المنزل.. لم أكن أصدق نفسي بأني أصبحت أدعو الله في جوف الليل أن يخلصني منه؛ كنت أبكي كل ليلة وأدعو الله أن أصبح فلا أراه أمامي لأنني لم أعد أطيقه... الفتاة التي كانت تدعو الله لكي يبارك لها في حبيبها وخطيبها ورجل وتعشقه وتبكي من السعادة بوجوده في حياتها أصبحت تبكي بدعوة رجاء لربها أن ينجيها وأن يخلصها من شخص أحبته يوما، فأصبحت أنا الكارهة لك والراغبة بك في آن واحد! لا أريد تركك لكن أريدك أن تتغير!

مرت الأيام وجاء موعد كتب الكتاب..

في المسجد مكان مخصص للنساء.. يفصل بيننا وبين الرجال بستارة.. الأهل والأقارب حولي ولم أفتقد أحدا سواك يا صديقتي أنت وقلبي؛ لقد ذهب قلبي إلى عالم لا يوجد به أحد غيرك ولأني أعلم أنك لن تأتي كتب الكتاب خشية المشاكل كان الحزن يخيم على وجهي في يوم زواجي لأنك لم تكوني حاضرة، وفي لحظة ألهمني الله أن أنظر إلى باب المسجد بعيون حزينة وقلب يدعو بأن أراك أمامي.. فجأة وجدت من جاءت خلفي وأغمضت عيني قائلة:

- أنا مين؟

لم أتمالك نفسي حتى أمسكت يديك والتفت إليك وحضنتك كالغائب الذي لم يحضر منذ سنوات.. تعانقنا وشهدت دموعنا على شوق اللقاء بك.. وقلت لي بصوت يفهم بصعوبة من كثرة بكائك:

مبروك يا أميرة!

تبكي: الله يبارك فيكي... مش مصدقة إنك جيتي.

- امسحي دموعك دي، بلاش دموع في يوم مفترج زي دا.

- امسحي دموعك انت كمان...

- أنا مش عاوزاك تزعلي في أجمل يوم.. ما تشليش همي هنبقى نتكلم بعض سرقة من غير ما هو يعرف!

- لحد الآن مش قادر يقولي سبب بعدكم عني..

- لا طاعة في معصية الله.. يكفي أن أطمن عليكي من بعيد.

إحساس بكوني ملكة يراقبها فارسها الأمير من بعيد دون أن تدرك وفارسها هذا هو أنت يا صديقتي.. تتحسسين أمري دون علمي.. ضممتك إلى صدري مرة أخرى وفرقنا صوت الإمام بصلاة ركعتين قبل كتب الكتاب.. وقفت بجواري تتلامس أقدامنا وأذرعنا وتتوحد قراءتنا وركوعنا وسجودنا ودعاؤنا وكأننا قلب في جسدين.. روحا في شكلين؛ شعرت بعاطفة أخوة وصداقة لم أعهدها من قبل، كنت أسمع اسمي على لسانك وأنت تدعين لي في صلاتك حتى أني ركزت السمع لكي ولم أدع الله بشيء؛ هل أدعو لي أم أدعو لمن تدعو لي؟!

انتهينا من الصلاة وبدأت إجراءات كتب الكتاب وأنت بجواري تمسكين يدي المرتجفة ولكن هل كانت رجفة السعادة أم رجفة الصدمة التي لم تكن في الحسبان...

٢٠١٣

آخر كلمة كتبتها، طار عقل حسام متسائلا:

- صدمة؟.. صدمة إيه؟ ها صدمة إيه.. أنا اللي في صدمة دلوقتي، فين باقي الرسائل؟ إيه الموضوع؟ طب هي دلوقتي إيه نظامها؟ مخطوبة ولا متجوزة ولا أرمله ولا نظامها إيه.. حد يقولّي حد يرد عليه.. إيه حكاية ألف ليلة وليلة دي؟!

ظل يضرب أخماسا في أسداس ويحدث نفسه فدخلت أمة فجأة..

- خيريا ابني في إيه؟

- خيريا ماما.. إنت اللي فيه إيه؛ نشفتي دمي.

- إنت اللي نشفت دمي.. بتزعق لمين؟

- بزعق.. لا، لا، أصل مش لاقي القميص الأزرق بتاعي..

- القميص الأزرق.. سلامتك يا ابني.. أمال اللي انت لابسه دا إيه؟!

- آه، ما خدتش بالي.. وانا بدور عليه.. معلش يا ماما، أحيانا بتبقى الحاجة قدامنا وعنينا ما بتشفهاش!

- في دى عندك حق.. عندك حق جدا؛ قدام عينك في الرايحة والجاية وتحت سقف واحد ومش راضي تراضي قلبها بكلمة حلوة.

- تاني يا ماما.. أبوس إيدك إحنا اتكلمنا في الموضوع دا مليون مرة.. دعاء زي اختي بالضبط!

- أختك؟! دا انا خاطبهالك من وهي في اللفة..

- ماما، يا حبيبة قلبي، الكلام دا كان زمااااااان.. تخطبوا وتتخطبوا من وانتم في اللفة لكن دلوقتي الوضع اتغير؛ دعاء دي اختي.. ينفع اتجوز أختي يا ماما؟ دا حتى اللي بيتكسف من بنت عمه ما يجبش منها خيار؛ فما بالك باختي! من أول ما عيني فتحت على الدنيا وانا شايفها اختي.. يبقي ولا هجيب خيار ولا فقوس، بلاش تبوريني وتبوريها جنبك.. أبوس إيدك!

- أختك مش أختك، خيار.. بدنجان.. دعاء ليك وانت لدعاء، ثم مين هتوافق بيك وانت... قطعت كلامها.

بحزن: كملي يا ماما كلامك، وانا إيه؟ قولها ما تخافيش مش هزعل!

- مش قصدي يا حبيبي.. بس دعاء بتحبك وراضية بظروفك.

- ظروفي؟

- أنا كل يوم بدخل بالليل اطّمن عليك أشوف لسه فيك نفس ولا لاء.. بقدم رجل وبأخر التانية.. خايفة أدخل في يوم ألاقيك...

- الأعمار بيد الله يا ماما، وبعدين جوازي من دعاء مش هيطول عمري!

- أنا عارفة بس انا نفسي افرح بيك وبعيل أو عيلة منك بتلعب قدامي.. حتة منك تكون ذكرى ليّا.

- خلاص يا ماما ضامنة موتي للدرجة دي وعايزة حتة مني.. وبعدين الجواز أصلا لواحدة ممكن يكون موتي قبل ما تشوفي الحتة اللي مني دي.. ثانيا: افرضي طلعت عقيم هتعملي إيه؟ ثالثا بقة: أنا بحب واحدة تانية.

- واحدة تانية؟ والواحدة دي عارفة ظروفك؟

- أيوه، عارفاها ومستقبلة أي شيء مني مهما كان أكتر من دعاء كمان.. ها، قلتي إيه؟

- قلت: لا، طبعا.. أكيد دي طمعانة في مالك اللي هتورثه بعد ما تموت.

- وقدرتي تقوليها يا أمي؟!

- هي دي الحقيقة.. هنفضل نخبي لحد إمته؟!

يخرج حسام متعصبا خارج المنزل.. تدخل دعاء على بكاء خالتها.. ففهمت أنها تحدثت معه في نفس الموضوع.

في هذه الأثناء كانت تستمع لأم كلثوم في الراديو.. أغنيه أمل حياتي وتدندن معها، أغمضت عينيها واسترخت على سريرها، فجأة صوت الباب يدق..

- ادخل.

تجد ياسمين أمامها تبتسم في سعادة غامرة وتنهض من مكانها.. تأخذ صديقتها في حضنها: ياسمين، وحشاني!

- أمل حياتي برضه!

(تضحك): دي الست يا بنتي.. كل جيل بيسمعها.

- إلا انا.. أنا بعشق عمرو دياب والكنج.

- أنا وانت مختلفين تماما في ذوق الأغاني؛ أنا أعشق كل قديم وانت تعشقي كل جديد... الحاجة الوحيدة اللي مختلفين فيها!

- بس انا بعشق الأغنيه دي جدا.

- يشمعنا بقه يا ست ياسمين؟

- بيسمعهالي كل يوم في التليفون.. (تغني).. أمل حياتي يا حب غالي يا أحلى غنوة..

فجأة صوت الباب يدق.. تستيقظ أميرة لتكتشف أنها غارقة في أحلام اليقظة وما زال صوت أم كلثوم يغني: يا حب غالي.

- أنا أحمد يا ميرو.. إنت صاحية؟

- أيوه، خير!

- في تليفون عشانك.

- تليفون! مين؟

- مش عارف بس من صوتها واحدة..

ترفع السماعة: ألو.

- أميرة، إزيك؟

- إنت مين؟

- مش عارفة صوتي؟ نسيتيه؟

أغلقت الخط فورا.. دخلت غرفتها وأغلقتها بسرعة.. وقفت متكئة على الباب في ذهول متسائلة: لماذا وكيف تتصل بها بعد كل الذي فعلته؟!

لاحظ أحمد انفعال أخته: أميرة، افتحي الباب!

- سيبني دلوقتي يا احمد..

يرن الهاتف، تخرج متعصبة، ترد:

عايزة إيه؟ إيه فكرك بيا؟

- مش احنا أصحاب؟

- لا مش أصحاب ولا عمرنا كنا أصحاب..

- والعشرة اللي بينّا نسيتيها؟

- نسيتها لما انت بعتيها.

- أنا آسفة وندمانة على اللي حصل مني..

- أسفك دا ما عدش ينفع.

- سامحيني..

- عمري ما هسامح الشيطان على اللي عمله.

- أنا غلطانة وندمانة وآسفة.. لك حق تقولي شيطانة بس غصب عني والله كانت لحظة شيطان.. سامحيني يا أميرة.

- عايزاني أنا أسامحك؟ هيه، الشيطان بيطلب السماح.. ماشي هسامحك في حالة واحدة بس.. إنك ترجعي اللي فات من عمري من تاني!

- اللي فات ما بيرجعش يا أميرة.

- إنت جزء من اللي فات.. ما تنفعيش ترجعي تاني يا هدى، رجعي الوقت اللي فات من عمري ووقتها هسامحك، غيركدا ما تتصليش تاني.. أغلقت الخط.

تلتفت فترى أسرتها خلفها مصدومين.. تحاول التماسك قائلة:

لو الهبابة دي اتصلت تاني محدش يرد واللي هيرد هيكون بالنسبة لي زيها.. تدخل غرفتها.. تدخل أمها، يمسكها أحمد قائلا:

سيبيها يا ماما، ما تحاوليش تتكلمي معاها، هي لما هتعيط هترتاح.

- أنا بنتي عمرها ما هترتاح أبدا.

- الدنيا دي اتخلقت عشان نتعب فيها.. مش عشان نرتاح، يلّا يا غادة مع ماما، حضروا العشاء.. ذهبتا وذهب هو باتجاه أخته قائلا:

عارف انك سامعاني بس اللي عملتيه دا عين العقل.. أنا مش هقولك: ما تعيطيش. الدمعة اللي كبتاها في عينك دي عايزك تخرجيها وتخرجي معاها كل أوجاعك.. ما تخليش حزنك ولا دموعك تضعفك.. خلي الدمعة اللي تنزل من عينك تقويك.. سامعاني.

تفتح صفحتها وتكتب..

في غرفه كيرى

- إنت عسل أوي يا كيري!

- مش أحلى منك يا ميرو.. تتنهد، الفرحة ما تبقاش فرحة إلا بصاحباتي حواليه.. بس هما فين؟

- أنا مش كفاية؟!

- إنت اللي باقية لي منهم، يبقى كفاية ونص.. إيه رأيك أحط التاج دا على شعري ولا يبقى أوفر؟

- إنت جميلة من غير التاج.. مستخسراك في الواد مينا دا، إنت أحلى منه بكتير يا بنتي.. مش بتبصي لنفسك في المرايا؟!

- اختيار ماما بقه.. أعمل إيه؟

- إيه دا.. إنت مش موافقة عليه ولّا إيه؟

- إحنا لسه في فترة الخطوبة يا ميرو.. بس هو شخص محترم.

- في دي عندك حق.. ما يهمنيش اسمك، ما يهمنيش عنوانك، يهمني الإنساااان ولو ملوش عنوان.. هههههه.

- قفشاتك دي هتوديني في داهية..

تزداد الزغاريد..

- يظهر إن العريس وصل!

- طب يلّا بسرعة اطلعي..

تخرج وتزداد الزغاريد..

فجأة: أميرة، أميرة، تعالي..

- نعم، يا طنط.

- امسكي صنية الشربات وفرقي على المعازيم.

- وانا فين كوبايتي؟ أنا لازم اشرب قبل ما المعازيم تشرب.

- هههه، يا روح قلبي انا عاملة لك مخصوص كوباية شربات بماء الورد اللي بتحبها، ومعاه طبق الرز باللبن.

- بجد والنبي؟ ربنا يخليك ليه، طب ناوليني الصنيه بقه أوزعها وجهزي الصنية التانية..

- ربنا يسعدك يا ميرو، ويعوضك يا بنتي.

توزع الشربات وإذا أحمد يأخذ كوبا ويرتشف رشفة.. كاد أن يشرق عندما رأى أميرة من تقدم الشربات.. يتلعثم:

أميره! إنت هنا ليه؟.. أقصد: إيه جابك هنا؟.. أقصد: إزيك، إزيك.

- الحمد لله..

تكاد تذهب، ثم تسأله: إنت هنا ليه؟

- أنا.. ما هو أصل أنا صديق كيري.. وانت؟

- صديق كيري؟! عمرها ما جابت سيرتك على فكرة.

يتنحنح: عادي، عمرها ما جابت سيرتك برضه على فكرة.

- بس انا جارتها.. أما انت مش جارهم.

بجد والله جارتها؟ يعني انت ساكنة هنا في الشارع؟

- آه، أنا في نفس الشارع (تسخر منه).. يا دوب بيني وبين بابا شقتها الأربع بلطات اللي قدامك دول.

يتنحنح مرة أخرى: تقصدي إن باب الشقة اللي قدامي دا شقتك؟

تهز رأسها: آه.

- سبحان الله، إيه الصدف دي.. يقول لنفسه: (وانا اللي كنت بدور على مكانك في كل مكان أمشي فيه.. أتاريك هنا)..

تذهب وتغيب عن عينيه؛ فيبحث عنها.. يراها واقفة بجوار الشرفة فيذهب إليها، وما إن وقف جاءت امرأة وأعطتهم كوبين شربات قائلة: عقبالكم يا حلوين نشرب شربات

فرحكم. لم ينطقا، بل خفق قلبها وكأنه يؤمن على دعوتها.. أخذ الكوبين وأعطى لأميره كوبها..

- حلوة أوي..

- إنتي أحلى.

- أنا أقصد على العروسة.. عسولة أوي.

- عارف بس انت أحلى.

- الجمال جمال الروح وهي روحها خفيفة وجميلة.

- فعلا، واللي بحبها جميلة الروح والشكل وأجمل بنت شافتها عيني.

- بتحبها؟ أول مرة أعرف إنك بتحب.. على العموم دي مسائل شخصية ما ليش أدخل فيها.

- إزاي بقه.. دا انت لازم تدخلي.

- ليه إن شاء الله؟!

- لأنك تعرفها ونفسي تسألها نيابة عني: هل هي بتحبني زي ما بحبها ولا لاء؟!

- وما تسألهاش انت ليه؟

- منا بسألها اهوه: بتحبيني زي ما بحبك؟..

تنظر في ذهول.. لم تتخيل أنه سيقولها بصراحة مطلقة هكذا ويعترف بحبه لها، سألها ثانية: بتحبيني زي ما بحبك يا أميرة؟

ارتبكت واحمر وجهها.. شعرت أن الجميع سمع سؤاله الذي حرك قلبها من مكانه.. نظر إليها بجدية:

ما تبعديش وشك عني وجاوبي على سؤالي.. أنا من زمان هموت واعرف جوابه منك.. بتحبيني زي ما بحبك؟ نفسي اسمع كلمة بحبك من شفايفك.. أنا بنام وبتمنى أحلم بيك بتنطقيها..

- أنا لازم أمشي.

- عارفة لو مشيتي من غير ما تجاوبيني هاجي على باب بيتك واخبط على أهلك وأسالك قدامهم وقدام العالم دي كلها واقول بصوت عالي: أنا بعشقك يا أوزعتي!

- إيه إنت؟ إنت ما تعرفش حاجة عني.. اتسلى مع واحدة تانية بعيد عني.

- أتسلى؟! أنا عمري ما كنت بتسلى بيك، أقسم لك إن انا بحبك وشاريكي.

- نفسي أصدقك بس مع الأسف مقدرش.. أنا مش مخلوقة للحب..

تذهب لمنزلها.. يتبعها فتغلق الباب وتقف خلفه تنظر إليه من العين السحرية في حين ظل واقفا بعض الوقت أمام شقتها ينظران لبعض كأنهما يران بعضهما من خلف الباب، لكنه سرعان ما ذهب فتفتح شرفتها لتراه يرحل بسيارته.. تنظر للنجوم وتسأل نفسها: كيف سأحب بهذا القلب الذي ترك في منتصف الطريق ينزف ألما؟ كيف سأحب وقلبي لم يعد يثق بأحد ولا في الحب؟

لا بد أن أنسى الماضي وأبدأ من جديد.

ابتسامه رقيقه ارتسمت على وجهها عندما تذكرت نظرة العشق في عينيه ونبرة صوته الرجولية التي لعبت على أوتارها قائلا: بحبك.. يبدو يا قلبي أنك بدأت تشعر بالحب مرة أخرى، يبدو أنني لم أفقد الشعور بالحب بعد، كيف دخل هذا الحب قلبي دون استئذان؟

لكني خائفة.. ماذا لو كان الحاضر كالماضي؟ ماذا لو وثقت بهذا الحبيب وأصابني مثل ما أصابني في الماضي؟ لكن أصابع اليد الواحدة مختلفة كذلك الرجال غير متشابهين، عليك فتح قلبك للحب مرة أخرى فإن لم تجدي الحب الذي يستحق فيكفي أن تملكي قلبا يعرف الحب دائما.. وما نفقده في أول تجربة لنا لا نفقده في كل تجاربنا، هناك أميرتان بداخلها؛ أميرة تقنعها بأن الحب الحقيقي ما زال موجودا.. عليها فقط أن تؤمن بوجوده لتجده، والأخرى تسألها من الذي ستضحين به هذه المرة من أجل الحب؟

فتح الرسائل وما توقعه كان.. لقد أكملت رسالتها..

٢٠١٠

سألني الشيخ عن موافقتي على قبول الزواج وما كاد لساني أن ينطق بالموافقة حتى سمعت صوت امرأة تولول وتصرخ لم أفهم من كلامها شيئا في البداية، أوقفها بعض الرجال وطلبوا منها الهدوء والتروي ليعلموا ما الأمر؟! وكانت الصدمة!

- الفاجر.. هو فين؟

أحد الحضور: عيب يا حاجة، احترمي حرمة المسجد.. عيب!

- هو فيه عيب أكتر من اللي بتعملوه؟ هو فين؟ إزاي يخطب ويخون عهده معايا ومع بنتي؟

بابا: عهد إيه يا ستي.. بتكلمي عن إيه.. دا كتب كتاب بنتي.. اإنت جاية تعملي إيه؟

- كتب كتاب مين يا نضري؟! بنتك اللي خالد بيه مش طايق يبص في خلقتها.

أحد الحضور: عيب يا ست الكلام دا.

- عيب مين يا عيني؟ قولوا لصاحب العيب هو عيب ازاي يكتب كتابه على واحدة وهو متجوز واحدة تانية؟

- واحدة مين يا ست انت.. إنت مين؟!

تفتح أميرة وياسمين الستار..

ياسمين: طنط سعاد! طنط سعاد! حضرتك بتقولي إيه؟!

- اللي سمعتيه يا عيوني: خالد كاتب كتابه على بنتي على سنة الله ورسوله.

أم احمد: إزاي؟ فين خالد يرد على الكلام دا؟

سعاد: تعالى يا سي العريس رد على حماتك التانية؛ إلا صحيح.. مبقتش لسه حماتك، الحمد لله إني لحقتكم قبل كتب الكتاب.

أحمد في غضب: اللي بتقوله الست دي مضبوط؟!

خالد في خجل: آه.

أحمد: آه إيه.. هو إيه اللي آه، إنت متجوز ازاي؟! وامته؟ انطق، إزاي الكلام دا؟!

سعاد: يعني إيه ازاي يا روحي، زي ما كان هيتجوزك يا روحي ودفع لبنتي شبكة ومهر.

- شبكة ومهر.. يبقى انت أخدت شبكتي عشان تكمل بيها تمن العفش ورحت خطبت بنتها! وضحكت عليا وتقولي: هكمل بيها تمن العفش ورايح تتجوز مين؟!.. مين؟! صاحبتى؟!!

بتخوني مع أقرب الناس ليا.. طب والحب اللي كان بي...

قاطعتها: حب إيه يا بيضة.. دا كان بيخلص منك ومش عارفة.. كنت سايقة الفزلكة والقنعرة عليه وقرفاه في عيشته لما قرف منك ومن عمايلك السودة، وكل ما يخلص منك يلاقيك لازقة فيه زي اللبانة في البطانية، وآخر المتمة كتب كتابه على بنتي عشان يحطكم قدام الأمر الواقع!

أحمد: دا انا اللي هحطه في المشرحة النهارده.

(يضرب خالد).. تتعالى الصرخات، لم تصدق أميرة ما يحدث.. انقلب المشهد أمامها رأسا على عقب واسودت الدنيا في عينيها وقلبها فقد نبضاته، أين ذهب كل هذا الحب؟! أخذته الرياح وذهبت به بعيدا أم طعنه خنجر المحبوب وأورده قتيلا؟!..

لا أصدق أن من خانني لأجلها هي صديقتي! ألم أخبرك بأن هناك جحيم الله على الأرض وما جحيم الأرض إلا قلبا بدون حب، وما جحيم الأرض إلا قلبا قد خان الحب، وما جحيم الله على الأرض إلا فقدان من تحب.. وما الجنة إلا حبا يشعرك أنك ولدت من جديد، وما الدنيا إلا وردة يراها من يراها بقلبه.

منا من يراها جميلة وعطرها فياض، فقد وجد الحب والرحمة، ومنا من يراها ذابلة ليست كزهرة وإنما فرع مليء بالأشواك المؤلمة.. فهم لم يجدوا الحب مطلقا..

وهكذا أصبحت وردة ذبل جمالها ورحيقها بعدما خان ماء الحب قلبها، بعدما عصف نهر الحب الهادئ الصافي بها وألقاها في عمق المحيط المظلم الذي لا يجتمع فيه إلا كل ماضٍ مؤلم وقلب محطم!

سكين ممزوج بمعدنين ضربا ضربة واحدة فانشق القلب لاثنين؛ معدن الحبيب ومعدن الصديق.. رمح مسموم نصله صديقتي وقوامه حبيبي الذي قلبته الأيام وتحول حبه لكره..

اثنان لا يمكن أن تغفر لهما مطلقا؛ حبيب خائن، وصديق أودع صداقة العمر في الجحيم!

- يعني انت بتحبني؟ متأكد؟

- أنا عمري ما حبيت واحدة زيك.. لو خيروني بين حور الجنة وبينك انا أختارك انت.

- هههه، مش قادرة أصدق خالص خالص.

- ليه؟

- مش مصدقة إني ربنا استجاب دعوتي، كنت بدعي ربنا ليل نهار إنه يرزقني بالإنسان اللي يحبني أكتر ما انا بحبه والحمد لله ربنا بعتك ليا.. مش ممكن أفرط فيك أبدا يا خالد... إنت دعوة دعيت ربنا بيها.. أنا الإحساس اللي جوايا من ناحيتك مش لاقية كلمة توصفه.. بقولك إيه: أنا لازم أعرفك على صاحبي.

- صاحبك؟!

- أيوه، تعالى معايا هتحبه أوي، عند وعد ليا لازم أوفيه تعالى.. (تأخذه من يده للكورنيش).

كان له شكل غريب عن الذي تراه في أي وقت.. كانت النسمات كغير النسمات، حتى الدقائق التي مرت عليها غير الدقائق التي تعرفها.. ما إن وصلت حتى تعلقت بسور الكورنيش وتبسمت للنيل وهمست له فهو من يسمع همساتها.. كلما ضاقت بها الأوقات تذهب للنيل وتحكي له فهو صديق قديم.. يعرفان بعضهما منذ الصغر، همست قائلة:

أنا جيت.. الطفلة أم مريلة بقت عاشقة.. جبتلك حبيبي تشوفه، ها إيه رأيك فيه؟ تنصت..

لم يعجب خالد ما تفعله قائلا:

أميرة، إنت بتعملي إيه؟!

- بعرفك على صاحبي؟

- هو فين دا؟

- قدامك أهوه!

- مش شايف غير النيل.

- هو دا صاحبي القديم واللي هيفضل طول عمره صاحبي.

- في حد يصاحب النيل؟!

- أنا.. أنا وهو نعرف بعض من وانا صغيرة خالص.. كنت أقف على سطح بيتنا أشوفه من بعيد فأكلمه وأحس إنه سامعني وبيرد عليا.. ولما دخلت المدرسة كنت اقعد جنب باب الفصل عشان أشوفه.. أصل المدرسة كانت بتطل على النيل، بس غريبة!

- إيه.. ما لك؟

- النيل ما ردش على سؤالي.

- مش بقولّك.. يا ناس، أنا بحب واحدة هابلة وعبيطة يا ناس، هل عندك شك إنك مجنونة؟..

- أنا مش مجنونة.. أنا عاشقة.

- إيه رأيك.. نفسي لما نتجوز نجيب طفلين حلوين بنت شبهك وولد شبهي.. ولا اقولك نجيب خمس ست اولاد.

- خمسة، ستة؟! لو كدا يبقى خمس بنات.. أنا بحب خلفة البنات أوي.. أحب نكون أصحاب واخوات.. في وقت الهبل نلعب ونرقص مع بعض وألعب انا وهما بدقيق تورتة عيد الميلاد ونلخبط وشنا مكياج.. ولما يكبروا ألبس لبسهم ويلبسوا لبسي.. البنات حاجة كدا سكرة.

- طيب هاتي ولد يبقى ديك البرابر على الأقل وقت الصلاه تلاقي إمام جميل بيصلي بهم ويخلي باله من القواريرفي غيابي.. بس من أولها كدا البنات يكونوا حلوين شبهي.

- أعوذ بالله.. إنت عايز البنات يطلعوا شبهك مش كفاية الولاد.

- ليه إن شاء الله.. فيها إيه لو بنتك تطلع شبه جوزك؟

- عمرها ما هتجوز أبدا.. وكل اللي هيشوفها في الشارع هيقول الآنسة حنفي من غير شنب.

- لا بقى.. أنا أحلى منك والناس تشهد.

- ما تخلنيش أقرر إن الأولاد كمان يطلعوا شبهي وانت لا..

- لا بقى، دا انت تبقي دكتاتورية... أستغفر الله، طب خلي نص الدستة شبهك ونصها شبهي.. (يضحكان).

- ربنا يرزقنا بالذرية الصالحة.

- آمين.. الحمد لله إن ربنا رزقني بجوهرة زيك.. أنا عمري ما هسيبك عشان بحبك واللي بيحب ما بيسبش حبيبه أبدا.

فجأة: دا جوز بنتي وما صدق يخلص منك.. تنتفض أميرة من إغمائها قائلة:

أنا فين؟ أنا فين؟!

الممرضة: إنت بخير.. إنت في المستشفى.

- مستشفى ليه؟ إيه اللي حصل.. طلعوني من هنا، أنا كتب كتابي النهارده.. خالد فين، خالد، يا خالد.. يا خالد.

يعطيها الطبيب مهدئا لتغفوا في كوابيسها من جديد.. يخرج الطبيب..

- خير يا دكتور، أميرة عاملة إيه؟

- أنا إديتها مهدئ.. حالة انهيار عصبي.. هتعدي على خير -إن شاء الله- بس هتفضل هنا كام يوم تحت الملاحظة ومن رأيي ما لوش لازمة وجودكم كلكم هنا.. لو ضروري حد يقعد معاها يبقى واحد بس.

- حضرتك يا بابا، خد غادة وماما على البيت وانا هفضل هنا معاها، روحي معاهم يا ياسمين البلد مقلوبة من المظاهرات اللي معرفش نهايتها دي.

- أنا هفضل شوية ورامي هيعدي عليه وياخدني بعربيته.. (ذهب الجميع)..

ظل واقفا أمام غرفة أميرة ثم جلس بجوار ياسمين قائلا:

حددتوا معاد الفرح؟

- قريب -إن شاء الله-. مش ناويين نطول في الخطوبة.

يراقب شفتيها في كل حرف تنطق به كالجائع الذي يحلم بسرقة قطعة من شفاهها لكنها شفاه لا تحل القبلةه منها، هذه الشفايف التي تخرج ردودا تؤلمه تعلم أنه يرغب بها لكنها ترغب في شخص آخر.. تجاوب على أسئلته وقلبها يعتصر شفقة عليه وعلى حبه التي لا تستطيع فعل شيء لأجله!

- اخترتي قاعة الفرح؟

- اخترناها لكن لسه محددناش معاد.

- وفستان الفرح اخترتيه؟

- لسه ما رتبناش أمورنا بس أول ما الأزمة اللي احنا فيها دي تعدي هنحدد معاد الفرح على طول.

- هتعزميني؟

- أكيد.. ليه لا؟

- متأكدة انك اخترتي الإنسان اللي يليق بيك كزوج؟

- بلاش نتكلم في الموضوع دا.. دي حاجة خاصة وبكرة الأيام هتعدي وتتجوز وتنساني.. ما فيش حاجة بتفضل على حالها.

- إلا حاجة واحدة بس؛ الحب وانا حبي ليك زي الماس بيلمع ويبرق ويزيد قيمته لما يعدي عليه الزمن.

- متوقع مني إيه أعمله وانا أعمله؟ متوقع مني إني لما اسمع الكلام دا إني أسيب الإنسان اللي بحبه؟!

قال لنفسه:

وجعتيني.. يا ربت كانت كلمة بحبك دي تكون ليا!

- بكرة تلاقي اللي تحبك وتحبها.

- حتى لو لقيت اللي تحبني مش هتلاقي فيه اللي يحبها لأن مش هتلاقي قلبي وإن لقيت قلبي هتلاقيه من غير حب لأن الحب اللي فيه لواحدة تانية إنت عارفاها كويس!

- الحب بيروح وبيجي مع الأيام.. النهارده بتحب واحدة بكرة هتحب غيرها.

- دا مش كلام ياسمين.

- ياسمين لازم تفوقك من غيبوبة الحب اللي انت عايش فيها دي.. خلاص انا هتجوز وهكون على ذمة راجل وهيبقى اسمي على اسم راجل تاني.. لو عايز علاقتنا تبقى زي ما هي عاملني زي اختك ومعتقدش إنك في يوم تقدر تتجوز أختك.

- دا انت يا ياسمين اللي بتقولى كدا؟!

في غضب: غصب عني أنا...

فجأة يرن الهاتف..

- ألو.. إنت قدام المستشفى؟ أوك أنا نازلة.

- يعني خلاص ماشية؟

- شكلي كدا.

- هشوفك تاني امته؟

أدركت أنه لم ييأس رغم كلامها الذي جرحها أكثر منه!

- الله أعلم.

- بكرة الصبح عايزك تكوني جنب صاحبتك.

- هتكون هنا؟

- أنا بايت هنا..

التفتت لتمشي ثم عادت قائلة: قبل ما أمشي خدها نصيحة مني: ما ترسمش أحلامك على ميّه وارسمها على ورق عشان تتحقق.. ارسمها على واقع وخلي عقلك قبل قلبك دليلك.

رد في ثقة: أنا برسمها على قلبي وعمر قلبي ما كان خيال.

تيأس من نظرات الأمل في عينيه، هذا الأمل الخادع.. ذهبت.. شعر أن روحه وآماله وأحلامه ومستقبله في حقيبتها تحملها وترحل بها تاركة إياه بلا أمل، بلا حياة!

جلس يتخيلها كيف ستقابل خطيبها ويمسك يدها ويختال بها.. لم يتحمل تخيلاته.. ركض خلفها فيراها تقابل خطيبها ببسمة جميلة تمنى لو كانت له، أمسك يدها وتشابكا

الأصابع ويضمها لصدره فاشتعلت نار الغيرة في قلبه.. كاد أن يذهب إليه ليقتله، لكن.. وماذا بعد؟ إنها لا ترغب فيه.. فما ذنبه ليقتله؟ قال لنفسه:

المسافه بينك وبينها زي السماء والأرض.. أنت في سابع أرض وهي أجمل نجمة في سابع سما.. ما أملكش غير نظرتي ليها، ما أصعب أن يتعلق قلبك بقلب من لا يحبك، ماهو الحب؟ أهو مرض القلوب الذي لا دواء له أم أنه دواء القلوب الذي يقيه من أي مرض؟

في هذه الأثناء كانت جالسة بجوار خطيبها متوترة غاضبة من نفسها عما قالته.. فجأة..

- سرحانة في أميرة؟

- قدرها ونصيبها.. مين كان متوقع إن دا يحصل لها؟!

- حاجة صعبة.. بس مسيرها هتفوق وترجع زي ما كانت وهتنسى مع السنين.

- لو داوت السنين الجرح فأثره عمره ما يروح.

- روقي.. الحمد لله إنها صدمة عصبية وفاقت منها، واحدة غيرها كنت متوقع يحصل لها جلطة.. لا قدر الله!

- عرفت منين إنها صدمة عصبية؟

بتوتر: يظهر إن الموضوع دا أثر عليك.. إنت لسه قايلة إنها في حالة صدمة عصبية.

- مش فاكرة إني جبت سيرة الموضوع أصلا.. يظهر حياتنا لسه مليانة بالمفاجآت اللي هتخلينا نتكلم من غير ما نحس احنا قولنا إيه!

- اللي مش قادر أفهمه إزاى خالد كتب كتابه على هدى وهي صاحبتكم.. مش كنتم بتروحوا وتيجو على طول ما بعض.. إزاي دا حصل وإمته؟!

- الخيانة والغدر ملهمش قناع.. وهما الاتنين كانوا بيلبسوا كل يوم قناع؛ بالنسبة ليه هو خيانته مغفورة أما هي خيانتها عمرها ما تغتفر؛ صداقة سنين والعشرة، والحب اللي فضلنا نبني فيه السنين دي كلها تضيع في غمضة عين.. لو تعرف احنا إيه لبعض؟ إحنا مش أصحاب بس إحنا أكتر من الأخوات..

أجمل ضحكة وأجمل نظرة وأجمل المواقف وأكتر وقتنا وسنين عمرنا عشناها مع بعض.. خيانة الصاحب لصاحبه زي اللي ماسك خنجر وبيطعن نفسه!

الصداقة مش شيء سهل أو بسيط زي ما الناس فاكرة.. دا رباط مقدس بيتلف حوالين قلوبنا ملهوش علاقة ب أم أو أب ولا حتى فصيلة الدم؛ الصداقة علاقة بتربط الأرواح ببعضها وما يفرقش بين الروح والروح إلا الموت، حتى الموت بيخلينا فاكرين أصحابنا وأعز الناس لينا بدعوة حلوة..

- ربنا يعوّض عليها.. المهم خلينا في نفسنا شوية، مش هنحدد يوم الفرح؟

- لما نعدي الأزمة اللي احنا فيها دي الأول.. أنا مقدرش أفرح ونصي التاني مكسور.

- أميرة مش نصك التاني.. أنا نصك التاني يا سومة.

- صاحبتي هي روحي في شكل تاني.. أما حبيبي فهو قلبي اللي بيدق جوه!

- صاحبتك لو بتحبك بجد مش هتقف في وش سعادتك، والأفضل برضه إنها تخرج من المود اللي هي فيه دا، ومش هتخرج منه إلا لما تشوفك عروسة.

- تفتكر كدا؟ طيب في معاد محدد بتفكر فيه؟

- القاعة اللي شفناها محجوزة لآخر الشهر.. إيه رأيك؟

- آخر الشهر، اممم.. خلاص نخليها أول يوم في الشهر الجديد.

- خلاص وانا موافق.. أوله من آخره ما تفرقش، يومين وهنتلم في عشتنا وأوضتنا وسريرنا يا قمر.

- اتلمّ.

- ما انا ملموم أهو، أنا عملت حاجة؟ تفكيرك وحش خالص.. أمال لو قلت لك: هاتي بوسة سلف ليوم الفرح هتعملي إيه؟

- نزلني هنا بقه وانا أروح لوحدي.. نزلني.

- خلاص، خلاص.. مش عايز بكرة هناخد البوس وكل حاجه كاش..

- طب نزلني هنا.

- خلاص يا مجنونة، الناس هتفتكر إني خاطفك مش خطيبك.

في المستشفى

تفتح عينيها تجد أحمد نائما وبجواره بوكيه ورد.. تقرأ الكارت..

- أتمنى لك الشفاء العاجل.. ورب ضارة نافعة.. مجهول.

تدخل ياسمين.. ترى أحمد نائما وأميرة غير موجودة.. تسأل إحدى الممرضات عنها.. تخبرها أنها في الحمام.. تجلس على السرير أمام أحمد الغارق في النوم..

تقول لنفسها: شكلك زي الأمراء وانت نايم..

تتأمله.. تحاول لمس شعره فتشعر بخطوات قادمة..

- أميرة، حمدا لله على السلامة يا قلبي.

يستيقظ أحمد قائلا:

أميرة، كنت فين؟.. يظهر إن انا نمت..

- تقدر تروح ترتاح في البيت وانا هفضل مع أميرة هنا..

- أنا فعلا عايز أرتاح.. الكرسي قطم ضهري، وكويس انك جيتي عشان أروح انا.. على العموم لو احتاجتم حاجه اتصلي بيه يا سومة، سلام.

- عاملة إيه؟

- الحمد لله، شوفتي الورد دا؟

- آه، ورد جميل.. أحمد اللي جايبه؟

- لا، واحد مجهول وكاتب الكارت دا.. تفتكري ممكن يكون مين؟

- الخط دا مش غريب عليا.. أنا مش فاكرة انا شفت فين الخط دا.

- على الأقل حد افتكرني بحاجة حلوة، كفاية المسلسل التركي اللي انا عايشة فيه دا.

- كل حاجة بتحصل معانا خير.. اللي انت بتمري فيه دا ابتلاء من ربنا عشان يختبر صبرك وإيمانك، وممكن يكون مطب في طريق كنت ماشية فيه بعيد عن ربنا والمطب دا بيفوقنا ويخلينا نعيد حساباتنا من جديد ونقرب من ربنا أكتر، وانا عارفة إنك بعيدة عن ربنا يا صاحبتي.. معلش كلامي ممكن يوجعك شوية بس دي الصراحة.. إنت آخر مرة

صليتي إمته؟ آخر مرة طلعتي زكاة أو صدقة إمته؟ آخر مرة دخلتي فرحة جميلة أو ابتسامة جميلة على قلب إنسان غيرك امته؟ إنت مسلمة بالبطاقة وبحجابك بس يا صاحبتي لكن مش بأفعالك.

- إنت بتأنبيني؟

- لا، أبدا.. أنا جاية أساعدك ونبدأ من جديد والضربة اللي ما تموتش تقوي.. أنا هساعدك وآخدك من إيدك لبر الأمان.. هكون الضهر اللي تسندي عليه لما تتعبي، هكون سرك ومأمنك والكتاب اللي تكتبي فيه أسرارك وذكرياتك بحلوها ومرها، وأوعدك إني طول ما انا عايشة هكون صاحبتك اللي تنسيك أحزانك وتحلي مرارة أيامك وتشاركك فرحتك!

ترتمي أميرة في حضنها...

- مش عايزة أروّح بيتنا وألاقي نظرات الشفقة في عيون أهلي ولا عايزة أسمع: (ربنا يعدل حالك ويرزقك ابن الحلال) من اللي رايح واللي جاي.. خايفة من كلام الناس.

- خلي عندك حالة من الطظ في كلام الناس وركزي على نفسك وبس.. خليك زي الممثل كدا أهم حاجة عنده انه يعمل حاجة حلوة للناس تفتكره بيها على مر الزمن لذلك بيختار أحسن سيناريو لأحسن فيلم وينجح ويكسب منه ملايين المعجبين.. لكن ما فيش ممثل بيهتم بمعجب معين زي ما الناس معجبة بيه.. تلاقي اللي معلقة صورة ليه في غرفتها وبروفيلها، وتلاقي اللي بتعشقه لشخصه مش لشهرته، وكل دا هو ما يعرفش عنه حاجة لأنه عايش يثبت نفسه.

- ما فهمتش قصدك!

- خلي الناس تهتم بيك وتجيب في سيرتك في الرايحة والجاية.. مش من منظور الشفقه ومصمصة الشفايف على حالك المايل، لا على قدرتك إنك عايشة حياتك بالطول والعرض وإنك أقوى دلوقتي من أي وقت فات، ولو زعلانة من دعواتهم بصلاح الحال فمش معنى إن الواحدة متجوزتش يبقى حالها مايل.. سبهم يدعوا، إحنا في عرض دعوة حلوة من خلق الله وربنا يصلح حالنا جميعا.

- خايفة ليكون ربنا غضبان عليا من كتر المصايب اللي بتنزل على دماغي.

- الله إذا أحب عبدا ابتلاه.. تلاقي الغني بقى فقير وتلاقي المعدوم بقى ملك.. القرآن بيعلمنا إن كل مصيبة بتحصل لنا فيها خير لينا؛ امرأة فرعون عاشت في قصر وعزة أكتر من أي امرأة في عصرها وفي النهاية اتربطت بالحبال واتعذبت بنفس إيد الراجل اللي عيشها ملكة واللي اتجوزها.. دا في حد ذاته بلاء ومصيبة لكن مصيبة فتحت لها طريق تاني للحب، بس مش حب إنسان، دا حب رب الإنسان، ولما صبرت على المصيبة أكرمها الله وقبل دعوتها أن يبني الله لها بيتا في الجنة وكمان ذكرت في القرآن الكريم، وياله من شرف!

سيدنا يوسف إخوانه من لحمه ودمه فكروا يقتلوه وفي الآخر أكرمه الله وخروا له ساجدين.. ربنا حفظ لينا في القرآن قصص تعلمنا حكمة ثابتة صادقة إن كل بلاء ومصيبة بتنزل بالإنسان من قريب أو حبيب أو حتى غريب فهي بداية جديدة لحياة جديدة وأجمل، والأنبياء أكتر ناس اتظلموا واتحملوا مصائب في الدنيا دي، ورغم كدا استمروا في رسالتهم بابتسامة.. ييجي إيه مصيبتنا جنب المصائب اللي اتحملوها عشان نبكي ونبكي الكل حوالينا!

- كلامك ريح قلبي!

- لو قربتي من ربنا عمرك ما يكسرك إنسان.. يا صديقتي، الدنيا زائلة لكن حب الرب لعبده لا يزول!

الفصل الثالث
آخر السطور

٢٠١٣

عندما كنا صغارا.. أكثر شيء تمنيناه هو أنا نكبر، وعندما كبرنا أكثر شيء ندمنا عليه هذه الامنية الحمقاء. ذات يوم أخبرني أبي أان زمن الأمير الفارس الذي يأتي للعذراء على الحصان الأبيض قد ولى وفات منذ الأزل فقد ولّى زمن الأمراء والفرسان.. فقلت له: يا أبي أنا لا أريد فارسا على حصان أبيض يحملني ويطير بي لقصور من الذهب، بل أريد رجلا يحملني في قلبه كما تحمل روحه جسده.. لا يزال زمن الرجال والحب موجودا يا أبي ولن يقدر قيمة الحب سوى الرجال، لكني لم أعلم أن أبي قد كان على حق.. لم أعلم أنه سيأتي اليوم ويكسرني أحدهم بسيف الحب البتار!

عندما أحببتك لم أدرك كيف ولا متى، لقد كان كالغريق في بحر متلاطم من أمواج الغدر عندما أحبها واستمر في حبها سنوات ذاب في عشقها وذابت هي في كيانه ثم جاء اليوم الذي ألقت به بعيدا عنها في بحر الغدر دون طوق نجاة.. ظل يعافر في أمواجها حتى كاد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة فوجد يدا تسحبه إلى الحياة من جديد ومن المدهش أنه كان بانتظار أن يعيش مرة أخرى بعيدا عن هذا التلاطم.. وجد في حياتي وكياني الملاذ الأخير له في الحياة وركن مخصص له بل ليس لأحد سواه.. استقر حبه بين أحضاني وترابطت أقداره بأقداري وأنفاسه بأنفاسي ونظراته بنظراتي حتى لا يكاد ينظر لشيء إلا وجد نظراتي عليه في نفس الوقت.

في خلوتي أسمع صوته.. ووقت حيرتي وقلقي تهدئني ابتسامته فتعود الطمأنينة إلى قلبي.. لم تتلامس الأجساد إلا مرة واحدة عن طريق الخطأ عندما وضعت يدي على كتاب لأشتريه وتسابقه أيدينا إليه فتلامستا.. من هنا كان اللقاء.. والعجيب أن بدني لم يقشعر من لمسته بل شعرت بأني ألمس الجزء الضائع مني؛ ألمس كيان روحي.. عندما بدأت

علاقتنا كنا أصدقاء ثم تحولت الصداقة شيئا بشيء إلى حب وحولنا الحب إلى عاشقين واستمر العشق سنتين ثم ندمنا.. يا ليتها استمرت صداقة فقط!

وذات ليلة لا أرغب بتذكرها رأيته معها.. شعور قاتل عندما تجد من تحب يرمي بحبك على رصيف الأحبة ويعيش مع غيرك لحظات كان من المفترض أن يعيشها معك، لمحته من بعيد معها فتحولت إلى تمثال؛ هل أذهب إليه أم أعود إلى المنزل وأحكي لأميرة ما رأيته لكنها أمرتني أن أذهب إليه وأسأله عنها.. هل الحب الذي بنيناه في سنين ينتهي في غمضة عين؟!

- يظهر إن صاحبتك شفتنا..

- غادة! طب امشي انت دلوقتي يا دنيا..

ذهبت إليه في هدوء قاتل متسائلة:

كنت واقف ليه معاها؟

- واقف مع مين؟

- من غير لف ودوران يا فريد انت عارف أني شفتها واقفة معاك.. واقف معاها ليه؟ وكانت عايزة منك إيه؟

- على فكرة انت فاهمة غلط.

- أوك.. فهمني الصح، أنا واقفة وكلي أذان صاغية.. ها، اطربني.

- أنا قابلتها صدفة فسلمت عليها بحكم العيش والملح..

- نفسي أصدقك.

- تصدقي، ما تصدقيش، دي حاجة تخصك..

- يعني إيه حاجة تخصني؟ هو انا وانت مش واحد؟!

- لا يا غادة، مش واحد.

- إيه الكلام دا؟!

- عشان أكون صريح معاك ومن الآخر.. أنا ما أنكرش إنك إنسانة محترمة وجميلة وألف مين يتمناك، وما أنكرش إني نفسيا برتاح لما بتكلم معاك..

- وبعد الراحه النفسية إيه بقى؟!

- لو فضلتي تتكلمي كدا أنا همشي..

- امشي يا فريد، امشي وما ترجعش تاني.

نظر في عينيها فأدرك أنه وقع في قاع حفرة لا يستطيع الخلاص منها إلا بالحقيقة..

- أنا بحب دنيا..

- يعني انت وانت معايا طول السنين دي كنت بتفكر فيها وكانت لسه عايشة جواك؟! طب وانا؟

تنتظر الإجابة بعينين باردتين يخفيان بحرا من المشاعر اللاموصوفة.. لكنه يعرفها أكثر من أي شخص ويرى عمق محيط الحزن الذي تخفيه في هاتين العينين الباردتين، سألته مرة أخرى بصوت يملؤه هدوء ما قبل العاصفة ببرود ثلج يخفي في طياته نار الحزن والألم!

- وانت معايا كنت بتفكر فيها؟

- أنا لو ارتبط بأي واحدة سواء انت أو غيرك، عمري في حياتي ما هحب اللي هرتبط بيها زي ما بحبها.. دا واقع.

- أي واحدة: أنا أو غيري؟! يعني عامل حسابك إنك ما ترتبطش بيا من الأول!

- أنا مقصدش بس انا بوضح لك الأمور من الأول عشان تكوني فاهمة الدنيا ماشية ازاي..

- من الأول؟ إنت متأكد إنّك وضحت الأمور من الأول.. وضحت الأمور من قبل ما احبك وتحبني.. آاه صحيح، نسيت انك عمرك ما حبيت حد غيرها.. أنا اللي أستاهل إني حبيت حد عمره ما حبني.. بس جالك قلب تخون حبي؟

- ما لوش لازمة الكلام دا.

- هترجعلها؟

- عمري ما نسيتها ولا هحب واحدة زيها..

بجبروت: ربنا يجمعكم في الحلال.

- إنت اللي بتقولي كدا؟

- أكيد، لأن انتو الاتنين ما تستهلوش إلا بعض.. هي خانتك وانت خنتني والخائنين على أشكالهم يقعون.

- ما تشيلنيش ذنبك.. ما حدش قال لك حبيني؟

- وانت مين قال لك تمثل الحب عليا.. مين فهمك إن مشاعر بنات الناس لعبة تلعب بها؟!

- إنت السبب.. إنت اللي حبتيني، أي شاب مكاني لقى واحدة بتحبه منتظرة منه يعمل إيه غير انه يستغل الحب دا، أنا منكرش إني لقيت فيك نفسي اللي ضاعت، إنك رجعتي ثقتي في الحب وفي نفسي وأقدر أحب من غير ما يتغدر بيا.. منكرش إنك كنت سندي وضهري والإنسانة الوحيدة اللي قدرت تفتح قلبي من جديد لكن... أنا لسه بحبها.

- هسألك سؤال أخير.. هل حبتني في يوم؟ أو حسيت بمشاعر من ناحيتي في أي لحظة طول السنين دي كلها؟

- ما حبتكيش زيها..

تهز رأسها.. فقد فهمت أن كل ما مضى ذهب مع الريح..

تذهب والدموع في عينيها، تدخل غرفتها بسرعة.. تذهب إليها أميرة..

- ما لك يا غادة؟

- فاكرة يوم ما قولتي لي انك تكون بنت دا في حد ذاته حاجة صعبة أوي!

- قال لك إيه لما واجهتيه؟

- قال لي اللي متوقع يتقال من واحد لقى واحدة بتحبه بجد وهو ما حبهاش.. لقى واحدة مش شايفة الدنيا من غيره بل بالعكس بتشوف الدنيا بيه ويظهر إني كنت شيفاها غلط أو مخدوعة فيها، عمره أصلا ما حبني.

- بلاش عياط وروقي.. هو الحب إيه غير شوية جرح وحزن!

- من قال كدا.. الحب عمره ما كان جرح ولا دموع الحب سعادة وبهجة.. الحب هو جنة الله على الأرض.. بس انا مش هعيط واسمع أغاني حزينة زي العبيطة.. لا، أنا هكون زي طائر العنقاء وأخلق من تراب موتي حياة.. أنا هاخد شور وأسرّح شعري واشوف مستقبلي وأبدا من جديد.. مش انا اللي يكسرها إنسان ولله الأمر من قبل ومن بعد..

اصرخي، تمردي أيتها الأنثى على أحزانك وانفضي تراب الهموم على أصحاب الهموم وأثبتي لنفسك ولمن تسبب في أوجاعك أن الأحزان لا تليق بك يا عزيزتي!

إلى حبيبتي

اسمحي لي أن أناديك: حبيبتي.. حتى لو لم ترغبي في أن تكون حبيبتي سأظل أحبك لآخر أنفاسي، لا أعلم المكان ولا الزمان الذي استقر فيه حبك بقلبي.. لا أعلم شيئا سوى أني أحببت لقاءك من النظرة الأولى.. شعرت بأن هناك حياة جديدة بانتظاري معك، عندما أنظر لعينيك أجد نفسي في فضاء واسع بلا جاذبية؛ أسبح في فضاء عينيك، وما يطمئن قلبي أنك جاذبيتي.. عندما أسمع صوتك أسمع سيمفونية رائعة عجزت جميع الأولكسترا عن عزفها، أسمع اسمي كالألحان بين شفتيك، لا أريد أن أعرف شيئا عن حياتي قبلي بل أريد أن أقضي معك ما تبقى من عمري.. الأيام التي عشت فيها من قبل معرفتك هي أيام مظلمة كرحم الجنين بل كنت جنينا في رحم أيام مظلمة لم تضئ أنوارها إلا عندما رأيتك!

أنا لست شاعرا ولا أفهم في أبيات الشعر الموزونة.. ولا عاشقا مجنونا كروميو ومحبوبته، ولا فارسا مغوارا كعنتر لعبلته..أنا إنسان بسيط أحبك بكل ذرة في قلبه الضعيف، لا أرغب في أن تكوني جوليت ولا ليلى، بل أريدك أن تكوني أميرتي التي تضفي الشرعية في الجلوس على عرش قلبي في حلال الله!

أرجو ألا يثير هذا الجواب غضبك واعلمي أني ما كتبت هذا الجواب بيدي أو عقلي بل كتبته بقلبي الأسير في سجون عشقك.. أنا السجين الذي يعشق سجانه فأنا أعشقك يا سجاني!

إمضاء

سجين حب أميرة..

طوى الجواب ووضعه في دفترها.. تردد في البداية حول إرسال جواب غرام لمحبوبته في زمن أصبحت رسائل العشق إكترونية، لكنها تفقدنا دفء الحب الجميل الذي لا يوجد إلا في رسائل العشق الورقية.. وضع الجواب وأغلق الدفتر على أمل ألا يثير غضبها.

يجهز نفسه ليذهب للجامعة.. تدخل أمه فجأة قائلة:

حسام، تعالى..

انتفض: إيه يا ماما خضتيني.. أنا نموي وقف من الداخلة دي، أنا قلت أمن دولة داخل عليا ولا حاجة..

- بطل لماضة وتعالى.. بابا عايزك في موضوع.

- موضوع إيه.. خير؟

- هو احنا لينا موضوع غيره؟!

- ارحميني يا ماما.. أبوس إيدك يا حبيبة قلبي.. ينفع تاكلي أكلة غصب عنك؟!

- وهو الجواز من دعاء أكلة برضه.. البنت مش هنا، في الكلية عشان كدا عايزين نخلص من الموضوع قبل ما تيجي.

- أنا اللي عايز أخلص ، يا بابا... بابا.

- إيه.. في إيه؟

- يا بابا يا حبيبي، إحنا اتكلمنا في الموضوع دا قبل كدا وانا قلت لماما على رأيي.

- ماما ما قالتش ليا حاجة.

- أنا يا بابا بحب دعاء زي اختي.. ينفع اتجوز أختي يا بابا؟!

- لا، ما ينفعش وكمان مينفعش تعاملها زي أختك.

- بصراحة يا بابا، أنا بحب واحدة وعايز اتجوزها، وماما معارضة الموضوع.

- أول مرة أعرف الحكاية دي.. أمال ما قولتيش ليه يا ام حسام؟

- لأن انا مش موافقة على لعب العيال بتاعه دا، دعاء ليه وهو لدعاء، أنا مش هسمح لأي واحدة تانية غيردعاء تكون مراة ابني.. على جثتي لو اتجوز واحدة تانية.

- الأمور مش كدا يا ام حسام!

- يا ماما ما فيش حاجة اسمها: يا فلانة، يا بلاش.

- لا، فيه.. واسمع بقى لما أقول لك.. قلبي وربي غضبانين عليك ليوم الدين يا حسام لو ما اتجوزتش دعاء.. فاهم؟!

- يا ما.. ما، (يضع يده على صدره.. يتألم).. آاااه.

- حسام، ما لك يا ابني.. عاجبك كدا، كل شيء بالعقل مش العصبية.. ما لك يا ابني، فين علاجك؟

- الدرج.

يأخذ ابنه في حضنه عندما ركع على الأرض من الألم.

- الحباية بسرعه وشوية مايه يا ام حسام.. حسام يا ابني اهدى ما تخافش، ما تخافش يا روحي!

- آاااه.. مش قادريا بابا، مش قا...

- حسام.. اتصلي بالدكتور رفعت بسرعة يا ام حسام.

بعد قليل..

- خيريا رفعت يا خويا.

- مش احنا قلنا بلاش ضغط عصبي ولا إجهاد.. بالطريقة دي الحالة هتسوء قبل ما نلاقي القلب.. الحمد لله إن الموضوع مر مرور الكرام.. المرة الجاية الله أعلم هيحصل إيه، وانت يا أستاذ حسام، يا ريت نخلي بالنا من نفسنا شوية..

- حاضريا دكتور..

ينصرف الطبيب.. يحاول أن ينهض من السرير.

- على فين يا ابني؟!

- عندي محاضرة مهمة أوي يا بابا..

- محاضرة إيه؟ مش سامع كلام عمك رفعت.. اتصل بنبيل يجبلك اللي انت عايزه.

في الجامعة تجلس بانتظاره.. فجأة نبيل..

- أميرة، إزيك؟

- الحمد لله، إزيك يا نبيل.. أمال حسام فين؟

- حسام تعبان شوية وقال لي أوصلك الدفتر!

- آه، أوك.. متشكرة أوي.

يذهب تاركها في بحر من الأسئلة.. هل تركها ببساطة هكذا لأنه لم تخبره بحبها؟! الأحمق لو جاء اليوم وسألني.. لكنت أخبرته أني واقعة في حبه.. تفتح الدفتر.. تجد الرسالة وتقرأها.. أصابها الذهول مما قرأت، تركت محاضرتها.. أسرعت للمنزل وفي الليل يرن هاتفها..

- سلام عليكم.

- وعليكم السلام، إزيك، عاملة إيه؟

- حسام؟!

- عرفتي صوتي بالسرعة دي رغم إن عمرنا ما اتكلمنا في التليفون قبل كدا؟!

- جبتي رقمي منين؟

- من الدفتر في أول صفحة لقيتك كاتبة رقم تليفونك.

- آه صحيح، أنا على طول بكتب رقم التليفون عشان لو الدفتر ضاع.

- فتحتي الدفتر.

- اممم.

- وإيه رأيك فيه؟ (يقصد الرسالة).

- مش عارفة.

- هو إيه اللي مش عارفة.. مش عارفة إذا كنت بتحبيني ولا لاء، ألووو.. روحتي فين؟

- معاك.

- طيب جاوبيني.. ريحي قلبي اللي وجعني بكلمة حلوة.. أنا بحبك، وانت؟

- مقدرش أجاوبك.. أنا لازم أقفل.

- استني بس.. أنا قلت حاجة غلط؟

- أنا عندي محاضرات الصبح وعايزة انام.. تصبح على خير، تغلق الخط ثم قالت بصوت مسموع.. خايفة أقول: أنا بحبك.. يا جبانة، ما انت كنت هتقولها النهارده لو كان جه.. ضيعتي الفرصة، اتخمدي بقه..

في صباح اليوم التالي يدخل المدرج في غضب.. يأخذها من يدها أمام ذهول الحاضرين.. يتجه لسيارت.. يفتح لها الباب ويدخلها عنوة.. يقود السيارة ويذهب بعيدا..

- إيه اللي انت بتعمله دا؟ ازاي تجرؤ انك.. قاطعها قائلا:

دا الحل الوحيد للي انا فيه، إنت مش حاسة بالنار اللي جوايا. وقف عند للنيل.. يعلم أنه مكانها المفضل.. يخرجها من السيارة!

- قوليلي بقه عشان انا جبت نهايتي معاك. أنا بحبك.. عارفة يعني إيه بحبك؟! عايز اعرف انت بتحبيني ولا لاء..

- إنت مجنون.

تذهب فيمسكها من ذراعها ويوقفها..

- سيب إيدي..

- مش هاسيبها إلا لما تقوليلي بتحبيني ولا لاء..

- لا، لا.

توقف تاكسي وتذهب لكنها تراقبه من المرآة.. تراه واقفا ذليل الحب.. تشعر أنها تترك شيئا لن تعوضه مرة أخرى، شيء ما بداخلها أخبرها أن روحها تكمن هناك معه.. تذكرت إصرار أختها الصغرى عندما قالت: هكون كالعنقاء أخلق من تراب موتي حياة.

أوقفت التاكسي ونزلت وسط تمتمة السائق الذي لا يعجبه الحال:

في إيه بتركب وفي إيه نازلة.. ناس فاضية!

تركض بسرعة نحوه.. عندما رأته يهم بالمغادرة نادته..

- استنى.. استنى.. متمشيش.

وقف مندهشا..

- أنا خلاص تعبت..

- اتكلمي وانت ترتاحي.

- لا.. لا.. لا، الجري قطع نفسي.. أنا تعبت بجد، تعبت من حياة قديمة بتطاردني وتعبت من الخوف اللي جوايا من أن أحب تاني.

- حبيتي قبل كدا؟

- طبعا، مين في الدنيا دي ما حبش..

- لسه بتحبيه؟

- مكنتش جربت لما انقطع نفسي عشانك..

- كم واحد دخل حياتك قبلي؟

- لو حب بالشكل دا يبقى ولا واحد، ولو حب أفلام يبقى واحد واندفن في مقابر الزمن!

- حب أفلام؟!

- حب بينتهي بعد ٣ ساعات.

ابتسامه ساخرة: يشمعنا ٣ ساعات؟!

- مدة عرض الفيلم، مش مدة عرض الحب الحقيقي لأن الحب الحقيقي ما بينتهيش.

يطيل صمته فتقول:

خلصت.. اسأل، مفيش سؤال ناسيه؟

يهزرأسه: لا، معتقدش.

- إزاي بقه.. دا انت نسيت أهم سؤال.

- سؤال إيه؟

- نسيت تسألني: إنت بتحبيني؟

- إنت جاوبتي على السؤال دا من قبل ما اسئلك.

- إزاي؟

- جنونك اللي خلاك تجري بالشكل دا.. أنا بحبك!

- معتقدش إن كلمة الحب تقدر توصف الشعور اللي حاسيته وانا ببعد عنك بالتاكسي.. شعور ما يتوصفش بس مفيش قدامي كلمة غيرها.. أنا بحبك!

بحبك! عندما سمعها منها شعر براحة كراحة أول مفعول دواء على ألم طال الصبر عليه.

- أخيييرا سمعتها، قوليها تاني.

ترددها: بحبك وبحبك من أول يوم شفتك كمان.

- بتحبني من إمته؟

- من أول يوم عيني وقعت عليك وانا شايفك أجمل لؤلؤة في العالم مخلوقة عشاني.

- فيه حاجة متعرفهاش عني.. أنا اتخطبت قبل ك... قاطعها قائلا:

أنا قلت لك: مش عايز أعرف أي حاجة عن حياتك قبلي.

- عايزاك تعرف كل حاجة عني مش عايزه أخبي عليك حاجة.

ابتسم وكادت أن تدمع عيناه من جرأة الحب في عينيها قائلا:

- ينفع أخدك بالحضن؟

- أنا شايفة نفسي في عنيك.. غمض عينك وانت تحضني.

يغمض عينه ويضع يده على قلبه: أنا واخدك بالحضن في قلبي قبل عيني.

يمسك يدها ويقترب من النيل وينادي: يا نيـــل، أنا حبيب أميرة، جبتها وجتلك، إيه رأيك فيها؟

تندهش.. ترى فيه ما كانت تفعل عندما أحبت من قبل، أدركت أنه يحبها بكل كيانه ومؤمن بوجودها بجواره للأبد!

- سامعة.. ها، سامعة النيل قال إيه؟

تنظر إليه وأمل الحياة في ابتسامتها متسائلة:

قال إيه النيل؟

- قال انك أجمل عروسة.. أجمل حتى من عرايس النيل.. إيه مش سمعاه؟!

تنظر للنيل، فهز كيانها نسمة جميلة ورائحة فل تملأ صدرها..

- اسمعي.. النيل بيوصيك عليا، بيقولّك: اوعي تروحي مني.

- أنا عمري ما هروح، ما ترح ما تروح أنا معاك، النيل صاحبك من امته؟

- من يوم ما حبيتك وهو صاحبي.

تبتسم وتنظر للنيل فتحدثه في سرها قائلة: فاكر يا نيل آخر مرة جاتلك هنا؟

- فاكر ومش ناسي شكل قلبك وكلامك.

- انساه يا نيل... انساه وانسى كل حاجة ليه وافتكرلي بس اللحظة دي.

يرد النيل بنسمة أخرى.. تزيد ابتسامتها.

دام هذا الحب ثلاثة أشهر.. تمنى كل منهما لو أنه قابل الآخر منذ الولادة.. أجمل ثلاثة أشهر في حياتهما، كانا يجلسان في كافيه يحتفلان بعيد ميلادها يعطها هدية عروسة بفستان أبيض ومكتوب على فستانها: yes I do يراها أخاها من بعيد فيغلي الدم في عروقه ويقف بجوارها.. -لم تلاحظه- قائلا بهدوء:

ممكن تقومي معايا بشويش لحد البيت.

- أحمد؟!

- حضرتك مين، وبتمسكها كدا ليه؟!

- من غير شوشرة وقبل ما حد يلاحظ، انا ابقى أخوها.. لو خايف عليها وعلى منظرها قدام الناس خلينا نمشي بهدوء.

- خلاص، خلاص، انا ماشية.. آسفه يا حسام لازم أمشي.

- طيب ممكن تقعد افهمك الموضوع، أميرة معملتش..

- لو سمحت دي اختي وأخاف عليها أكتر منك، أنا وانت لينا كلام مع بعض بعدين.. يغادران.

يدخلان غرفتها.. يغلق الباب.. يجلس أمامها قائلا:

- هدايا وخروجات ومقابلات.. شيفاني مليش لازمة في حياتك عشان تعيشي في علاقة مشبوهة زي دي؟

- علاقة مشبوهة؟ لا يا احمد، إنت فاهم غلط والله!

- أنا قاعد معاك لحد ما افهم الصح وبهدوء عشان محدش يسمعنا برة وانا سامعك.

- هو إنسان محترم وبيحبني.

- وبعدين؟!

- وبس.

- كلام فارغ طبعا، العلاقة دي علاقة مشبوهة ولا تليق ببنت محترمة.. أي علاقة قائمة ما بين ولد وبنت تحت اسم الحب من غير ما يجتهد ويحاول يتقدم لها ويتجوزها تبقى علاقة مشبوهة، اللي بيحبك دا مستعد إنه يتقدم لك؟ انطقي.

- معرفش.

- احمدي ربنا إن انا اللي شفتك مش بابا، علاقتك بالواد دا تنتهي، أختي اللي اعرفها مخها أكبر من إنها تحب واحد مش عارفة هيرتبط بيها ولا بيتسلى بيها ويسيبها لغيره!

- طيب، اديني فرصة أكلمه في موضوع الخطوبة دا.

- ماشي بس مفيش خروج في مطاعم وهدايا إلا لما يكون كل شيء رسمي ومفيش تليفونات بينكم، وأوعدك لو قالك إنه عايز يخطبك أنا بنفسي اللي هقدمه لبابا، ولو قالك الظروف ومش الظروف هيكون أيامك وأيامه أسود من سواد الليل.. إنت فاهمة؟!

- فاهمة بس أنا هعرف منين رده وانت عملت لي حظر تواصل معاه دلوقتي؟

- خلاص قابليه مرة واحدة بس تعرفي رده إيه على موضوع خطوبتكم.. فاهمة؟ ولو بيحبك بجد عمره ما هيتحجج بالظروف ويسيبك!

- خلاص فهمت..

تتصل به ويتقابلا في نفس الكافيه..

- أنا كنت هموت من القلق عليك.. أخوك عمل إيه؟ وتليفونك قفلتيه ليه طول المدة دى؟

تصمت..

- أنا آسف على اللي هو عمله معاك لو كان عمل شيء يضايقك!

- أنا اللي هتأسف على اللي هو هيعمله لو انت مجتش تشرب الشاي مع بابا.

- أنا مش بحب الشاي.

- أنا عايزاك تيجي تخطبني من بابا.

- حبيبتي، خلينا واقعيين.. أنا معرفش طريق بيتكم عشان آجي أخطبك!

همت لتذهب فأمسك يدها بسرعة مبتسما قائلا:

أنا بحبك ومستعد أتجوزك من بكرة.. مش أخطبك بس، حددي معاد مع والدك وانا آجي أتقدم لك!

قفزت فرحا وأشرق وجهها كما لم يشرق من قبل، أشرق بلون الحب.. تغيرت تغيرا جميلا، كل من يرى إشراقتها يعلم أنها تحب.. كما في الأمثال: (اللي بتحب بتحلو).

تتأمل عصافير العشق كيف يقفزان حول بعضهما في القفص إلى ان استقرا بجوار بعضهما يتبادلان القبلات.. احمر وجهها خجلا عندما فكرت أن ما بينها وبين حبيبها سيكون يوما كهذا العش.. يطاردان بعضهما ويستقران في عش مليء بالحب والقبلات الدافئة والأنغام التي تطرب الأذن.. صدق من قال أن الزواج عش لأن الأعشاش لا تبنى إلا بالحب.

فجأة يدخل أحمد..

- بتعملي إيه في أوضتي؟

- أخويا، حبيبي.

- استريا رب.. يبقى فيه مصيبة.

- لا مفيش مصايب.. أخويا، حبيبي.

- عايزة كام؟ انجزي مش معايا إلا ٣٠٠ جنيه، خدي ميايه أهي، شقلبي نفسك بيها أسبوع بحاله كفاية، آخر العنقود اللي مقشطاني أول بأول وسيباني على الحديدة، يلّا اطلعي برة، عايز أنام.

- ١٠٠ جنيه، حلوة برضه.. محدش لاقي، (تضعها في جيب البيجامة).

أخويا حبيبي.. أنا جايلي عريس وعايز يخطبني.

- اعطيني رقم هاتف هذا الوغد لأشكره وأعزيه.. (يبتسم)، مش قلتلك لو بيحبك مش هيتحجج بالظروف ويسيبك.. الواد طلع بيحبك يا ميروووو، مبروك.. إديني رقمه أتفق معاه ييجي يكلم بابا.

- أوك، دا رقم التليفون وفيه واتس ممكن تكلمه عليه الأول.. آه، أجيب لك الفيس بوك بتاعه ولا اجيب اسكاي، لا.. فايبر أحسن، تق.. أنا محتارة!

- إيه كل دا، انتم مفيش وسيلة واحدة سيبنها؟ إنتم بتتكلموا على كل الحاجات دي إمته؟ وازاي؟ وبعدين انا مبعملش حاجة ببلاش.. قبضيني.

- أحمد، حبيبي.

- قبضيني.. هاتي ال ١٠٠ جنيه اللي خدتيها.

(تعطيه)..

- هاتي أختها.

- أختها!

- آه، هاتي ١٠٠ زيها، انت بتاخدي مني فلوس لو بحوّشها كان زماني مليارديير.. طلعي يا بنك.

(تعطيه مائة أخرى).

- يا سلاااام، لو كل واحد يحوش الفلوس اللي بيديها لاخواته كان زمانه متجوز من زمان.. بسببكم عنوسة الرجالة زادت.

- خلي الواد دا يكلمني الأول.. وانا أكلم بابا.

- اسمه حسام على فكرة..

(سخرية): اسمه حسام على فكرة.. طيب خلي حسام على فكره بتاعك دا يكلمني عشان أتفق معاه على كل حاجة.

- ماشي.

- يلا طرقيني، خلينا أنام.

في منزل حسام

- بابا، عايز أكلم حضرتك في موضوع.

- خير يا ابني.

- أنا عايز أخطب أميرة زميلتي.

- ومتخطبش دعاء ليه؟ ناقصة إيه عن اللي اسمها أميرة دي؟

- يا ماما، الجواز دا قسمة ونصيب وانا بحب أميرة وهي كمان بتحبني.. يبقى إيه المانع؟ وعايز أقابل والدها وأخطبها.

- هي كلمة مش هكررها.. خطوبتك على دعاء آخر الشهر وهتنزل الأسبوع الجاي عشان تجيبوا الشبكة.

- لأول مرة في حياتي هعارضك يا أمي.. لا، أنا ودعاء طريقنا مش واحد ومش هتجوز واحدة غصب عني ومش هتجوز غير أميرة.

- دعاء أحسن ليك من أميرة، في الجواز اللي تعرفها وتعرف أخلاقها أحسن من اللي متعرفهاش.. ودعاء متربية على إيدينا، دا حتى وانتم صغيرين كنتوا بتقولوا: إحنا هنتجوز بعض.

- اسمع كلام مامتك يا حسام، خلي الفرحة تدخل بيتنا.

- عايزين الفرحة تدخل بيتنا ومتدخلش قلبي؟! آسف، أنا هحدد معاد مع والد أميرة وحضرتك لازم تيجي معايا يا بابا.

(بعصبية شديدة): محدش هيجي معاك وانت بتخطب الزفتة دي.. وإنك متسمعش كلامي ولا كلام والدك دا عقوق والدين.

- مش معنى إني أعارض قرارك في جوازي من واحدة مش بحبها يبقى عقوق، أنا مبطلبش الحرام.. أنا بطلب حلال ربنا، وعمري ما عصيتك في حاجة أبدا وحتى لو عصيتك في جوازي من اللي قلبي اخترها دا من حقي، حق ربنا ادهولي؛ أختار اللي بحبها.. مش من حقك إنك تقرريه. تصفعه!

- ليه بس كدا يا أم حسام؟ الأمور متوصلش لكدا.. حسام كلامه مضبوط؛ اختيار شريكة حياته دا من حقه هو وخصوصا انت مشفتيش البنت ولا نعرف عن أخلاقها حاجة.

- هي كلمه ومش هتنّيها: إن موافقتش على خطوبتك من دعاء اخرج من البيت ومترجعش هنا تاني.. لا انت ابني ولا انا اعرفك!

- إستنى يا حسام، متمشيش.. عاجبك كدا؟! افرضي حصل له حاجة في الطريق.. يركض خلفه لكنه لم يلحق به فقد ذهب بسيارته في سرعة متهورة!

يقف بسيارته أمام النيل.. هذه المرة الأولى في حياتي أرفع صوتي على صوت أمي وترفع أمي يدها على وجهي.. أشعر أن جدران الدنيا هي من سقطت على وجهي وحينما ارتفع صوتي على أمي شعرت أن الجحيم حفرت في أعماقي وأصبح لإبليس نسختان!

ماذا أفعل؟؛ أنا بين طريقين وكل طريق بنهاية مختلفة.. كل طريق يؤدي إلى عالم مختلف عن الآخر فأي عالم أختار؟ هل أختار العالم الذي تختاره لي أمي وأعيش بذنب إنسانة أحبها وتحبني أم أختار عالمي وأعيش أميرا لأميرته للأبد؟ طائر الحرمان والفراق يرفرف على حياتي يريد أخذ حبيبتي بعيدا عني إلى عالم مجهول!

لا أستطيع أن أعيش بدون أمي لكني أستطيع أن أعيش بدون حبيبتي، يا ليت قلبي لم يحبك يوما.. يا ليت قلبي أحب من كتبه الله من نصيبه.. إن تيار الحب يأتي بما لا تشتهي قلوبنا فنحب من ليس لنا ونكون من نصيب من لا نحب، من السهل أن نحب لكن من الصعب أن نكون من نصيب من أحببنا، تتلاطم الأفكار والمشاعر بداخله بين قلبه الذي يتحدث باسم الحب وعقله الذي يتحدث بالحكمة إلى أن وصل إلى نقطة النهاية لتكون نقطة بداية لحياة أخرى.. كتب في رسالة: (أنا لا أستحق حبك لأني لست الرجل الذي يستطيع تحدي العالم للوصول إليك.. انسيني يا أميرتي واغفري لي قلة حيلتي ولتعيشي حياتك في سعادة مع من يستحقك.. ابتسمي واسعدي ولا تبك عيناك على فراقي فأنا لا أستحق!).

وقف حائرا أيرسل الرسالة أم ينتظر فربما تتغير الأقدار، فجأة شعر بألم في صدره.. بحث عن دوائه.. لقد نساه.. أراد أن يطلبها لعلها اللحظة الأخيرة في حياته فيريد

أن يسمع صوتها قبل رحيله لكن القدر لم يمهله وسقط على دركسيون السيارة مغشيا عليه لينطلق مزمار السيارة بصوت مستمر ومزعج جعل ضابط المرور يذهب إليه فوجده فاقد الوعي.. اتصل بالإسعاف فورا وبدورية شرطة قامت بتفتيش سيارته!

في منزل حسام

- عاجبك اللي اخوك بيعمله دا؟

- بالعقل يا دعاء هو بيحب واحدة تانية.. هتقبلي انه يتجوزك غصب عنه؟!

- إحنا طول عمرنا بنحب بعض وهو عارف ان أنا بحبه قبل البنت دي.

- بتحبيه اسم لكن فعل لا.

- يعني عايزاني اعمل إيه؟ في الرايحة والجاية أبوسه ولا ادّيله جوابات غرام؟!

- مسألتيش نفسك في يوم إيه طبيعة الحب اللي في قلبه من ناحيتك؟ مسألتيش نفسك إنت إيه بالنسبة له؟ إنت كنت بتشوفي الحب اللي جواه من منظور حبك ليه كأنك قدام مرايا بتشوفي اللي في قلبك كأنه قلبه.

- بطلي فلسفة وحياة ابوك.. مش فاهمة حاجة.

- إنت اعتقدتي إنه بيحبك عشان انت بتحبيه وعايزاه يحبك فتوهمتي حبه ليك.. غير كدا مسألتيش نفسك ليه هو بيحب أميرة ومرتبط بيها كدا رغم إنه بيشوفها في الأسبوع مرة أو اتنين ومش حاسس بالميل اتجاهك رغم إنك قدام عينه طول اليوم في الرايحة والجاية؟ مبتبصيش لنفسك في المرايا؟!

على طول لابسة نفس الإسدال والطرحة، مفيش مرة خلتيه يحس أنوثتك أو يحس بجمالك في البيت أو لهفتك عليه حتى وهو داخل من بابا الشقة.. زيك في نظره زي الكرسي.. ماما بتتحايل عليه ياخد الكرسي لأنه جميل وهو مش شايف أي حاجة من جماله دا؛ فإزاي هينجذب ليك؟!

- عيزاني ألبس عريان ومحزق وملزق قدام أخوك عشان ألفت انتباهه إن شاء الله، اللي بيحب حد بيحب احترامه قبل أفعاله الجاذبة!

- أنا مقلتش تقلعي وتلبسي -لا سمح الله- وبعدين احنا متربيين تحت شقف شقة واحدة بقالنا أكتر من ١٩ سنة وكنا بنذاكر مع بعض وعارفين طباع بعض كويس.. لكن

اهتمي بنفسك شوية، اهتمي بجمالك وأنوثتك.. اهتمي باللي هو يحبه واللي يكره لكن انت زيك زي كرسي السفرة، جبلة مبتتحركيش والاسم إنك بتحبيه.. البنت لما تحب واحد بجد بتتفنن في الوصول لقلبه دا انت حتى عمرك ما خرجتي معاه أو ضحكتي معاه!

- أنا متدينة ومحترمة ومش بتاعة الكلام الفارغ دا.

- ومين قال إن التدين معناه منضحكش ومنخرجش ومنتكلمش ومنهتمش بنفسنا وجمالنا وإعجاب الناس بينا.. لازم تخليه يشوفك واحدة جديدة كل يوم، تخليه متلهف إنه يشوفك كل يوم عشان يشوف تجديدك في نفسك.. يعني عاجبك وضعك دا إن اللي بتحبيه يهرب منك لواحدة تانية؟

- تلاقيها بتاعة محزق وملزق ومكياج وبتاخد وش بوهية ووش ورنيش قبل ما تشوفه.

- وممكن تكون محترمة ومؤدبة واهتمامها بيه هو اللي جذبه ليها.. اهتمامها على الأقل بنفسها وجمالها جذبه ليها وحبها.. يا بنتي إن الله جميل يحب الجمال ومش كل بنت تجذب انتباه ولد تبقى مش محترمة.

- إنت في صفها كدا ليه!

- أنا عمري ما شفتها عشان أكون في صفها بس انا واثقه إن اخويا وقع في حب البنت الصح!

- غوري من قدامي أحسن لك.

- هغور بس لو بتحبي اخويا بجد هتعملي المستحيل عشان يحبك لكن العادي مبتعملوش يبقى ازاي عايزاه يحبك؟!

فجأة صوت الأم تصرخ أن حسام في المستشفى...

يجلس الجميع في انتظار أي خبر من غرفة العناية المركزة.. يخرج الطبيب قائلا:

الحمد لله إنه وصل المستشفى بدري بس وضع القلب مش مريح لازم نلاقي متبرع عشان نعمل عملية زرع قلب!

- نقدر نشوفه؟!

- ال٤٨ ساعة الجايين هيفرقوا كتير.. لو عدوا على خير أقدر أطمنكم إنه يقدر يخرج من المستشفى قريب!

في منزل أميرة

- أنا قلبي مقبوض وبتعرش كدا ليه؟ خايفة تكلميه ولا مكسوفة؟.. آه، خايفة.. خلاص اهدي، ركزي، يلّا اتصلي..

- ألو، حسام.. ألو... أنا مش سمعاك لو سامعني روح منطقة فيها شبكة.

في غضب: أنا مش حسام أنا أخته دعاء (ازداد غضب دعاء عندما وجدت الرقم مسجل باسم حبيبتي).

- آه، ازيك أمال حسام فين؟

- إنت أميرة؟!

- أيوه أنا أبقى...

- حسام كلمني عنك وعايزة أقابلك واتعرف عليك.

- أكيد، تحبي نتقابل فين؟... اتفقتا على المكان والزمان.

تنتظر أميرة لقاءها بفارغ الصبر.. تنظر في ساعتها وعلامات القلق والتوتر يظهران على يديها المرتعشة وعينيها التي تبحث عن شبيه حسام في صورة أنثى.. تنتظرها لعل اليوم هو بداية لصفحة جديدة في كتاب تكتب في سطوره الحياة والسعاده التي لم تعشها.. تبتسم عندما تتخيل حبيبها وأسرته في بيتها يقرؤون الفاتحة.. وتستقبلها أخته بترحاب وتختار معها فستان الزفاف ويقدمها والدها لعريسها بعينين دامعتين فرحتين وقبلته الحانية التي يختم بها رسالته في الحفاظ عليها وتربيتها وصيانة الأمانه التي رزقه الله بها، وأخت حبيبها تمسك طرحة الفستان.. وسبحت في عالم من أحلام العذراء المحبة!

فجأةً تنظر حولها.. ترى الفتيات يتهامسون عليها فهناك خلل بعقلها.. تبتسم مع خيالها، أجل هناك خلل ولكنه ليس خلل في عقلها بل خلل الحب في قلبها الذي أخذها إلى عالم الزواج والاستقرار وأعشاش الحب الزوجية لكن هذا الخلل سرعان ما ذهب عندما وجدت فتاة تبحث يمنة ويسرة كأنها هي التي تنتظرها وبالفعل عرفتها.. أميرة من أول

نظرة.. لا تبدو كحسام وشخصيته ولكن أكيد هي.. أشارت لها أميرة وفي كل خطوة كانت تقترب بها إليها تتسارع ضربات قلب أميرة قلقا وتوترا!

- دعاء، مش كدا؟

تسلم عليها فتضغط دعاء على يدها بقوة لتشعر ببرودة يدها في دفء كفها.

- أكيد إنت أميرة.. كويس إننا اتقابلنا عشان عندي ليك كلام مهم.

- أنا مش مصدقة إني قاعدة مع أخت حسام بس متزعليش مني انت مش شبهه خالص في الشكل.. إنت أجمل.. بس هو مجاش معاك ليه؟

ربعت يدها: حسام مش هييجي ولا عمرك هتشوفيه تاني بعد النهارده.

اقشعر جسدها وارتجف: قصدك إيه؟

- أنا مش اخت حسام، أنا خطيبته ودي دبلته.. (اشترت دبلة صيني لتخدعها)!

اسودت الدنيا في عينيها كأنها صفعت مليون كف على قلبها!

- أنا آسفة.. أنا معرفش إنه خاطب، مقليش، لو كنت اعرف عمري في حياتي ما كنت حتى بصيت له ولو من بعيد.. أنا آسفة واعتبري إن مفيش حاجة حصلت بينا.. (تغادر).

- أنا لسه مخلصتش كلامي.

تنظر لها أميرة كطفل ذليل..

- عايزاك تنهي اللي بينك وبينه من غير ما يعرف اننا اتقابلنا.

- متخافيش اللي بيني وبينه انتهى من اللحظة دي ومظنش بعد اللي اكتشفته هيبقى فيه كلام بيني وبينه.. متقلقيش مش هيعرف حاجة ومتشكرة انك نورتي طريقي من البداية.. ولو إنها متأخرة أوي.

- أنا عايزاك تكسري قلبه..

(اهتز قلبها خوفا أن تكسر قلب من تحب!)

- حسام لو مكسرتيش قلبه هيفضل متعلق بيك وحسام دا بتاعي انا وبس!

- في نفسها: (لو أنك أحببتيه ما كنت لتكسري قلبه أبدا!)..

- أنا مقدرش أوعدك غير إني أبعد عنه وخلاص، وآسفه مرة تانية وربنا يهديكم لبعض وألف مبروك مقدما.

خافت دعاء أن لا تنفذ أميرة ما طلبت منها.. فقالت:

متحاوليش تحني له.. إنت مكروهة من كل فرد في العائلة وخصوصا مامته لما عرفت بالموضوع ومعتقدش انك ترضي تخطفي واحد من خطيبته وتكرهي أهله فيه.

- للدرجة دي؟!

- إنت بالنسبة للعائلة الشيطانة اللي بتخسرهم ابنهم، إنت بنت ومتملكيش إلا سمعتك واحترامك.. أنا قلت لطنط إن انا هتفاهم معاك من غير شوشرة ولا مشاكل مع أهلك ومعتقدش انك عايزة الموضوع يوصل لأهلك، أنا برضه بنت ويهمني سمعتي وسمعت أهلي ومش هينقذك من الورطة د إلا لما تكسري قلبه وتبعدي انت عنه الأول وقتها هيبعد ومش هيحاول إنه يقرب لك لأنه هيشك انك عرفتي حقيقته.

- ملوش لازمة الموضوع يكبر.. أهلي ملهمش ذنب ولا حتى انا، والحمد لله إن الموضوع وصل لحد كدا قبل ما أكلم أهلي عنه واوعدك هكسر لك قلبه، ورقمي انا هغيره عشان ميتصلش بيه.. شكرا مرة تانية انك نبهتيني.

تغادر والدنيا تغادرها.. أنا في الدنيا أم في الجحيم؟ أم أن الدنيا هي الجحيم؟!

ما يحدث لي الآن حلم أم حقيقة؟ أريد أن أبكي.. أريد أن أصرخ لكن لا دموع تخرج ولا صوت يرتفع.. لا ترى أمامها.. تحولت من فتاة إلى لوح ثلج لا يكترث ولا يهتم بما يحدث، نعم.. لقد مات الحب فيها، وما أدراك حين يموت الحب في قلب فتاة!

تجلس دعاء بابتسامة الانتصار المزيف الذي حققته.. همت بالرحيل.. فجأة ندى في وجهها..

- ندى، إنت عرفتي انا هنا إزاي؟!

- فرحانة باللي عملتيه مفكرتيش في اخويا اللي بين الحياة والموت بسبب اعتراض ماما على ارتباطه بيها؟

- لو مكاني هتعملي أكتر من كدا.. إنت متعرفيش النار اللي انقادت في قلبي لما لقيت نغمة تليفونه أغنية أميرة في قلبي ملكتني.. ولا لما شفت اسمها حبيبتي.. وبعدين انت بتتجسسي عليا؟!

- دعاء احترمي نفسك.. أنا سمعتك بالصدفة في المستشفى لما تليفون اخويا رن ولقيتك بتردي وبتاخدي التليفون بعيد عننا وبتتكلمي وفهمت كلامك هنا.. انت عارفه إني بعرف أقرأ لغة الشفايف كويس أوي واللي عملتيه دا خيانة.. أنا مش هسكت عليها وهقول لبابا وماما وحسام شخصيا.

تمسك يدها: أنا مش مجرمة؛ أنا واحدة بتحب واحد و... استني، استني.. إنت عمرك ما هتحسي بكلامي لأنك عمرك ما حبيتي ولا تعرفي الحب.. في يوم سمعت حكاية بنت حاولت تحب الشخص المفروض عليها تظاهرت بالحب عشان تقدر تحبه لكن حبها لحبيبها تخطى حدود التربية والأخلاق والتعليم وكان التظاهر بالحب زي الفيضان اللي مهما الجسر كان قوي قدر الفيضان يكسره ويتحرر، واتحررت بالزواج من اللي بتحبه وفي نظر المجتمع اتحررت كخاينة ومجرمة... كسرت المألوف وحصلت على اللي قليل مننا بيحصل عليه، كسرت المألوف عشان تعيش مع اللي بتحبه.. أنا كسرت المألوف عشان أعيش مع اللي بحبه وما دام هتجوزه على سنة الله ورسوله مهمنيش الطريقة اللي هوصل لقلبه بها.. صدقيني: إنك تتحرري من القفص الذهبي مع الطير اللي بتحبيه أفضل من إنك تعيشي مع طير مبتحبوش وانا مش مستعدة أعيش مع حد غير حسام!

- وتفتكري انك تتحرري من المألوف عشان تعيشي مع واحد مغصوب على أمره إنه يرتبط بيك.. دا يبقى تحرر؟! ومفكرتيش انه هو كسر المألوف عشان يوصل للي بيحبها؟! ليه بتفكري من ناحية قلبك انت بس.. أنا الإيد اللي هتفتح لحسام اخويا القفص عشان يطير مع اللي بيحبها، ولأول مره هقف في وشك وجوازك من اخويا غصب عنه.. النجوم أقرب لك منه!

تمضي أميرة لا تدري إلى أين تأخدها قدماها في متاهة ما حدث.. ماذا دهاها؟ شعرت أنها كالجثة لم يعد جرح يؤلمها.. هذه طبيعة الدنيا؛ خيانة في خيانة فلماذا أحزن.. فلأبتسم وأضحك على الدنيا.. هو خائن من ضمن الخائنين ثم قالت بصوت مسموع:

يلّا عادي.. أنا خلاص قلبي نحّس ومعدش بتفرق فيه جراح!

فجأة صوت سيارة خلفها.. إذا هي كيري..

- أميرة، اركبي... سرحانة في إيه كل دا بقالي ساعة بزمرلك!؟

- ولا حاجة.. إنت رايحة فين؟

- أنا جاية من بيتك.. مامتك قالت انك خرجتي.. كنت عايزاك معايا في المستشفى..

- ليه.. خير؟

- واحد جارنا تعبان وعايزة ازوره والحمد لله لقيتك في الطريق صدفة، ما لك وشك متغير ليه؟

- الدنيا بتلعب بيه!

- وانت إيه موقفك من اللعب دا؟

- بتفرج.. عندي شرط عشان اروح معاك المستشفى.

- اتفضلي اشرطي.

- اعزميني على الغداء.. أصل جعانة أوي بس مش كشري زي كل مرة.. استنضفي.. أنا معدتي زرعت من الكشري.

- من عنيا.

بالتأكيد هي جائعة لكنها جائعة قلب وليست معدة.. لن تدرك أنها جائعة حب إلا عندما تنفجر معدتها بالطعام ولا تزال تشعر بالجوع فالحب طعام القلوب!

<u>في غرفة أحمد</u>

يبحث تحت السرير عن شيء ما.. تجلس غادة بهدوء على السرير، لا يشعر بها.. يرفع رأسه فينتفض فزعا عنما رآها.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!

- إيه.. شفت عفريت، بتعمل إيه تحت السرير؟

- إنت اللي دخلتي إمته وقعدتي كدا.. أنا كان قلبي هيقف، دا انت تنفعي حرامية، يا ستير يا الله، على العموم انا بدور على رونالدو كان هنا مش عارف زحف على فين.. دورت عليه.

أشاحت غادة وجهها بعيدا ففهم أنها أخذته.. غادة.. غادة، فين رونالدو يا غـادة؟ يجري خلفها وفي يده عصاية.. تدخل غرفتها وتغلق الباب.

- طلعي رونالدو يا غادة.

تخرج أمه.

- فيه إيه يا احمد بتزعق ليه؟!

- أنا هعلق بنتك من شعرها في المروحة.. لا بلاش المروحة انا هحطها في أوضة العصافير لحد ما يظهر لها صاحب.. أنا دلوقتى بس عرفت ليه كانوا بيدفنوكم أول ما تتولدوا عشان المصايب اللي بتعملوها!

- السلحفة بتاعتي زحفت لحد أوضتي برجليها واللي يدخل أوضتي يبقى ملكي وبعدين انا كتبت عليها my girl.

- بقى كل دا عشان سلحفة! ربنا يهدي.

- هي سلحفة واحدة دي قتالة قتلة.. دي خامس سلحفة تاخدها مني ومتكملش معاها سنة وتموت ودلوقتي أخدت سلحفتي وكاتبة عليها my girl وهو ذكر أساسا واسمه رونالدو.

- بدل ما تزعق كدا ادخل أوضتك ونضفها من أكل الفراخ بتاعك اللي مبهدل الدنيا.

- عصافير الحب بقت أقفاص فراخ يا ماما؟.. حاضر هنضفها.. تتركه أمه، افتحي يا قلبي وانا أديك عصفورين حلوين زيك.

- مبحبش العصافير my girl هتفضل معايا.. انسى يا احمد.

- افتحي يا برجل يا مسطرة نص سنتي متر.

- مش معنى اني في هندسة تقولي: يا برجل وبعدين بحسبك حنين ورومانسي في حق اختك حبيبتك وتقولي فداك سلحفتي.

- الواحد ممكن يكون رومانسي مع كل البنات إلا اخته خاصة لما تكون قتالة قتلة زيك.. مسيرك هتطلعي واخدة رونالدو.. خليك قافلة الباب يا مسطرة ربع متر، يرن جرس الباب.. يفتح أحمد ليرى ما يصدمه بما يكفي فتسقط العصاة من يده!

في المستشفى

- إنت عارفة الغرفة فين ولا هتسألي؟

- عارفة.. الغرفة هناك.. تعالي.

- ادخلي الأول وعرفيهم إني صاحبتك معاك عشان الإحراج وانا هقف هنا.

تنتظر وتنظر يمنة ويسرة على المرضى.. عالم آخر غير العالم الذي نعيشه.. فجأة صوت مريض كبير السن: يا رب رحمتك، نص ساعة.. عايز انام نص ساعة بس.

يقشعر بدنها: سبحان الله، الراحة يختلف معناها من إنسان لآخر؛ راحة المريض في التخلص من ألم يمنعه من النوم طول الليل والنهار، وراحة الفقير في المال فالديون لا تكف عن مطاردته نهارا وتؤرق أحلامه ليلا، وراحة الغنى في إنسان ينظر لشخصه وليس ماله، وراحة الحبيب في الوصول لمن يحب، الكل يبحث عن الراحة فما هي الراحه يا الله؟

فجأة كيري: أميرة، تعالي سلمي على طنط عزة.

- أهلا يا بنتي، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، قمر تعالي هنا جنبي.. اتفضلي.

- اميره صاحبتى يا طنط وجارتى..امال فين المريض بتاعنا اللى كل شويه يخضنا عليه؟

- الدكتور بيعمله فحوصات.. لسه واخده حالا، حسبي الله ونعم الوكيل من اللي منها السبب (تمسك يد أميرة) متزعليش مني يا بنتي على اللي هقوله: واحدة على اسمك كدا خربت عشيتنا من يوم ما عرفها.. ضيعت مني ابني، اتغير خالص وبقى يزعق ومبقاش حسام اللي مربياه على إيدي.. لفت عليه يا كيري يا بنتي لحد ما وقعته في حبها.. دا إذا كان حب أصلا، مش طمعانة في ماله.. ويرضيك يهديك يا ابني بنت خالتك أولى بيك وانت أولى بها ومخطوبين لبعض من وهما في اللفة زى ما انت عارفة يا كيري.. دا كان بيجري وراها وهما صغيرين ويقول: عروستي يا ماما، عايز ألعب معاها، لكن سبحان مغير الأحوال بهدل الدنيا عشان اللي ما تتسمى.. ربنا يسامحها هتضيع ابني مني.. (تمسك يد أميرة مرة أخرى، تشعر كأنها لوح ثلج)!

لكن إيه جاب لجاب.. شكلك محترمة والتربية الصالحة ظاهرة على وشك ما شاء الله لو كان عندي ابن كبير شوية مكنتش سيباك والله.

(لنفسها): هل هي والدته؟ هل هذه والدة حسام؟!

تنظر ليدها ترى وحمة سوداء على كف يدها فتتذكر حسام عندما أخبرها أن والدته تملك وحمة سوداء على كف يدها كان يعتقدها وهو صغير آثار حرق..

تماسكت وقالت:

دا من زوق حضرتك يا طنط ربنا يقوم ابن حضرتك بالسلامة.. مش يلّا بينا يا كيري.

- لا، يلا إيه، لازم حسام يشوفها، حسام روحه في كيري.. متربيين من وهما صغيرين، تشعر أنها ليست على ما يرام.. تذكرت دعاء عندما قالت: كل العائلة بتكرهك خاصة مامته!

تدخل ندى فجأة الغرفة لتخبر حسام ما فعلته دعاء.. ترى أميرة فينعقد لسانها عن الكلام حتى لم تلقِ السلام.. تشعر أمها بالحرج فقاطعتها قائلة:

مفيش سلام ولا كلام يا ندى.. نسيتي كرستين؟

تنهض كيري التي لاحظت نظرة ندى المطولة الغير طبيعية لأميرة: إزاي تنساني.. ولا عشان غبنا عن بعض شوية ننسى الأصحاب والأهل؟! (تضمها)، أميرة صاحبتي وجارتي يا ندى.

- أهلا وسهلا..

(لنفسها): هل تعرف أمي أنها أميرة؟! تماسكي يا ندى واعملي نفسك مش عارفاها وأول مرة تشوفيها متخليش ماما تلاحظ حاجة، بس ربنا يستر ودعاء متجيش دلوقتي هتبقى مصيبة.

- هنستأذن يا طنط ولما حسام ييجي قولي له إني جيت وهاجي تاني قريب -إن شاء الله- أطمن عليه.

- لسه بدري، حسام هيزعل أوي لو عرف إنك مشيتي وزمان دعاء جايه تقابليها.. من زمان مشفتوش بعض.

ما زالت ندى تحملق بأميرة التي احمر وجهها وتصبب عرقا كأنها في سباق.. عندما سمعت اسم دعاء شعرت أنها ليست بخير وخرجت فورا لتلحق بها كيري متأسفه لأن لديهم موعدا..

- أميرة، استني هنا انت تعبانة ولا إيه.. وشك مخطوف كدا ليه؟!

- لازم نمشي بسرعه قبل... ينفتح باب المصعد فترى حسام على كرسي متحرك بصحبة الممرض.. تتسع عيناها، لا تصدق ما تراه، إنه هو ولكن يا حبيب القلب ماذا أصابك لكن لا.. لقد وعدت أن أكسر قلبك.. تلتفت بسرعة قبل أن يراها.. يرفع رأسه فيرى كيري..

- كيري، انت هنا! وحشاني يا بنتي.

- ألف سلامة عليك كنت مع مامتك وندى.. الحمد لله إني شوفتك قبل ما امشي.

- إنت هنا لوحدك طنط مجتش معاك؟

- أنا هنا مع.. تلتفت لتشير لأميرة لكنها اختفت هربا على السلم قبل أن يراها فأدركت كيري أن هناك شيئا ما فقد تأكدت شكوكها) جارتي.. واحدي جارتي.. هجيلك تاني -إن شاء الله-..

تقود السيارة وفي ذهنها مليون سؤال فهي تعرف صديقتها جيدا وما رأته اليوم يدل على أن هناك شيئا لا يمكن إخفاؤه بعد الآن.. أوقفت السيارة فجأة.

- فهميني بقه إيه اللي حصل دا؟

- حصل إيه؟!

- معرفش.. بسألك.. أنا صاحبتك وعارفاك أكتر من نفسك، تقدري تقولي لي فيه إيه مخبياه عليه ولو مقولتليش أنا هتعامل معاك بطريقة تانية!

تغمض عينيها: الدنيا دي مش على كيف حد.. تدي اللي مش محتاج وتحرم المحتاج، كل ما اقول هبدأ من الأول حياة جديدة ألاقي الجديد في حياتي ما هو إلا تكرار للي فات من الماضي اللي عشته بس باختلاف الأشخاص، والحدوتة هي هي بتكرر نفسها باستايل جديد يليق بالحياة الجديدة!

فهمت أن صديقتها تمر بقصة حب فاشلة للمرة الثانية؛ فلا يفهم ألغاز كلماتك إلا صديقك.

- حسام؟

تهز رأسها: أيوه حسام.

- من إمته؟

- من فترة.. آسفة إني خبيت عليك بس مكنتش عايزة أشغلك بحياتي وهمومها وانت على وشك بداية حياة جديدة مع خطيبك.

لقد تغيرتي يا صديقتي.. لا أعلم ما بك، ربما ألم عميق أو أحلام لم تتحقق.. كل ما أدركه أنك تغيرتي وهناك شيء داخلي انكسر.. لو تخبريني يا صديقتي ما الذي يؤلمك لذهبت لآخر العالم حبوا لأداويك.. لو أعلم ما يحزنك لأضحكتك حتى تظنين أنك لم ترين حزنا قط.

يبدو أن أميرة سمعت ما يخطر ببال كيري؛ فقالت:

الدنيا بتغيرنا شوية بشوية وبتفضل تغير فينا واحنا مش حاسيين ومش بنكتشف التغيير دا إلا في النهاية.. وبنكتشف إننا اتغيرنا لحاجة مش عايزنها لحاجة كنا بنكرها.. كل واحد بيتمنى يتغير للأحسن.. يحقق أحلامه اللي بناها ببراءة الأطفال وهو صغير لكن يظهر حياتنا وأحلامنا وكل شيء عيشينه وعشناه مجرد كذبة كذبت الدنيا علينا بها واحنا صدقناها.

لما كنت صغيرة كنت بحلم أركب سفينة وألف العالم واشوف بلدان العالم زي الرحالة وأدوّن كل حاجة أشوفها وأعمل في كل بلد حاجة ذكرى ليا مهما عدى الزمن عليها متتغيرش زي الأهرامات كدا.. ولما كبرت اكتشفت إني كنت عيله عبيطة.. وإنه حلم عبيط ملوش لازمة!

- إحنا بنلاقي أحلامنا مكتوبة في رواية خيالية عشان كدا بنعشق الروايات وبنحب الأفلام عشان بتجسد خيال حياة بنتمنى إنها تكون حقيقة.. يا ريتنا سبنا أحلامنا مكانها هنااك مع الأطفال اللي حلموا بيها ومخدنهاش معانا في زمن الكبار.. اللي لمس النجوم فيه أقرب إليك من حلمك. احكي لي كل حاجه بدأت مع حسام للنهاية.. (تحكي لها).

في منزل أميرة

لقد عاد لإدمان القهوة مرة أخرى، فهى الإدمان الذي لا يحتاج لمصحة ولا طبيب، تراقبه من الخلف.. لا ينتبه للقهوة فعقله ما زال واقفا هناك في اللحظة التي سقطت من يده العصاه، عندما وجد رامي أمامه مع والده فجأة.

- خلّي بالك، القهوة فارت!

بتعصب: إنت هتوافقي على الواد دا؟

تندهش! كيف علم بأمر حسام؟!

أكمل قائلا: أنا مش موافق على الواد دا ولو آخر راجل في الدنيا، أنا مش موافق عليه، فاهماني؟ رامي دا مستحيل يبقى خطيبك أو يرتبط بيك بأي شكل من الأشكال.

- را.. رامي؟!

- إنتِ متعرفيش! النهارده فوجئت بالبني آدم دا مع بابا، وطالب إيدك.

- وبابا رده إيه؟

- منتظر يكلمك في الموضوع ويسمع ردك، بس أنا بقولها لك: أنا مش موافق.

تتذكر دعاء: لازم تكسري قلبه. عمره ما هييجي.

أنا خطيبته.. قالت: ومين قال لك إن رأيك يهمني؟! هو إنت اللّي هتجوز ولا انا؟!

انصدم من رد أخته المفاجئ، فلأول مرة تتكلم معه بهذا الجفاء.

- يعني إنتِ هتوافقي عليه؟ طيب والواد اللي بتحبيه؟!

تغادر لغرفتها ليصرخ بصوته.

- أنا مش موافق يا أميرة، مش موافق يا بابا، والواد دا لو وافقتو عليه، أنا مش قاعد لكم في البيت دا دقيقة...

يخرج الأب والأم قائلين:

- كبرت يا أحمد، وبقيت تهددنا كمان، مالك إنت ومال رامي، عمل لك إيه؟

- أنا مش عارفة! إنت قارش ملحته ليه؟ دا محترم وكلنا عارفينه!

- محدش يعرفه غيري ولو وافقتو عليه، أنا مش قاعد لكم في البيت..

- غور في داهية، العيل اللي يرفع صوته على أهله، ويهددهم بسيبان البيت ميستهلش الاهتمام، اللي عايز تعمله إعمله، وإنت يا أميرة رامي عايز يخطبك موافقة؟

- طبعا، مش موافقة...

- أنا كلامي موجه لأختك، وبعدين: إنت من وقت ما الراجل دخل بيتنا وإنت نازل: لا، لا، فيه إيه؟ هو إنت شفت منه حاجه -لا سمح الله-؟..

ترد ببرود شديد غير مكترثة لمشاعر أخيها قائلة:

- إسمع! إنت اخويا على عيني وراسي، لكن مش من حقك إنّك تتكلم ولا تقرر مصيري نيابة عني، أنا موافقة على رامي يا بابا، إنسان محترم وأعرفه من زمان...

ينظر في غضب لأخته، نظرات تريد أن تخبرها أن موافقتها على هذا الشاب كخنجر يطعنه في قلبه، كعدو ملكته رقبته إلا أنه رد في هدوء.

- آسف فعلا دي حياتك، وأنا مين أصلا عشان أدّخّل فيها؟!.. بس محدش ينتظر مني أن أحضر خطوبة ولا كتب كتاب ولا فرح، ومحدش يسألني ليه، وخليكم فاكرين، كل واحد دخل البيت واعترضت عليه، بيظهر حقيقته في الآخر، الله يرحم أيام خالد.. يغادر.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، جه الزّمن وابني يرفع صوته عليّه، لا عامل احترام ليّه ولا لأمّه، ولا حتّى لإخواته اللي هيكون سندهم الوحيد في الدنيا من بعدي، وكإن الحياة انعكست، الأبناء بيربوا الأباء والأباء بيتربوا من الأبناء.

- أزمة وهتعدي، وهو عمره ما هيهون عليه زعل أخته، ولا هيهون عليه إنه يسيبها في فرحتها، روّق يا ابو أحمد...

ما الفراق؟

كنت أاستمع إلى جدتي، تحكي عن امرأة، شاب شعرها في ريعان شبابها حينما فارقها حبيبها، وعندها تساءلت... من الحبيب الذي يحول شباب القلب إلي الشيب؟ وما ملامح هذا الشخص الذي يستحق لقب حبيب؟ ما الذي يفعله الحب بنا؟ وما الحب؟ لغز أشبه بلغز الموت، حينما تساءلت ما الموت؟ وما الذى يفعله الموت بنا؟ هل الموت سيء لهذه الدرجة كالحب؟ أم أن الحب سيء كالموت؟ أم أن الحب والموت وجهان لعملة واحده؟ فالحب شخص يدفن في قلبنا، والموت شخص ندفن شوقنا إليه في قلبنا وعقلنا وتحت التراب، إلى أن كبرت وعلمت الفرق بين الموت والحب، فالموتى يسكنون القبور، والأحبة يسكنون القلوب، وأنت بقلبي تسكنين، فسلامًا على من يسكن قلبي، فأنا عندما أشتاق إليك، لا أبكي بل أفتح قلبي لأراك، فيبرد نار الشوق بوجودك كنبض بداخلي، ولكن هل الفراق وجه ثالث لكلا الحب والموت؟! أم أن الفراق هو نصيب الموتى والأحبة؟!

لو يعلم الفراق كم يؤلمنا من نفارقهم، ما فارقنا ولا زار قلوبنا يوما، يا من تفارق لا تفارق من تحب حتى ولو كان الفراق مكتوبا عليكما فإجعل اللقاء بينكما بالقلب...

هذا الرقم غير متاح حاليا، هكذا الرد كلما حاول الاتصال بها، أين إختفت؟ لمَ لم تتصل رغم غيابي عنها طول هذه المدة؟ ألم يقتلها الشوق إلي كما يقتلني؟ لولا أنّي أعلم مدى حبها لي، لظننت أنّ حبها مجرد تسلية.. ولكن رغم شوقي إليها لا أستطيع البعد عنها، فأنا لست الحبيب الذي يسلم محبوبته لغيره تحت مسمى الظروف، فمهما كانت العوائق سأصل إليها، فهذه المرة الأولى التي أغيب عنها فيها ولا ترسل لي رسالتها المعتادة: (اشتقت إليك)، كل دقيقة في البعد عنها تقتلني.. تأخذني روحي في البحث عنها لكن بأي لسان أتحدث معها؟! أبلسان العاشق الولهان! أم بلسان العاشق الذي لا يملك سوى تنفيذ الأقدار المكتوبة؟

لقد وضعني القدر في امتحان صعب، هل أختار حبي لها وأبيع كل شيء من أجلها؟! أم أشتري كل شيء وأبيع حبها؟ ولأكن صادقا مع نفسي، لا أستطيع التنفس بدونها، فهي أكسجيني ولا أرى أي جميل بدونها، فهي كل جميل تقع عليه عيني مثل القمر، هي تضيء سماء حياتي، وغيابها كليلة مكحلة بالغيوم تحجب عني نورها، كيف سأعيش بدونها ومن هي التي تستطيع ملء الفراغ الذي تركته في قلبي؟! لا توجد امرأة تستطيع.. يا ليتني لم أقابل وجهك المبتسم! ليتني لم أعشق روحك! ليتني لم أسمع قيثارة صوتك! ليتني لم أكن بقلبك! وياليتك لم تعيشي بقلبي! لأول مرة أحسد الضرير على ضرره، وكم أشفق عليه لأنه لم يرَ نور وجهك، وكم أحسد الأصم على صممه، وكم أشفق عليه لأنه لم يسمع صوتك، وكروان ضحكتك، وكم أشفق على قلبي الذي أحبك، وأرغب في استئصالك منه، أو استئصال قلبي من بين أضلعي، لا أستطيع العيش بدونك، ولكن حتى وإن فعلت. فحتما أنتِ مخبأة في عروقي!.. فجأةً..

- حسام..

- نعم، يا ماما.

- أنا خلاص مش هغصب عليك، شوف البنت اللي إنت عايزها دي بيت أهلها فين، واحنا نزورهم، أنا مش مستعدة أخسرك بدري...

- ودعاء؟

- ربنا يصبر قلبها، نعمل إيه يعني، عندك حل تاني؟

- من قلبك يا ماما قرارك دا؟

- مكذبش عليك لا مش من قلبي، لكن مفيش أم تستحمل تشوف ابنها كل يوم في المستشفى عشان خاطر واحدة..

- لو شوفتيها هتحبيها أوي صدقيني..

- مستعدة أحبها، بس عشان خاطرك.. حدد المعاد وعرفني وربنا يقويني على دعاء، تصبح على خير.

- وانت من أهله...

في غرفه أميرة

إنَّ ما يكتبه القدر لنا طلاسم لن نفهمها! هل يكتب خاتمة الفراق أم السطور الأولى للقاء! إلى أين تأخذينني يا سفينة الحياة، أإلى شاطئ ومرسى، أم إلى شاطئ في بلاد مجهولة؟ لم أكن أعلم بأني تائهة في بلاد الله، إلا عندما وجدتك فأيقنت بأني كنت تائها في حبك، استطعت السباحة رغم الأمواج المتلاطمة من الحياة وفراقها وخيانتها، لكن عندما التقت عيناك بعينيّ غرقت وما زلت أغرق، ولن أقاوم فأنا أعشق أن أغرق فيك، من أن أغرق بدونك، أنقذت قلبي من حياة لم تلق بعمره، ووجدت نفسي فيك بعد أن فقدت الأمل بضياعها، أنت الفرحة التي انتظرتها طويلا، وأنت الحزن الذي أبكى قلبي مريرا، أنت الذكرى التي لا تنسى، وأنت الذنب الذي لن يغفره قلبي لي، أنت مأوايَ، وأنت التشرد، الذي تركت به حياتي، جاء اليوم الذي خونت فيه قلبي، بعدما أصبح ملكا لك، لم أتخيل أن ترحل كما رحل الآخرين، لم أتخيل أنني سأكتب نهاية حبي لك قبل بدايته، وكأن البداية هي نهاية كل شيء دائما، فليكن ما يكن وكتبت:

عايزه أقابلك ضروري في كافتريا الجامعة، بكرة في نفس المعاد اللي بنتقابل فيه هستناك، تتردد في إرسالها لكنّها أرسلتها.

انتفض عندما قرأها واتصل بها لكنّها أغلقت هاتفها مرة أخرى...

في الجامعة

ينتظرها وقلبه متألم من تجاهلها وتصرفاتها العجيبة في أيام مرضه، كشر حاجبيه ليظهر غضبه، لكن ابتسامة الفرحة غلبته عندما رآها قادمة، وفي نفسها تقول: لا تبتسم فابتسامتك كدموع التماسيح تجعلني أحن إليك..

- أميرة، وحشاني، اقعدي، عندي ليك كلام هيترتب عليه حاجات كتير في حياتنا..

- هما كلمتين ومش هكررهم تاني، سلّك ودانك ليهم كويس. -لأول مرة ينقبض قلبه من كلامها ونظراتها- أكملت قائلة:

أنا خطوبتي الأسبوع الجاي، ومن هنا ورايح مش عايزاك تكلمني، وتمسح رقم تليفوني.

- إنت اجننتي أيه اللي بتقوليه دا؟! (يمسك ذراعها).

- إبعد إيدك إنت بأي حق تلمسني.. إنت نسيت نفسك ولا إيه؟!

- إنتِ بتهزري، صح؟ أكيد زعلانة لأن متكلمتش الفترة اللّي فاتت.. أكيد مبعتيش حبي ليك صح؟.. صح؟!

- إنتَ اللّي بعْت.. مش عايزة اشوفك قدامي تاني، وكل اللّي بينا انتهى. تغادره في صدمة، بينما هي تحاول التغلب على دموعها، تتنفس شهيقا وزفيرا، لتكبتها وتخمد بركانها الثائر بداخلها، لكن لا مفر.

أن تقتل الحب فيك وأنت الحبيب، أقسى من أن تقتل الحب فيك وأنت المحبوب، عادت لغرفتها لأوراقها لدفتر أشعارها وخواطرها، لقهوتها لخلوتها ووحدتها، لتفتح صفحة من صفحات ماضيها، تقرأ لتكتشف أنها تغيرت مع الوقت، لقد نسيت من كانت، وإلى أي شيء تحولت، تبحث في مكتبتها عن رواية تقرؤها تبحث عن الحب الذي تريده، في رواية على الأرفف، فكل من فقد الحب في حياته يحاول أن يجده في رواية يقرأها أو ينسج الحب في رواية يكتبها، نحن في زمن أصبح الحب ما هو إلا رواية يعيش فيها القراء، تفتح أول صفحه في الرواية، تقرأ ما كتبته في ذلك الوقت، فمن عاداتها عندما تشتري كتاب أو رواية تكتب في أول صفحة اليوم والتاريخ والسنة، وما الذي جذبها لشراء الرواية أو الكتاب ومع من اشترته، أثناء ذلك وهي تسترجع ذكرى هذا اليوم.. فجأة تدخل كيري...

- هو صحيح الكلام اللي أنا سمعته هتتخطبي لرامي؟!

- وعليكم السلام الأول.. وفيها إيه؟! الخطوبة الخميس أنا عزماك.

- إنت اتجننتي صح؟!

- هو الكل شايفني مجنونة اليومين دول ولا أيه؟!

- لا أنا مش لاقياك عشان اشوفك أصلا.. وحسام؟!

- إنتِ عرفتي القصة، هل معتقدة إن فيه أمل؟! وبعدين قابلته وقلتله إنّ هتخطب..

- وأخوك مفكرتيش فيه؟ دا سايب البيت عشان قرارك دا..

- هيزعل يومين ويرجع زيْ ما كان، مش هيفضل طول العمر عند صاحبه..

- أمري لله.. لازم نجهز الفستان والطرحة ونشوف كوافير كويس ...

- ليه كل دا؟

- ليه؟! عشان خطوبتك مش هتعملي حفلة هنا يبقى لازم فستان سهرة، و... مالك مش مبسوطة صح؟

لا ترد.

إنت اللي اخترتي، يبقى لازم تتحملي اختيارك، تقدري تقوليلي هتعيشي إزاي مع إنسان مش بتحبيه؟!

- هتظاهر بحبه لحد ما أحبه.

- واللّي بتحبيه إزاي هتنسيه؟

- هتظاهر بكرهه لحد ما أكرهه.

- هتقدري تخدعي قلبك وعقلك؟

- هحاول.

- ولو فشلت؟

- هتظاهر بالنجاح لحد ما انجح..

- الله أعلم مخك دا متركب إزاى؟! بس اللّي متاكده منه إنه عقل مجانين، وإن مشاعرك باردة وبقيتي إنسانة ضعيفة الإرادة ومستسلمة لأي حاجة، من إمته بقيتي ضعيفة وهشة كدا؟!

- أنا مبقتش.. أنا أصلا كدا، كل شيء حواليه مبقاش ليه قيمة، ولا طعم، متنتظريش من إنسان ميت إنه يعيش، الحب شيء مؤلم يا صديقتي.

***

زغاريد تملأ المكان وأغاني الفرح وضحكات السعادة على شفاه الجميع، تنظر لنفسها في المرأة هناك وجه آخر غير وجهها، ملامح متغيرة ونظرات غير مألوفة، تتأمل عينيها التي طالما تغزل فيهما، ووجنتيها اللذان يحمران خجلا عندما ينظر لشفتيها وهى تكلمه، ثم تنتبه لفستانها وحجابها، فجأة.

- أنا لسه مخلصتش الطرحة فبلاش النظرة دي.

- أنا متعجبة منك يا كيري! عمرك ما لفيتي طرحة ورغم كدا بتلفي الطرحة حلو أوي.

- البركة فيكي، إتعلمت مِنّك كل شوية توقفيني واحنا ماشين، وتضبطي طرحتك في نظارة الشمس اللي إنتِ لبساها.

- أنا بتهيألي إنّك كرهتي تلبسي النّضّارة دي بسببي، هههه!

تدخل غادة: الله الله إيه الجمال دا عقبالي يا رب..

- إحنا فيها.. اقرصي أختك في ركبتها تحصلها في جمعتها.

- وهو أنا لسه هستنى لجمعتها، أنا أقرصها دلوقتي واحصلها في ليلتها، (يضحكون).

صوت من الخارج.. العريس وصل..

- يلا يا ميرو، اطلعي.. يخرج الجميع وتقف لتلقي النظر الأخيرة على نفسها، ترى ياسمين في الجهة المقابلة لها، تضع يدها على المرآة لتلامس يد صديقتها قائلة:

أنا آسفة، تبتسم ياسمين وتختفي تنادي عليها: إستني يا سومة إستني يا ياسمين، تدخل كيري لتفاجأ بها تنادي على ياسمين، فتدق على الباب..

- أميرة يلا العريس وصل، تمسك يدها تشعر ببرودة يدها. ورجفان جسده، تجلس بجوار رامي، ترى كيري الابتسامة والسعادة في عيون الجميع، إلا عيون صديقتها. تنظر أميرة لكيري، فترسم كيري بأصابعها ابتسامة على وجهها لكي تبتسم، أميرة ابتسمت لكن ابتسامة مكسورة، فجأة: تشعر كيري باهتزاز تليفون أميرة بجيبها، رقم مجهول. ترد لكن لا تسمع شيئا، فينغلق الخط، ويعاود الرقم الاتصال مرة أخرى، تخرج للشرفة لتجيب..

- الو مين معايا؟

- مبروك يا أميرة.

- الله يبارك فيك بس أنا مش أميرة، حضرتك مين؟

- كرستين!

- أيوه أنا، إنت مين؟ مش قادرة أميز صوتك من الدوشة؟!

- قولي لأميرة ألف مبروك، وينغلق الخط، غريبة عرفتني من صوتي بالسرعة دي!

كادت أن تدخل، لولا أنها لمحت حسام يجلس بسيارته أمام المنزل! لكنّه لم يتحمل صوت الزغاريد فسرعان ما ذهب، تغادر الشرفة وفي وسط الحفل لا ترى أحمد، تبحث عنه في كل مكان حتى غرفته، تفكر أين يمكن أن يكون؟ رفعت عينيها للسقف فأدركت أين هو..

يجلس في غرفة الطيور، متأملا صورتها بين يديه، فلقد أصبحت حبيبته مجرد ذكرى، فجأة تقول:

لسه بتفكر فيها؟

ينتفض رعبا: كرستين!

- للدرجة دي بخوف، يضع الصورة في جيبه.

- سبتي الحفلة ليه؟ وإيه اللي جابك هنا؟

- متجوبيش على سؤالي بسؤال، لسه بتفكر فيها؟

- عمري ما نسيتها..

- لحد امته هتفضل على الحال دا؟!

- لحد ما أموت..

- بعد الشر عنك.

- الموت بالنسبة ليّه مش شر دا طوق نجاة ليه من الدنيا دي.

- أحمد اللّي بحبه غير أحمد اللّي قدامي، يأس وبيتمنى الموت.

- أحمد مات من يوم لما ماتت حبيبته.

- وأنا فين؟ أنت ناسي إن ليك حبيبة هنا؟!

- مينفعش يا كرستين، ما ينفعش.

- ليه مينفعش أنت عارف إن أنا بحبك من أول يوم عرفتك فيه، واتخطبت غصب عني لما لقيت الإنسان اللّي بحبه، مش مهتم إذا كنت هكون ليه أو لغيره.

- إنتِ مسيحيّة وأنا مسلم، مننفعش لبعض أبدا..

- إنت بتضحك على نفسك ولا عليا، إنت عارف إن الإسلام بيسمح للمسلم بالزواج من المسيحية، يبقى ليه مينفعش، دينك قال حلال، ليه تحرم الحب عليك وعليه.

- أنا بحب واحدة تانية وإنتِ عارفه دا كويس..

- لسه بتهرب من الواقع ومستمر في مسرحيتك السخيفة دي، إنت تنكر إنك كنت بتحبني؟

- إنت قولتها كنت بحبك، منكرش إن إنت أول بنت حبتها، لكن حب ضعيف، الخوف كان بيهز كل ركن فيّه خاصة إن ملقتش من نحيتك أى شعور ليه، كنت بكلم نفسي وأرد عليها.

- إنت مجنون تحبها، حتى وإن حبيتها إنت مستعد تحارب الدنيا عشان تجوزها؟

- لا مش مستعد..

- يبقى محبتهاش، وقتها لقيت ياسمين قدامي، عشقتها وعشقت كل حاجة كانت بتحبها، وعشقت كل حاجة كنت بكرهها، عشان هي بتحبها حتى العصافير (يشير لعصفورين) شايفة العصفورين دول اسمهم أحمد وياسمين، اشترتهم في أول يوم عيني وقعت عليها وسمتهم باسمينا، أول ما ياسمين شافتهم حبتهم أوي، مرضتش أقولها على أساميهم ولا أقولها عن مشاعري، لحد ما ييجي الوقت المناسب وأصارحها بكل شيء وفي الوقت اللي انتظرت فيه الوقت المناسب، جه غيري وخطفها مني.. (يصرخ) خطفها،

ومفضلش ليه غير شوية ذكريات محبوسة في قفص من دول.. محبوسة نفسها تطير وتقولها أن بحبها (يبكي ويركع على الأرض) بحبها يا كرستين، ومش قادر أنساها، شايفة الأقفاص دي دول، أولاد أحمد وياسمين، أما أحمد وياسمين الحقيقيين، ماتوا وضاعوا، ضاعوا!!!! (تضمه في حضنها).

- حبيبي.. خلاص خلاص.

- أنا آسف، أنا آسف، أنا بعذبك معايا، أنا بتعذب بنارين، نار بعدها عني، وشوقي ليها، ونار حبي اللي بتعذبك، أنا عارف إنك بتحبيني أكتر من نفسك، أنا عارف إن بعذبك، بس مش قادر، سامحيني سامحيني... نفسي أحس إني عايش، نفسي أحس بالحياة جوايا، والنهارده نار الدنيا قايدة جوايا لما أختي وافقت على الخطوبة دي..

- مش بأيدنا حاجة، أميرة بتحبه..

- أميرة عمرها ما حبيته. أميرة بتحب واحد تاني..

- إنت تعرف حكايتها مع حسام؟ (يهز رأسه: نعم).

- إنتِ عارفة كل حاجة عنها.. جاوبيني أميرة أكيد مغصوبة على أمرها مش كدا؟ أكيد مغصوبة على الخطوبة دي ومخبية عليه، صح؟

- كتير مننا بيختار طريق مش طريقه، يمشي فيه زي ما أنا اختارتك طريقي، أميرة اختارت رامي، بإرادتها.

- متكذبيش، أنا عارفك لما بتكذبي عيني مبتبصش لعيني، كرستين.. أنا مستعد اتجوزك من الصبح واتحدى العالم عشانك، بس تساعديني أخلص من رامي.

يتملكها الرعب، لا تفهم كيف يتخلص منه، أوعى تكون عايز تقتله!

- لو حكمت هقتله، كل حاجة ضاعت مني، ياسمين، وأختي، وانت.

- أنا مضعتش، ولا أميرة ضاعت، لسه فيه فرصة، بس ابعد موضوع القتل دا عن بالك، وربنا يقويني وأعرف أحل الموضوع دا...

ما زالت أصوات الزغاريد ترن في أذنه، يجلس على الأرض دافنا رأسه بين يديه، تدخل أمه التي اندهشت لوضعه..

- حسام.. إنت قاعد كدا ليه يا ابني؟!

- راحت مني خلاص.

- هي إي دي؟

- حبيبتي... أميرة اتخطبت لواحد تاني غيري، يرتمي في حضنها كالطفل الصغير الذي جرح نفسه، نعم جرح نفسه بالحب.

- معلش يا ابني متزعلش اللي مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين ولو كانت من نصيبك كان زمان دبلتك في إيدها مش دبلة حد غيرك، عيط يا حبيبي طلع اللي في قلبك عشان قلبك يرتاح عارفة إنه صعب تحب حد مش نصيبك وعارفة إنه صعب تعيش مع حد مبتحبوش.. كنت حاسة وعارفة ان انت بين نارين وكل نار حامية عن التانية وانا اللي حطيتك فيها.

- الحب دا وحش أوي يا ماما.

- الحب عمره ما كان حاجة وحشة... احنا اللي بنختار الناس الغلط ونحبها وبنختار اللي مش من نصيبنا ونحبهم وبنعيش معاهم الحب بكل ما فينا ولما نتجرح نلوم الحب والمفروض نلوم نفسنا

- متعاتبنيش يا أمي.

- قلبي.. أنا مش بعاتبك انا بخفف عنك. حب اللي بتحبك أو على الأقل حاول تحبها زي ما بتحبك وقتها هتندم انك حبيت في يوم واحدة غيرها.

- عايزاني احب تاني؟

- وما له. اللي فات دا مش اسمه حب ولا عمره كان حب، الحب مش دموع وندم الحب حاجة جميلة ممكن تسمي اللي انت فيه دا قرصة ودن بتفوقك عشان لما تيجي تختار الإنسانة اللي بتحبها تختار الإنسانة اللي تستحق مش كل ألم بيموت فيه ألم يخلينا نفهم قيمة الصحة ونحافظ على صحتنا أكتر من الأول.. واللي حصل دا بيفوقك عشان تحب اللي تستحق ودخل اللي تستحق قلبك.

- أنا هتجوز دعاء.

- دعاء مش ليك ولا انت ليها وعمري ما هوافق على جوازك منها لمجرد انك ملقتش حد قدامك غيرها.

- إيه غير رأيك؟

- أنا منكرش ان عاوزاك تتجوزها بس تعرف ليه؟.. عشان دعاء بتحبك من يوم ما عنيها فتحت على الدنيا دي مشفتش راجل غيرك ولا حبت راجل غيرك وحتى لو اتجوزت راجل تاني مش هتحبه زي ما بتحبك.. العرسان كتير أحسن منك مليون مرة وبترفضهم ومش عايزة غيرك انت.. بيني وبينك استخسرت الحب اللي في قلبها يروح لراجل تاني غيرك.. غير وعدي لامها -الله يرحمها- إن انتم تكونوا لبعض..

- قلبك لسه غضبان عليه؟

- قلب الأم مهما زعل عمره ما يغضب على ضناها ومش هزعل لو اخترت واحدة تانية غير دعاء.. ومتخفش انا قلبي راضي عليك ورضا الرب من رضا الأم والأب ربنا قال: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) الإسراء- ٢٣ و: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) النساء- ٣٦

يعني رضا الوالدين تاني مرتبة بعد توحيد الله وطول ما أمك راضية عليك ربنا هينور طريقك بكل خير وهيفرح قلبك دايما.. بس انت قرب من ربنا وخلي طريق الله طريقك وخلي ربنا راضي عليك ساعتها هتلاقي السعادة في كل خطوة تخطيها في حياتك.

- حددي المعاد اللي هنشتري فيه الشبكة.

- متأكد يا حبيب قلبي؟

- متأكد.. بشري دعاء وحددي معاها اليوم المناسب للشبكة.. اتجوز اللي بتحبك ومتجوزش اللي انت بتحبها.. بكرة هحبها.

تغادر والدته والسعادة تغمرها وبعد لحظات تدخل ندى متسائلة:

اللي سمعته دا صحيح؟ انت هتخطب دعاء؟ ماما اللي غصبتك مش كدا؟

- أنا هخطبها بإرادتي.

- متأكد من إرادتك دي؟

- لو قدامك طريقين طريق مليان أشواك لكن بتفضليه وطريق مليان ورد لكن بتكرهيه تختاري أي طريق؟

- قولي انت؟

- هختار طريق الورد وأخلع جزمتي وأستمتع بحرير الورد.. لم يعجبها الكلام فتلتفت لتغادر فيوقفها متسائلا:

مقولتيش هتختاري ايه؟

ترد وضهرها إليه:

- هخلع جزمتي واستمتع بالشوك.

- تبقي مجنونة.

- عمر الحب ما كان جنون لكن اللي بتعمله دا هو الجنون.. إنت زي البهلوان بتمشي على حبل مهزوز في كل حتة فيه قطع ممكن ياخدك وتقع في أي وقت ولو وقعت مش هتقع على الأرض.. هتقع في بئر غويط ملوش قرار وهتندم انك مخترتش الطريق اللي بتحبه وتحملت كل أشواكه.. تغادر.

في الجامعة يجلسان خلف بعضهما.. يتماسك حتى لا يفقد أعصابه فما زالت خيانتها تعتصر قلبه وما زالت خيانته تزيدها إصرارا على الظهور أمامه سعيدة وقوية وبداخلها روح ميتة.. كل منهما يتظاهر بالقوة أمام الآخر وكل منهما يموت من الداخل، بعد انتهاء المحاضره تغادر وتنسى دفترها.. يتردد في أخذه لكن نار الحيرة تقتله ليسألها لماذا خنت الحب؟ يذهب خلفها.. ينادي عليها.

- أميرة.. أميرة، تتجاهله يمسك حقيبتها لتقف في غضب قائلة:

عايز ايه؟ تسمح ملكش دعوة بيه.. فجأة ترى رامي أمامها يمسك حسام من رقبته.

- إنت مالك بيها بضايقها ليه؟

- ابعد إيدك.. إنت مين؟

- أنا خطيبها اللي هيعلمك الأدب.. يلكم حسام في وجهه، يسقط أرضا.. تصرخ أميرة فيجتمع الشباب يرى نبيل صديقه على الأرض فيركض إليه وبدون أي مقدمات ينهال بالضرب على رامي الذي سقط أرضا هو الآخر.. يأخذ نبيل صديقه ويذهب بعيدا.. فجأة ترى أميرة وجه رامي ينزف فتغضب وتذهب لحسام الذي وقف بعيدا نازفا دماء هو الآخر.. تناديه..

- حسام... يلتفت إليها لتسقط يدها على وجهه الملطخ بالدماء في صفعة غير متوقعة.. يقف على إثرها حسام ونبيل في صدمة وكذلك كرستين التي رأت ما حدث صدفة.

– يا ريت إيدك كانت تتقطع قبل ما تتمد على خطيبي.

تغادر بينما هو ما زال في صدمة صامتا قائلا لنفسه: ما هذا الجحيم الذي أعيش فيه؟!

تأخذ كرستين خالد لكافتريا خارج الجامعة...

- اشرب العصير دا هيروق دمك (ما زال مصدوما)

نبيل قول حاجة..

- مش لاقي كلام يتقال.

- حسام.. اشرب العصير أكيد اللي أميرة عملته غصب عنها، فجأة قائلا:

متجبيش سيرة المجرمة دي تاني قدامي.

- أميرة مش مجرمة واللي عملته دا غصب عنها.. صدقني. ينتبه نبيل لكيري قائلا:

إنت تعرفي أميرة؟! هذا السؤال جعل حسام يفوق من صدمته متسائلا:

إنت تعرفي أميرة يا كيري؟

- أيوه اعرفها واعرف انها بتموت فيك بس انت اللي خنتها في الأول واللي عملته دا رغم انه شيء مكنش متوقع بس دا كان لازم يحصلك من الأول لأنك كذبت عليها وخنتها الأول.

- أنا خنتها؟! دا انا فاتحت ماما في الموضوع ووافقت خلاص ولما قابلتها عشان أبشرها لقيتها باعتني وبتعزمني على خطوبتها يبقى مين الخاين؟

- ويا ترى مامتك وافقت على أميرة قبل ولا بعد ما بعتت دعاء تقول لأميرة انك خطيبها ولبستها الدبلة.

- بتقولي إيه؟ ماما بعتت دعاء.

- امم.. دعاء اتفاهمت مع مامتك انها هتحل الموضوع بالهدوء مع أميرة بدل ما تفضحها وسط أهلها.

- دعاء قابلت أميرة؟!... أنا مش فاهم احكيلي كل حاجة من الأول.

- أحكيلك ليه أميرة وافقت على رامي خطيبها ولا احكيلك ليه بعدت عنك؟

- وإيه الفرق؟ السبب أكيد واحد.

- يبقى اسمع الحكاية من الأول وانت بنفسك هتعرف الفرق.

٢٠١٠

في الجامعة

تغني سألوني كتيير فرشولي الأرض عشاني حرير وسهرت كتير ولا شفتش زي...

- رامي أمير.

- آه.. كيري خضتيني انت هنا من امته؟

- من أول ما سألوك... عملتي ايه في رامي؟

- دا واحد معرفوش بعتلي جواب حب وغرام ورقم تليفونه وكاتب هستناك لو بقى في العمر لحظة، دا بيحب نفسه انا حتى معرفش شكله ولا اعرف ازاي وصل الجواب لكتابي.

- أكيد واحنا في المطعم كنت ملاحظة إن فيه شاب مبيشلش عينه من عليك أكيد هو دا رامي.

- تصدقى على طول لما نروح المطعم الاقي نفس الشاب موجود وبيبصلى جامد جايز حط الجواب يوم ما نسيت الكتاب في المطعم ورجعت لقيته مقابلنى بالكتاب على باب المطعم !

- يبقى هو دا رامي.

- بقولك ايه انسي موضوع الواد دا ومتجبيش سيرة لحد ولا حتى هدى وياسمين لأني عايزة انسي الواد دا وهما مش هيبطلوا كلام فيه خاصة ياسمين هتقول حد تجيله الفرصة يحب وميحبش.

- ولا يهمك.. سرك في محيط مالح محدش يعرف يشرب منه أبدا.. هههههه.

بعد مرور عدة شهور

تقطف وردة تشمها: الله، الوردة دي رائحتها جميلة.

- سبحان الله يا سومة، طول عمرك بتقولي الوردة دي ملهاش أي رائحة.

تغمز كيري أميرة بعينها قائلة: يظهر كدا الهوا زار حد فينا ولا ايه يا سومة.

- الهوا واه من الهوا يا حبيبي اه من الهوا. تقبض على رقبة ياسمين قائلة: اعترفي من امته ومين هو وفين وازاي ومن ورانا كل دا حصل؟!

- رقبتي يا كيري هعترف والله بس فك رقبتي.. اتعرفنا على النت واتقابلنا وحبينا بعض

- هو حب النت دا ينفع برضه؟

- ينفع لو اللي بيحبك راجل... وهو فعلا راجل بيحبني وعايز يخطبني.

- زميلنا؟

- لا هو في كلية طب.. آخر سنة وأكبر منا واسمه رامي عسكر.

خفنا أن نخبرها بما فعله مع أميرة سابقا لأن وقتها كانت أميرة مرتبطة وبعدها بوقت قليل اتقدم رامي وخطب ياسمين وفي الوقت اللي كتب كتاب أميرة اتحول لكارثة.. حدد رامي مع ياسمين معاد زفافهم جاءت بفرحة قائلة:

يا بنات رامي حدد معاد الفرح مع بابا أول الشهر الجديد.

- مبروك يا سومة.. أخيرا النحس هيتفك وواحدة مننا هتتجوز مش كدا يا ميرو.

- فيه واحدة نحسها هيتفك النهارده (تنظر لهم).. هدى وخالد فرحهم النهارده..

- وانت عرفتي منين؟!

- كاتبة على صفحتها على الفيس بوك والدعوة عامة للجميع.

- انسيهم يا ميرو وخلينا نفرح بفرح سومة.

- أيوه لازم تفرحوا معايا انا مليش غير صحباتي افرح معاهم بفرحي من غيركم فرحي ملوش طعم.. بس بمناسبة الطعم انا هضطر امشي لأن رامي عزمني على الغداء سلام.

- ايوه بقى غداء وعشاء وأصحاب الكفاح اتنسوا طب افتكرينا بوجبة.. طيب.

- يا كيري يا روحي إذا أتى العريس من الباب ارمي أصحاب الكفاح من الشباك.. سلام.

- خاينة.. سبحان الله، يظهر إن الجواب اللي بعته رامي من زمان كان لياسمين مش كدا؟

- يظهر كدا والا مكنش هيطلبها للجواز الحمد لله مجبناش سيرة الجواب كان هيبقى مشكلة.. كان زمان الفرحة فرحتين.

- انسي يا ميرو عشان تقدري تعيشي.

- ربنا يكرم، أقلقني نظرات التعبير على وجه أميرة وقررت أن أراقبها طول اليوم من خلف باب شقتي كلما سمعت صوت باب شقتها.. أسرع لأرى إذا كانت هي من خرجت أم لا إلى أن وجدتها تفعل شيئا غريبا ارتدت عباءة سوداء وما أن خرجت من باب الشقة أخرجت نقاب ولبسته وقتها أدركت إلى أين ستذهب!

وقفت أمام قاعة الفرح مترددة هل تدخل أم تكتفي برؤيتهم من الخارج لكنها لا ترى شيء لم تشعر بوجودي خلفها وأنا أراقبها عندما قادتها جرأتها ودخلت القاعة لتراهم يرقصان معا؛ يده حول خصرها ويدها حول رقبته وأنفاسهما متقاربة وفجأة يحملها ويدور بها عدة مرات وكم السعادة التي يعيشان فيها.. لقد باعت صداقة العمر من أجل ليلة كهذه لن تدوم إلا ساعات معدودة تخرج من القاعة كامرأة عجوز أرهقتها السنون فجأة ترى أميرة وكيري أمامها.

- ارتحتي؟! وايه اللي انت لبساه دا فاكرانا مش هنعرفك لما تلبسي نقاب (تخلعه في عنف) تضع أميرة وجهها في الأرض منكسرة.. ترفع ياسمين رأسها قائلة:

مش انت اللي تنكسري مش انت اللي تحط راسك في الأرض زي النعامة ارفعي راسك وعيشي حياتك وانسي اللي ينساك وان حكمت ان ترقصي في فرح اللي خانك ارقصي وفي وش صاحبتك اللي خانتك اضحكي وقهقهي.

- ياسمين الأمور مش بتتاخد كدا ادخلوا العربية خلينا نروح.

- أميرة... انت بتحبيني؟

- أكيد.

- بتثقى فيه؟

- لا بطلت ثقة.. الحمد لله.

- بتكلم بجد لسه بتثقي في صاحبتك ولا لاء؟

- مفيش حاجة مصبراني على الدنيا دي غيروجودكم في حياتي.

- اقلعي هدومك...

- ياسمين اتجننتي هتخليها تخلع هدومها في الشارع؟!

- هي لابسة هدوم خروج تحت العباية.. تدخل العربية تخلع العباية وتلف الطرحة وتيجة معايا نحضر الفرح عايز الكل يشوفها ويعرف انها مبتنكسرش ومتخلقش اللي يعرف يكسرها.

- أنا لو دخلت هكون محل شفقة تحبي اكون كدا في نظر الناس، تضمها في حضنها قائلة:

ما عاش ولا كان اللي يبصلك كدا.

يغادرون في سيارة كيري

- كنت أظن أن الجراح تأتي من سيف الغريب وما إن أدرت وجهي حتى انغرس سيف القريب في قلبي.

- طبيعي يا ميرو أقرب حد ليك يجرحك والغريب هو اللي ينصفك ويقف جنبك.

- فعلا ورب غريب من القلب قريب، ورب قريب عن القلب غريب.

- تعرفوا يا بنات أكبر نعمة ربنا أنعم عليه بيها إن ليه أصحاب زيكم كان نفسي احنا الثلاثة يجمعنا بيت واحد وتكون حماتنا واحدة ونكون أصحاب وسلايف مش عايزة ابعد عنكم أبدا!

- احنا فيها أشترط على خطيبي يتجوزنا يا سومة!

- أنا أعترض مش موافقة على رامي.

- ليه يا ست أميرة رامي وحش ولا وحش دا حتى أي حد اسمه رامي فهو عسل.

- هما الرجالة كدا قبل الجواز عسل وبعد الجواز عسل بالستر.

- فعلا يا ميرو.. سومة عايشة في الخيال مدخلتش عالم الواقع لسه البنت أول ما تضرب الدبلة في ايدها اليمين يبقى خطيبها سندها وضهرها واحسن راجل في الكون وشوية محن تقرفنا بيها على الفيس وبين صحباتها وبعد الجواز تلاقيها كاتبة على صفحتها.. (حسبي الله ونعم الوكيل!) تضحكان.

- إتربقوا دا كلام السناجل الحاقدين يا حاقدين.. (تضحك).

قبل زفاف ياسمين بيومين طلبت مننا أن نذهب في رحله نستعيد بها أنفسنا فكل منا كان لديه خوف إلا نلتقي بعد الزواج مرة أخرى لما به من مسؤلية.

- الله على دمياط وجمال دمياط!

- مفيش أحلى من شط اسكندرية.

- دمياط، اسكندرية أي مكان في الدنيا أحلى بوجودكم معايا وحواليه.

- بس إيه السبب المفاجئ للرحلة دي يا سومة وانت فرحك بعد يومين يعني المفروض تستعدي للفرح وترتاحي.

- هتصدقيني لو قلت لك حسيت بحاجة غريبة في قلبي.. حسيت بخوف إن الجواز هيبعدني عنكم ويحرمني أن أقابلكم زي الأول.. حسيت إني هموت.

- دا توتر ما قبل الزواج البنت لما يقرب زواجها يتملكها خوف البعد عن صحباتها واللمة معاهم زي زمان وبعدين احنا وراك وراك هتروحي منا فين.

- الجواز مسؤولية بتهتمي براجل وبيت وأولاد ووقتها تشتاقي لساعة كنت بتقضيها مع صحباتك عشان كدا خايفة اتحرم من صحباتي بعد الجواز.

- لازم كل زوج يدي لزوجته يوم في الأسبوع تقضيه مع صحباتها الزواج مش حرمان الزواج تكمله لحاجات كتير مش عارفين نكملها لوحدنا وبعدين عندك الفيس بوك واسكاي وواتس اب وكل الوسائل دي تقدر تجمعنا وتخلينا على اتصال دائم طول الوقت صوت وصورة.

- عمر الفيس والواتس آب يعوضوا قاعدة أصحاب فيها الضحك والسعادة والهزار وصورة حلوة مع بعض كتذكار.. أي نعم بيخلينا نتواصل مع بعض لكن من غير نكهة السعادة اللي بنحس بها لما نتقابل وجها لوجه.. خلينا نستغل كل لحظة بنقعد فيها مع بعض خلي عنينا تشبع من بعض، يا صديقتي دعينا نتعانق حتى يعتقد العالم أننا عشاق فلا يعلم إلا الله إلى أي مدى سيدوم هذا العناق...

يوم الزفاف

تنتظر ياسمين في غرفة أميرة حتى تغادران إلى الكوافير وأثناء ذلك تفتح مكتب أميرة لعلها تجد ما تسلي به انتظارها.. فتحت رواية فسقط منها جواب قرأته فإذا به جواب رامي ورقم هاتفه فقد احتفظت به أميرة من باب السهو في دفتر قديم لها شعرت ياسمين بدوار شديد من كم الأسئلة التي تخلقت في عقلها متسائلة حائرة هل هو رامي فعلا؟! ولكنه خطه ورقم هاتفه الذي لم يتغير! هل كانت على علاقة حب برامي؟! ولماذا ما زالت تحتفظ بالجواب إلى الآن؟ تذكرت أنه نفس الخط على بوكيه الورد في المستشفى! فجأة يدخل أحمد الغرفة:

- أحمد!.. أميرة بتاخد شاور وجاية.

- أنا جاي عشان أسالك آخر سؤال، إنت متأكدة انك اخترتي الإنسان الصح؟

- افتح باب الأوضة.. مينفعش انك تقفله علينا كدا.

- أنا فاتح باب الشقة وانت عارفة أخلاقي كويس ومتهربيش من سؤالي انت اخترتي الإنسان الصح؟

- أظن فرحي النهارده ودا سؤال غير منطقي بالمرة.

- مكنش فيه ذرة حب في قلبك ليه كحبيب؟ حبتيني في يوم؟

- أنا همشى ولو مشيت عمرك ما هتشوفني تاني.

- أنا بسألك، جاوبيني.

- لا كل حبي ليك كحب أميرة لك حب أخ لاخته.

- وانا هكون أخوك وسندك وضهرك واوعدك لازم ازفك وهعتبرك اختي الثالثة.

- من قلبك؟

- من كل حتة في كياني.

- أتمنالي السعادة.

- أتمنالك كل سعادة الدنيا في حياتك الجديدة يا أختي... ألف مليون مبروك عايز اشوفك احلى عروسة.. اتفقنا؟

- اتفقنا. يطيل النظر إليها كأنه يلقي النظرة الأخيرة.. تنظر إليه كأن قلبها أعاد النظر مرة أخرى في اختياره! في هذه الأثناء سمعت كيري حوارهما وأدركت أنه ما زال يحبها رغم أنها ستتزوج برجل آخر.

في الكوافير

- الله.. الحجاب زي القمر عليك مخليك ملكة.
- هي فعلا ملكة واحنا الوصيفات يا كيري.
- العريس هيوصل امته؟
- لسه ساعة على وصوله (تعبث في الموبيل).
- إيه شغلك في الموبيل كدا يا أميرة؟
- بحاول افتح صفحتي ومبتفتحش شكلها اتسرقت.
- حاجة سخيفة سرقة الفيس بوك.
- سخيفة بس انا حياتي كلها على الفيس بوك.
- روقي هتلاقيك غيرتي الباسورد وناسيه.. فين بوكيه الورد؟
- ها هو ذا صممته من أجلك يا سيدتي.. أبيض في بنفسج اللون اللي بتحبيه.
- اللي بستغرب له إن انت الوحيدة اللي تعرفي إن بحب اللون دا جدا ويصادف إن رامي اداني بوكيه ورد نفس اللون عرف منين؟!
- الأصحاب بيعرفوا هما بيحبوا إيه وبيكرهوا إيه يعني متبقاش صاحبتك إلا لما تلاقيها عارفة كل حاجة عنك وعارفاك أكتر من نفسك واللي بيحب واحدة بيتحرى عنها في كل شيء يعرف بتحب إيه وبتكره إيه صح يا ميرو.
- أكيد يا كيري.. عين العقل، فجأة تدخل والدة ياسمين بالزغاريد والتهاني والقبلات لابنتها فقد وصل العريس.

- كيري هو العريس جه بدري ليه؟

- مش عارفة جايز خايف ليتأخر في الزفة والاستوديو وفضل ييجي بدري. تدخل غادة..

- كيري، ميرو، أحمد بره مستني بالعربية يلا نركب معاه.

انطلقت السيارات تزف العروسان وسط الأغاني والكلاكس والزغاريد.

- ميرو هي الزفة رايحة فين؟ دا مش طريق القاعة.

- مش عارفة جايز رامي عايز يزفها كمان شوية.

- وهي فيه زفه تطول في الشتاء دا.. مش واخد باله انها بتمطر؟

- الغريب ان ياسمين مقلتش انها هتزف أصلا لأنها مش بتحب زفة العربيات واللف والدوران دا وفيه مظاهرات شغاله اليومين دول.

طمأنهم أحمد قائلا:

متقلقوشأاكيد هيلفوا لفة واحنا وراهم.

- أنا قلقانة منك انت يا احمد؛ متهور في السواقة والجو بيمطر وشايف بالعافية.. (يسرع بالسيارة).

- أحمد متسرعش انا بخاف من سرعة العربيات.

- بحاول احصل السواق يا كيري.. أفهم بس رايح على فين خايف يطلع بلطجية يثبتوا العربية.. البلد ثورة يعني مفيش أمان. يقترب من سيارة العروسين يرى علامات القلق على السائق.

- الجو بيمطر، اطلع على القاعة، يشير له السائق أن هناك خطب في الفرامل.

- أكيد بهزر.

- خير فيه ايه؟

- يظهر الفرامل فيها عطل مش عارف يوقف العربية.

- ياسمين!

قال السائق في خوف:

الفرامل مش شغالة أعمل ايه؟

- وانت مطمنتش على الفرامل قبل ما تركبوا ليه؟

- عطلت فجأة مش عارف أسيطر على العربية.

تنادي كيري وأميرة على ياسمين لكن لا تسمعهما تسرع سيارة العروسين فجأه لقد فقد السائق السيطرة عليها تماما فتنقلب السيارة وتسقط في الماء.

أمام صرخات الجميع لحظة يتوقف فيها كل شيء تتوقف الأنفاس بصرخة واحدة يتوقف نبض القلب عن الخفقان في صدور الجميع ويتوقف العقل عن استيعاب ما تراه العين بأن ما حدث للتو هو حقيقة وليس خيالا أو مشاهدة كواليس دراما مثيرة، ترك الصمت هذه النظرات المفجعة في عيون من رأى الحادث، تجمد أحمد خلف مقبض سيارته لم يستوعب أن السيارة اختفت فجأة من أمامه، ركضت أميرة تبحث عن صديقتها لقد قفز كل من العريس والسائق من السياره لكن أين هي؟! أين ياسمين؟! عندها أدركت أنها ما زالت بداخل السيارة قفزت في الماء لتنقذ صديقتها وسط صراخ كيري الذي أفاق أحمد من صدمته وقفز في الماء هو الآخر.. تبحث عن أحد ينقذها تحاول فتح الباب لكن دون جدوى فجأة ترى أحمد أمامها.. دب الأمل في قلبها مرة أخرى، يحاول فتح الباب تشير له بأنه لا يفتح أشار أنه سيكسر الزجاج فلتستعدي لكنها تبكي في استسلام حتى لو كسر الزجاج لن تنجوا فستان الزفاف امتلأ بالماء وأصبح ثقيلا لا تستطيع الحركة لكنه لم يستسلم.. كسر الزجاج فتدخل الماء بعنف تتشابك الأذرع يحاول إخراجها لكن فستان الزفاف أصبح عائقا في طريق حريتها بل أصبح سبب وفاتها.. أشارت أنها تختنق لا تستطيع التنفس.. فجأة أميرة تقبلها قبلة الحياة وتحاول قطع الفستان وبالفعل نجحت في قطع جزء من وتحررت ياسمين جزئيا لكنها كادت أن تغرق، ذهب لأعلى وأخذ نفسا عميقا وعاد إليها يجدها كادت أن تختنق يعطيها قبلة الحياة أو ربما قبلة الموت الأخيره فسرعان ما فقدت ياسمين وعيها.. سحبها أحمد إلى أعلى لكن ما زال الفستان ثقيلا كادت أن تسقط منه في الماء مرة أخرى لكن كيري وأميرة ساعداه وسحباها معه لكنها كانت كالجثة لا نبض لا حياة.. قام أحمد بإنعاشها وكل جزء فيه ينتفض خوفا أن يكون تأخر وضاعت منه للأبد لكن تنفسها.. أعاد الحياة لقلبه مرة أخرى.

- ياسمين.. ياسمين.. سامعاني، يضمها في حضنه لكن سرعان ما امتلآت يديه بالدماء وتحول الفستان الأبيض لوردة حمراء.. وضع أحمد رأسها على صدره صارخا..

- حد يتصل بالإسعاف.. اتصلوا بالإسعاف بسرعة... ياسمين، سمعاني اوعي تسبيني اوعي تموتي.. أنا راضي انك تعيشي مع راجل تاني لكن متموتيش.. فتحي عينك يا ياسمين ردي عليه.

- تفتح عينها وبصوت ضعيف: أحمد...

- متخافيش انا جنبك هتكوني بخير متخافيش. يلاحظ أنها ترتجف فيضمها أكثر في صدره.

- سامحني يا أحمد.

- إنت اللي سامحيني معرفتش احافظ عليك.

- لا.. وأه.

- هو إيه اللي لا؟ أه؟

- السؤالين الأول لا والتاني آه.. تذكر عندما سألها انت اخترتي الإنسان الصح؟، فيه ذرة حب في قلبك ليه؟ حبتيني كحبيب؟، ضمها بقوة إلى صدره ولأول مره تجرأ وقبلها من جبينها دمعت عيناها.. لقد أدرك انه هناك حب في قلبها له.

- سامحني كنت مضطره... أنا خايفة.. متسبنيش.

يمازحها: متخافيش هتبقي كويسة وهتحضري فرحك بس بفستان جديد، الفستان دا اتهدل خالص هتكوني أجمل عروسة والمرة دي أنا اللي هزفك بعربيتي.. ايه رايك؟.. ياسمين... ياسمين؟ فقدت الوعي.. فيصرخ فاقدا الأمل.

في المستشفى

مشهد لا يكرر مرتين الكل يترنح بين البكاء والدعاء وعين أميرة تسجل مشاعر الحاضرين بينما كرستين لا تغفل نظرها عن جسد أحمد المرتعش وهو ينظر للدماء في يديه وعلى صدره بينما هو يسأل نفسه هل ستكون قبلة الوداع! يا لها من رصاصه موت.. لماذا تتثاقل دقائق الانتظار كسنوات مهاجر إلى أرض لا يسلكها غيره؟ لماذا لا يخرج طبيب يطمئن قلبي؟ يا رب رحمتك، يخرج الطبيب قائلا:

البقاء لله.. السواق توفى إثر نزيف حاد في المخ، والدكتور رامي ارتجاج خفيف وكسر في الذراع، والعروسة حالتها لحد الآن مستقرة لكن الحالة نفسها لا تبشر بخير فقدت دم كتير والصدمة كانت في المخ وحاليا في غيبوبة. سأل والدها:

يعني إيه هتعيش ولا... قاطعه الطبيب قائلا:

- والله حضرتكم كل شيء بيد الله.. ادعو لها. يغادر وسط بكاء والديها بينما تبلدت مشاعر أميرة لا دموع لا بكاء فالصدمة جعلتها تفقد الإحساس بمن حولها تعيد مشاهد ما حدث الفرحة التي تحولت لحزن وبداية الحياة أصبحت موتا.. كل شيء كان يبدو في غاية الجمال والكمال وفجأة ينقلب كل شيء لشيء مرعب مخيف كالليالي الرعدية المظلمة في محيط أمواجه جبال تخطف الأنفاس من الصدور وتصلب الكلمات في الحناجر وينعقد كل إحساس بأي شيء.. في تلك اللحظة، خافت كيري عليها وطلبت من أحمد أن يغادروا جميعا للمنزل.

هل هناك مفر؟

لا أعتقد أن حواجز القدر ضعيفة حتى نستطيع الفرار منها بما ليس لنا ولكن سأقف هنا على زنزانة القدر لأبحث عن مفر لأسأل العابرين كيف أنجو بما لا يكتبه القدر لي لكن لا أحد يعبر لا أحد يمر لا يوجد مفر!

مضت ثلاثة أيام وما زالت على وضعها نائمة كالملاك النائم.. حولها أجهزة لعينة تسلب روحها أم أنها أجهزة الرحمة تنقذها؟ تقبل يدها وترجوها أن تقوم بالسلامة سريعا فكل مكان يشتاق إليها، تذهب للمنزل وتنام كالجنين على السرير.. ما إن وضعت رأسها على المخدة حتى سالت الدموع من عينيها كلما تذكرت شكل صديقتها عروسة نائمة بفستان زفاف ملطخ بالدماء في فراش ومكان لا يليق بمثل سنها.. فجأة تشعر بشيء من البرد يسري في جسدها.. تشد الغطاء عليها لتغوص في شيء بين اليقظة والنوم.. فجأة ترى ياسمين أمامها تنظر إليها وتبتسم.. تشعر بيدها تغطيها وتربت على كتفها فتشعر بدفئ يدها تنادي عليها: ياسمين! انت هنا.. ياسمين... تغمض عينها وتفتحها لقد اختفت ياسمين، تستيقظ في لهفة مجنونة ظنا أنها ما زالت في الغرفة لكن ما زالت ياسمين ترقد هناك في المستشفى لكن لماذا ما زالت تشعر بدفء يدها على جسدها؟! لقد ظنت أنها غفلت في نومها لدقائق.. بدأت تخلع حجابها.. استوقفها صوت الهاتف رقم غريب...

- الو... الو.. أنا سامعة صوت نفسك مين بيتكلم؟ يغلق الخط تتنظر في ساعة الهاتف لا تصدق أنها العاشرة مساء! الخمس دقائق التي غفلت فيهم أصبحوا سبع ساعات!، تدخل غادة بوجه شاحب قائلة:

إنت رايحة؟

- رايحة؟... رايحة فين؟ أنا نمت بلبس الخروج لما جيت من المستشفى.. فجأة تدخل كيري والدموع بعينيها..

- ما لك يا كيري؟

- ياسمين خرجوها من العناية من ساعة.

- بالسرعة دي؟! هي فاقت من الغيبوبة؟

تنظر كيري لغادة فتفهم أن أميرة لا تعلم بالأمر فقالت:

البقاء لله، ياسمين ماتت!

ماتت صديقة العمر، ماتت رفيقه الروح.. رحلت التي لم أتوقع أبدا رحيلها، رحلت وقد أخذت معها كل شيء جميل وتركت برحيلها كل حزن الكون في قلبي، عندما نختنق من الدنيا نتمنى الموت وعندما يموت شخص نحبه نتمنى لو أن الموت عدو لنقتله حتى لا نفارق أحبابنا، عندما رحلت صديقتي خشيت أن أتحدث بشيء من الكفر فأنا ليس لدي ما يكفي لأضمن الجنة لكن لم يبرد نار الفراق من قلبي إلا جملة خرجت دون إرادتي وليسامحني الله عليها: (حسبي الله ونعم الوكيل في الموت!) ولكن هل بهذه الجملة كفرت؟، يعلم الله وحده مدى الألم الذي يعشش في قلوب كل من فقد عزيز على قلبه وبرحيلك يا صديقتي تصبح الدنيا جحيما وتصبح الجحيم جنة بوجودك جنبي، فليرحم الله أرواحا برحيلها رحل معها كل شيء حتى أرواحنا.

لو أني أعلم أنه سيأتي اليوم ونشتاق للراحلين لقدسنا كل لحظة قضيناها معا والآن وأنت عروسة في ريعان شبابك زهرة من أزهار الدنيا يزفك الجميع عروسة إلى قبرك ليرحمك الله ويجعلك زهرة من أزهار النعيم!

تسير سيارة الإسعاف ببطء من الزحام وهي تنقل جثمان زهرة الشباب لمثواها الأخير بينما يقف أحمد في قبرها يساويه ويزيل بعض حصوات صغيرة بداخله يكلم القبر بصوت مسموع:

يا قبر الدنيا وباب الآخرة جايلك حبيبتي كان نفسي تكون عروستى واخدها بين أحضاني.. دلوقتي هي عروسة بين أحضانك هغطيها بترابك وانا كنت هغطيها بحناني ودراعي مخدتها.. يقف خلفه صاحب المدفن يربت على كتفه قائلا:

وحد الله يابنى وامسح دموعك.. العروسة جاية ربنا يعوض عليك بزوجة تانية يا ابني.

- دي حبيبتي. تنحنح الرجل متسائلا:

جوزها فين؟

- مبقاش جوزها مكتبوش الكتاب. هز الرجل رأسه قائلا:

دنيا العجب والعجب فيها احتار تكون سجن المؤمن وجنة الكفار.. ربنا يرحمنا جميعا.

يحملها بين يديه ويضعها في قبرها يتخيلها وهي ترتدي فستانا أبيض ويأخذها من أبيها بين يديه للكوشة لكنه يفيق للواقع الذي بين يديه.. جثة، دفنت وما زالت والدتها تنبش التراب لتخرج عروستها من قبرها غير مصدقة أنها توفيت.. غادر الجميع وظل جالسا ينظر لاسمها قائلا:

- وكأنك مقدرتيش تختاري مع مين هتعيشي وتكملي حياتك وكأنك فضلتي البعد النهائي عشان متعذبش أنا مش هنساك وكل لحظة سعيدة هفتكرك وفي كل صلاة هدعيلك وكل قرش في جيبي منه جزء رحمة على روحك طول منا عايش هتلاقي ملاك رافع سلامي وترحمي عليك ورسالة مني ليك آخر كلمه قولتها متسبنيش، إنت في قلبي.. مستحيل اسيبك.. (يقرأ الفاتحة).

بعد عدة أيام.. يملأ الصراخ غرفة أميرة.. يهرع الجميع إليها.

- اتسرقت.. صفحتي اتسرقت.. ذكرياتي مع ياسمين اتسرقت، تحاول كيري تهدئتها وتضمها بحضنها.

- اهدي يا أميرة مش كدا.

- الهاكرز سرق صفحتي.. فيها كل الرسائل اللي بيني وبين صاحبتي.. عزائي الوحيد اللي مصبرني على فراقها كانت الرسائل اللي بيننا، أعمل ايه؟! أعمل ايه؟ آاااه.. حسبي الله ونعم الوكيل حتى الحاجة الوحيدة الذكرى بيننا سرقوها زي ما سرقها الموت من وسطنا (تنهار)، كان عزائها الوحيد هو زيارة قبرها مع كيري تقرأ أميرة سورة (يس) أمام قبر صديقتها وما إن صدقت قول الله طلبت كيري أن تغادرا.. فجأةً رأتا هدى أمامهما.. سألتها أميرة في جفاء..

- إيه جابك هنا؟

- جايه ازور صاحبتي.

- صاحبتك؟!..

- أميرة.. يلا نمشي ملوش لازمة نتكلم معاها.

- محضرتيش فرحها ولا جنازتها وبتقولي عليها صاحبتك!

- أنا آسفة.. أنا غلطت في حقكم كتيروندمانة على كل لحظة كنت.. قاطعتها قائلة:

إنت موتي من زمان والمفروض نقرأ الفاتحة على روحك انت كمان.. الأموات في الدنيا نوعين ناس بتموت وهما على قيد الحياة وناس على قيد الحياة جوانا وأموات تحت التراب.. إنت موتي وربنا يرحمك، إذا فيه ذرة وفاء في قلبك للعشرة اللي كانت بينا اترحمي عليها وعلينا لما نموت، ولكي تخفف الاشتياق الذي يقتل روحها بالبطء قامت أميرة بعمل أكونت جديد وأرسلت إلى صديقتها طلب صداقة.. تعلم أن روح الياسمين قد غادرت بروحها وكيانها للأبد وسيكون طلب الصداقة معلقا إلى الأبد أيضا إلى أن يأتي أجل الله ويتم إضافة الأصدقاء لبعضهم البعض مرة أخرى لكن الله وحده أعلم متى يتم طلب الصداقة الأخير ليجتمع الشمل من جديد بالصديقتين.

- دلوقتى بس عرفت الفرق بين السؤالين قائلا لنفسه: يا أميرة قلبي أتضحين بحبي من أجلي أم تضحين بحبي من أجل صديقتك المتوفية!

- دلوقتي انت عرفت الحكاية كلها أختار هتسيب حبيبتك تضيع من أيدك ولا هتعافر الدنيا عشانها.

- مش هسمح انها تضيع من إيدي تاني.

في منزل أميرة

يدخل أحمد يرى السفرة ممتلئة قائلا::

- إيه دا كله؟ احنا عندنا وليمه النهارده ولا ايه؟

- عندنا ضيوف خطيب أختك معزوم على الغداء النهارده.

- يا دي النيلة طب انا ماشي.

- ميصحش إن عريس اختك كل ما ييجي ويسأل عليك يلقيك مش موجود كفاية إحراجنا يوم الخطوبة قدام الناس والكل بيسأل عليك وميرضيش ربنا إن اختك تفضل

زعلانة منك الوقت دا كله.. لما انت بتعمل في اختك كدا واحنا عايشيين أمال هتعمل فيها إيه لما نموت؟!

- متزوديهاش يا ماما خلاص هستني وهتغدى معاكم.

(على الغداء)

- إلا قولي يا درش انت بتعمل إيه دلوقتي؟

- زي ما انت شايف بتغدى.

يضحك: بالهنا والشفا.. أقصد شغل.. لسه في محل الطيور والأسماك مع صاحبك؟

- وماله محل الطيور والأسماك؟!

- ملوش.. شغل ميه ميه طول الوقت قاعد وسط مناظر جميلة والعصافير بتغني حواليك بس اقصد مفيش شركة محترمة تقدم فيها سواء هنا أو في أي محافظة تانية.

- لا.

- عين العقل يا رامي يا ابني، المحل مهما كان مش هيكون زي مرتب الشركة دا غير التأمين والمعاش.

يترك الملعقة.. ينظر لأخته التي لم تأكل إلا قليلا.. قام بحيلة لكي يغادر حتى لا يفقد أعصابه قام بضبط منبه هاتفه ليرن بعد دقيقة.. رأته غادة لكنها لم تفهم ما الذي يفعله بعد مرور الدقيقة يرن المنبه فيدعي أنه صديقه ولا بد أن يذهب إليه لكن رامي تحجج هو الآخر بمشاغله ولا بد أن يغادر فيغادران معا.. أراد رامي أن يجاري أحمد في الحديث ولهذا السبب تعمد المغادرة معه قائلا..

- إيه رايك يا درش نشرب اتنين نسكافيه في الكافيه دا.. (يمسك ذراعه فينزعها من يده).. إيه يا درش مش بتحب حد يلمسك ولا إيه!

- تعرف ان انا مش بلعك وانك خاطب اختي غصب عني.

يظهر الوجه الحقيقي لرامي بنظرات رجل لعوب قائلا:

عارف. يندهش أحمد.. وعارف انك مش بطيق تبص في وشي أو حتى تسمع سيرتي.

- وعارف ان اختي مبتحبكش؟ يتضايق رامي.. لم يعلم أنها لا تحبه أو يعلم لكنه يكذب على نفسه مصدقا أنها تحبه لكنه أخفى مشاعره قائلا:

مش كل اللي بيتجوزوا واخدين بعض على حب بعد الجواز هتحبني كلها أربع شهور ونبقى واحد.

- جوازك من اختي على جثتي.

يمسكه من ذراعه بقوه: هتجوزها ولو جثتك وجثتها التمن. يفلت أحمد ذراعه وهو يتوعد بينه وبين نفسه بنهاية رامي على يده مقتولا.

في منزل حسام

يدخل بزمجرة باحثا عن دعاء.. يفتح غرفتها دون استئذان.. يجدها تصلي، ينتظر.. ما إن انتهت فصاح بها..

- إنت يطلع منك كل دا؟ إنت الملاك الطاهر البنت المحترمة المتدينة تعملي اللي مينفعش واحدة في مستواك تعمله (تجتمع الأسرة).

- إيه يا ابنى بتزعق في دعاء كدا ليه؟

- حتى انت يا ماما مش عارفه تتفقي من ورايا مع دعاء على أميرة وتروح تقابلها وتقولها اننا مخطوبين وتهددها إني لو مبعدتش عني هتفضحها وتفضح أهلها.

- أنا يا ابني.. مين قالك كدا؟! توضح ندى الحقيقه قائلة:

ماما، متعرفش حاجه ياحسام.. دعاء اللي أخدت تليفونك وردت على أميرة وقالت انها أختك ولما قابلتها هددتها وقالتلها انكم مخطوبين ودخلت اسم ماما في الموضوع لكن ماما متعرفش أي حاجة.

- إنت يا دعاء تعملي كدا؟ حصلت! بقى دي نتاج تربيتي فيك؟

- تعرفي أميرة اتخطبت ليه.. عشان الست هانم طلعتني قدامها خاين وبتاع بنات يعني مش كفايه ضيعتي الإنسانة اللي بحبها من إيدي لا وكمان شوهتي سمعتي وصورتي قدامها.

- أنا كنت مستعدة أعمل أي حاجة عشان أتجوزك، أميرة دي الشيطانة اللي فرقت ما بينا لو مكنتش موجودة كان زمانك ليه أنا وخاطبني انا.

- أنا عمري ما هتجوزك طول منا وهي عايشين على وش الدنيا هنكون لبعض والغلطة دي عمري ما هسامحك عليها. من النهار ده لا انت بنت خالتي ولا أعرفك فاهمة مش عايز حتى أسمع اسمك.

- انت السبب يا ندى انت اللي قولتي له على كل حاجة.

- ندى ملهاش ذنب كل ذنبها انها خبت عليه وحسابها بعدين.. كيري قالت لي على كل حاجة.

- كيري؟! وهي كيري تعرف أميرة منين يا ابني؟!

- فاكرة يا ماما البنوتة اللى كانت مع كيري في المستشفى لما كانت جايه تزور حسام.. هي دي أميرة.

- ماما انا هحاول ارجع كل حاجة لوضعها.. هحاول أرجع أميرة ليه تاني.. موافقة؟

- أي حاجة تريحك انا موافقه عليها.. يغادر تاركا دعاء بين بكاء الندم ونظرات العتاب من الجميع.. إلا أن دعاء مسكت بيد ندى قائلة:

إلحقيني يا ندى حسام لو ضاع مني أنا هضيع.

- قلتلك اللي بتعمليه دا ملوش لازمه ولو اخويا من نصيبك الدنيا كلها متقدرش تقف في وشك، حاولي تحبي تاني.

- أحب؟! الحب مش قطع غيار حب ضاع احب غيره.. الحب بيجي مرة واحدة بس. تتركها ندى في يأس قائلة:

عبيطة لو ضيعتي عمرك في حب إنسان مش بيحبك.. أنا بشفق عليك بحبك دا تمضي لكنها تقف عندما تسمع دعاء تقول:

وانا بشفق عليك بقلبك دا.

في منزل أميرة

تسأل كيري أميرة

- إنت مستعدة تجوزى رامي؟.. ترد غادة:

وهو الجواز عايز استعداد يا كيري الجواز عايز حب، قبلة رقيقة، حضن دافي مش كدا يا ميرو.

لا تعير أميرة أي اهتمام لكلام أختها فترد كيري في سخرية:

- حب! اللي يدوق عذاب الحب يندم انه يوم حب وبعدين هو الحب قبلة وحضن برضه؟

- أمال ايه الحب؟ غير بوسة وحضن والذي منه..

- عمر ما كان الحب عنوان للجنس.. الحب هو اهتمام احتواء بحضن دافئ جميل في عز الشتاء بوسة جميلة على خدك مليانة حنان.

- شوفي انت اللي قولتي بوسة وحضن يبقى ايه؟

- يبقى حب مش جنس زي بالضبط لما تحضني طفلة جميلة وتهريها بوس ومش عايزة تسيبها هل عملتي كدا رغبة جنسية منك للطفلة؟ أم لحب؟

- لا طبعا عملت كدا عشان بحبها.

- شوفتي قولتيها حب..الحب دا باب مفتوح إلى ما لا نهاية من المشاعر والتصرفات لما تحبي حد كل حاجه بيحبها تحبي انك تحبيها عشانه ولما يكره حاجه تكرهيها عشانه.. اللي يحب حد بيفضي وقت مخصوص عشان يكلمه مش لما يبقى فاضي يبقى يكلمه.. أجمل الأوقات متحلاش إلا بوجوده جنبك ووجودك جنبه حتى لو اشتريتي حاجة حلوة ميحلاش طعمها في فمك إلا لما يدوقها عينك تضحك كل ما تشوفه والتكشيرة تنفرد لأجمل ابتسامة لما تلاقيه جاي من بعيد وقلبك ميحسش بالراحة إلا لما يكون جنبك أو راسك على قلبه.. تصمت برهة وتقول:

حتى الموت متخافيش من الموت طول ما هو جنبك وتفضلي الموت وانت في حضنه وتشتاقي للموت عشان يجمعك بيه لو مات قبلك... لقد رزقت حبها..الجملة دي جميلة أوي لما قرأتها عن الرسول محمد (ﷺ) محستش بعمقها إلا لما حبيت الحب رزق وأكتر حاجة يحبها الإنسان الرزق ودعوة الإنسان لربه دايما إنه يرزقه وربنا من أسمائه الرزاق لذلك الرسول محمد (ﷺ) قال: (لقد رزقت حبها).

وميرزقش ربنا إنسان إلا لما يكون راضي عنه.. رزقت حبها، قلبي بيتلذذ بعمق الجملة دي أوي، أما الجنس فعنوانه دول الغرب زي single mother طفل مجهول الهوية حملت فيه أمه من أي شهواني مقزز دا حتى الحيوانات اللي أقل مرتبه من الإنسان معندهمش single mother بتلاقي حتى الكلاب عارفين ابوهم وامهم دا غير إن ٦٠% من أطفال الغرب مجهولين النسب... عرفتي إن الحب شيء والجنس شيء تاني.

تلاحظ أن أميرة وغادة ينظران لها باندهاش فلم يتوقعوا أن تقول كيري ما قالت تقطع اندهاشهم..

- غادة، ممكن كوباية نسكافيه؟

- من عنيه (تغادر).

- أميرة انت بتحبي حسام مش كدا؟

- بعد ما خانني؟

- دعاء كذبت عليك.. حسام مخطهاش ولا تبقى خطيبته ولا حتى بنت خالته.

- نعم! أمال الكلام اللي والدته قالته في المستشفى دا ايه؟!

- اللي سمعتيه، الحكاية إن والدة حسام كان ليها صديقة مقربة منها قوي من وهما لسه طلبة في الجامعة كل واحدة فيهم وحيدة ابوها وأمها عاشت كل واحدة كأخت للتانية.. كل اللي يشوفهم يقول أخوات الاتنين اتجوزوا والدة حسام اتجوزت الأول وسافرت السعودية مع جوزها ويشاء القدر إن جوزها يموت هناك في نفس السنة اللي اتجوزت فيها.. رجعت تاني مصر وهي معاها حسام واتجوزت وخلفت ندى وعبد الرحمن، والدة دعاء اتجوزت وبعد ولادة دعاء دخلت في غيبوبة وتوفت حتى من غير ما تشوف دعاء.. والد دعاء من عائلة مبتحبش خلفة البنات واعتبر دعاء قدم النحس على العائلة

لدرجة كان هيوديها الملجأ لكن والدة حسام أخدتها وربتها على أساس انها بنت أختها وزوجها في الوقت دا كان مرحب جدا لأنه كان فاهم طبيعة العلاقة ما بين الصديقتين حتى حسام بيعامله كابنه مش زوج أمه ولحبها لصديقتها اللي توفت اتمنت إن حسام يتجوز دعاء وكل اللي على لسانها إنهم مخطوبين من وهما في اللفة عشان تقربهم لبعض لكن الاتنين مش مخطوبين أصلا.

- الدنيا دي زي ما بنشوف في الأفلام كلها صدف وعجائب.

- حسام عرف بكل حاجه وعايز يرجع لك لو بتحبيه كلميه النهار ده باليل.. طمني قلبه وهو أخد نمرة أحمد عشان يتفقوا مع بعض يخلصوك من رامي انا حكيت لحسام كل شيء من أول طقطق لسلام عليكم.

- أنا بعشقه بس رامي... قاطعتها قائلة:

رامى مش زوج ياسمين عشان تحسي بالمسؤليه ناحيته ومتضحكيش على نفسك انت وافقتي على رامي عشان حسام خدعك وانا وانت اللي نعرف حكاية رامي من الأول... هقولها تاني حسام منتظر منك تليفون بالليل وبناء عليه هيكلم أحمد أخوك عشان يكون من قسمتك ونصيبك.. أسيبك تفكري.. سلام يا صاحبتي. تدخل غادة قائلة:

على فين يا كيري.. النسكافيه.

- إديه لأميرة عشان تفوق للي حواليها ولمصلحتها.

يأتي الليل بصحبة الماضي دائما تفكر في صديقتها.. لم تمسح رقم هاتفها تنظر إليه قائلة:

نفسي أرن عليك ألاقيك بتكلميني واسمع صوتك.. وحشني صوتك جد.

فجأة يرن الهاتف فتنفزع ترد:

ألو..

- وحشتني كلمة ألو منك من زمان... ساكتة ليه إوعي تكون مسحتي رقمي.

- ممسحتوش أنا أصلا حفظاه.

- يبقى لسه بتحبيني.. مش هعاتبك على كل اللي حصل منك لأننا ضحية لكذبة كبيرة والحمد لله انكشفت قبل فوات الأوان... بتحبيني؟

- بعشق كل حاجة من ريحتك.

- أنا ندمان على كل لحظة ضاعت من عمري قبل ما اقابلك وكل لحظه شكيت فيك فيها.

- وانا ندمانة على الكلام اللي قلته وإيدي اللي اتمدت عليك.

- بلاش نتكلم في اللفات قولت لك انا وانت كنا ضحية بس خلاص هانت كلها بكرة واتصل بأحمد اخوك نشوف أي طريقة نخلصك منها من عريس الغفلة دا وأجيب أهلي واتقدملك.. البركة في ربنا أولا ثم كيري هي اللي أنقذتنا احنا الاتنين من الضياع.

- للحظة حسيت ان انا جدار آيل للسقوط وصاحبتي سندتني!

- إنت محظوظة إن في حياتك صاحبة زيها وانا محظوظ إنك في حياتي.. ساكتة ليه؟

- خايفة أهلي يعارضوا فسخ الخطوبة ويحتجوا وافقتي عليه ليه من الأول والحب هييجي بعد الجواز واللي نعرفه أحسن من اللي منعرفوش ولو قلت عليه أخلاقه مش كويسة يقولوا يتعدل بعد الجواز وشوية الردود المتعلبة الجاهزة لأي بنت رافضة الجواز من إنسان مبتحبوش.

- متخافيش سلمي أمرك لله وربنا يجمعنا في الحلال يا رب.

- آمين.

في اليوم التالي

تقابل غادة كيري أمام باب الشقة

- رايحة الجامعة؟

- آه هتأخر شوية.. كويس انك جيتي محدش هنا وأميرة لوحدها ادخلى اقعدي معاها.

- اوك.

- كيري فيه حاجة عايز اعترف لك بيها..

تقول مبتسمة: تعترفي مرة واحدة.. اوك انا سمعاك.

- أنا سمعت كل حاجة بينك وبين اخويا يوم خطوبة أميرة وعارفة باللي بتعمليه عشان أميرة.. اللي عملتيه يا كيري سلاح ذو حدين ومن حسن الحظ ان الحدين بيصبوا في مصلحتك ومصلحة أختي.

- أنا بس حاو... قاطعتها قائلة:

اللي عملتيه عين العقل يا زوجة اخويا المستقبلية.

- يعني انت مش معترضة على ارتباطي بأحمد؟

- بالعكس أنا مطمنة على اخويا معاك انا شيفاك بنت بميت راجل يا كيري ولو على الدين فانت عارفة الإسلام كويس.. جوازك من اخويا حلال ليكم وفرحة لينا.. ربنا يجمعك مع اخويا في الحلال.

آمين.. بس ادعي ربنا يطلعنا من الحدوتة دي على خير يا غادة.

- يا رب.

تغادر وتذهب كيري في غرفة أميرة قائلة.

- قومي اعملي اتنين نسكافيه نطري بها القاعدة الناشفة دي.

- طب ورايا على المطبخ.. نسكافيه بس متأكدة؟

- يعني لو فيه قطعة كيكه ملهاش صاحب يبقى كويس أوي.

- أنا بعمل الكيك علشانك أصلا.

- مش بقدر اشرب نسكافيه إلا والكيكه معاه وخاصة عمايل ايدك.

- سبحان الله صحبتي العجيبة ولازم اتحملها.

تملأ فمها بالكيك متلذذة به.

- بالراحة على نفسك إنت بتاكلي ومش بيبان عليك رغم انك منشار طالع واكل نازل واكل.

- الله أكبر خمسة وخميسة كان عندنا وردة مقفلة وفتحت.. (تضع كفها على وجه أميرة).

- متخافيش هحسدك على إيه يا معصعصة.

يرن جرس الشقة: روحي افتحي شوفي مين. تذهب كيري لتفتح على أمل أن يكون أحمد لكنها تأخرت نادتها أميرة لكنها لم تجب.ي

- مين يا كيري (لا ترد) كيري.. تحمل الصنيه بيدها وتخرج لتصطدم بوجه رامي أمامها يشوبه الغصب وعيناه تشعان بالشر.

- رامي!.. كرستين فين؟.. تطرق كيرى الباب تنادي.

- افتح يا رامي.. افتحي يا أميرة الباب.. تسقط الصينية من يدها.

- فيه إيه يا رامي؟! وايه جابك هنا دلوقتي؟!

- إنت ملكي بتاعتي شئتي أم أبيتي.. أنا فضلت مستني الفرصة اللي أخليك فيها مذلولة قدامي وترضي بالأمر الواقع.

- فيه إيه يا رامي؟ أنا مش فاهمة حاجة انت شارب حاجه ولا إيه؟!

- كنت أول حب في حياتي واتخليتي عنى ولفيت الدنيا ورجعتي لي تاني لكن برضه بتتخلي عني.. ليه؟! مبتحبنيش زي ما بحبك ليه؟! ليه؟!

- اعقل يا رامي متعملش حاجة تندم عليها (يقترب منها).

- أنا لو معملتش اللي انا عايزة هندم بجد، لازم احطك انت وأهلك واخوك تحت الأمر الواقع لازم اخليك تحبيني غصب عنك (يحاول تقبيلها تصرخ وتجري نحو باب الشقه لكن يمسكها من شعرها).

- هتروحي مني فين تعالي.

- سبني يا مجنون الحقيني يا كيري.

- أنا مجنون بيك انت.. أنا المجنون اللي ضعتي منه لما رفضتي حبي واتخطبتي لخالد مكنش قدامي حل تاني غير ان أخطب صاحبتك عشان تكوني قدامي طول عمرك وقرب منك ولما خانك يوم كتب الكتاب كنت هموت واجي اخطفك وأخدك في حضني واتجوزك لكن ياسمين كانت الحبل اللي ملفوف حوالين رقبتي كان لازم اخلص منها عشان أوصل لك.

- تخلص منها؟!... تخلص منها ازاي؟!.. إنت عملت ايه؟!

تسمع كيري صراخ أميرة.. تتصل بأحمد وأثناء ذلك أكمل رامي قائلا:

لعبت في فرامل العربية ولا من شاف ولا من دري.. كنت عامل حسابي إني أخلص منها واسيبها تغرق في المياه لكن اخوك عمل فيها بطل وراح ينقذها.

- إنت مجرم مجرم.. مستحيل اللي بتقوله دا يكون بجد.. إنت لازم تموت (تصفعه).

- أنا فعلا هموت بس هموت فيك. (يتهجم عليها).

- ابعد عني انا هبلغ عنك واوديك في داهية.

- يضحك... هتقوليلهم إيه خطيبي قتل صاحبتي وإيه الدليل؟.. أنا هخليكي متقدريش تنطقي بحرف لازم أخلي راسك في التراب وتترجيني عشان استر عليك واتجوزك.

- ابعد عني حد يلحقني ابعد عني يا مجرم.. آاااه.

- اصرخي ياما صرخت من حبى ليك ومسمعتيش ياما قلبي اتمناك وتجاهلتيه.. كان نفسي الحب اللي في قلب ياسمين ليه يبقى في قلبك انت وتحبيني لكن هي ساذجة حبتني بكل تفاصيل حياتي لدرجة ميزت خطي على بوكيه الورد اللي بعتولك المستشفى.

- بوكيه الورد؟! تتذكر ياسمين عندما قالت: الخط دا مش غريب عليه. أكمل رامي قائلا:

عجبك، مش كدا!؟ (يضحك) واللي أكد لي ان عايش جواك الرسالة.

- الرسالة؟!

- آه عاملة نفسك ناسية الرساله اللي بعتها لك من كام سنة فيها اسمي ورقمي واعترافي بحبي ليك ما زلتي محتفظة بها لحد الآن وهي قرأتها صدفة يوم الفرح ربطت الخيوط ببعض وعرفت كل حاجة كانت بينا وانا اعترفت لها بكل حاجة حتى لون الورد اللي بتحبه قولتلها ان اتصلت بيك عشان اعرف هي بتحب ايه واجيبه هدية ليك في أول مقابلة بنا، لكن ثقتها فيك خلاها تسامحك وحبها ليا خلاها تتمسك بيا لآخر لحظة بس كان لازم أخلص منها عشان متضعيش مني.. تهرب أميرة لغرفتها وتغلق الباب تبحث عن الهاتف وأول من خطر في بالها أن تستنجد بحسام.

- الو.. الحقني يا حسام.. الحقني رامي بيتهجم عليه.

- أنا جاي مع أحمد في الطريق (يسمع صوته انا هكسر الباب ومش هرحمك.).. متخافيش يا أميرة دقايق ونكون عندك.

- افتحي الباب يا أميرة افتحي الباب هكسره.

- أنا أكيد بحلم أنا أكيد في كابوس. تحاول كيري كسر باب الشقة لكن تفشل لكن رامى ينجح في كسر باب الغرفة قائلا:

- مهما قفلتي أبواب هوصلك.. يتهجم عليها يحاول تقبيلها فيتعد وجهها فيمسك وجهها قائلا:

متحاوليش تبعديني انا هاخد منك اللي انا عايزه برضاك أو غصب عنك.

تضع أصبعها في عينه تحاول الهروب لباب الشقة لكنه يعركل قدمها تسقط أرضا.. يحاول اغتصابها لا يرحم توسلها ولا صرخاتها وفي الخارج تصرخ كرستين وتتصل بالشرطة.. فجأة أحمد وحسام يفتحون الباب ليدخل الأخ كالمجنون خائفا على عرض أخته وخلفه الحبيب الذي يحافظ على آخر أمل له في الزواج من محبوبته.. كلا الاثنين ينصدمان من هول المشهد الذي لا يوحي إلا بشيء واحد أن كل شيء ضاع.. يحاول أحمد إبعاده عن أخته وينهال عليه بالضرب.. ذهب حسام وأحضر ملاية السرير ولف بها جسد حبيبته المليء بالخدوش والذي قد تعرى تقريبا قائلا لكير:

خدي أميرة في أي أوضة بعيد. يحاول تقييد رامي الذي تغلب على أحمد ودفعه أرضا.. لكن رامى يخنق حسام بياقة القميص قائلا:

إنت نهايتك على إيدي.. فاكرني مش عارفك وعارف اللي بتخطت له؟ أنا لازم اخلص من أي حد يحاول يبعدني عنها انا هقتلك، كاد أن يفقد وعيه لكن أحمد يخلص حسام من يد رامي الذي فر هاربا.. يجري وراءه ليمسك به لكنه فر مسرعا بسيارته.. تحاول كيرى إيفاق حسام بينما تقف أميرة بعيدا ترى أخاها قادما فألقت بنفسها في حضنه وكل جزء في جسدها ينتفض خوفا.

- متعيطيش انت بخير مش كدا؟،يلاحظ الخدوش على وجهها تنزلق الملايه فيرى الجروح بجسدها يطبطب عليها ويضمها في حضنه قائلا:

- متخافيش ادخلي غيري هدومك عشان ننزل نقدم بلاغ.

- بلاغ؟!.. لا.. لا.

- لازم نبلغ دي جناية و... قاطعهم صراخ كيري قائلة:

- الحقني يا أحمد، حسام مبيفقش اتصل بالإسعاف.
- أنا عندي إزازة عطر استني أجيبها.
- العطر مش هينفع اتصل بالإسعاف يا أحمد بالله عليك.
- هدي أعصابك دلوقتي هيفو... قاطعته قائلة:
حسام مريض بالقلب حسام هيضيع لو متنقلش المستشفى حالا.
سقطت زجاجة العطر من أحمد وتسقط أميرة على الأرض رعبا في زاوية الغرفة!

في المستشفى

تنقلب الدنيا رأسا على عقب.. الشرطة تملأ المكان يحققون مع الأطباء عن وضع حسام الصحي وجروح أميرة واحمد الذي انجرح دون أن يشعر، يجلس أحمد على سرير المستشفى محتضنا أخته بين ذراعيه وبجوارها كيري يدخل الطبيب قائلا:

الأستاذ حسام بخير والحمد لله لو عايزين تزوروه لكن من الأفضل أن نسيبه يرتاح شوية.

الجميع: الحمد لله.

- أما الآنسة أميرة الحمد لله إن مفيش إصابات خطيرة حاولي تهدي وترتاحي شوية لو مش عارفه تنامي ممكن اعطيك حاجة مهدئة لكن مبرجحش المهدئات.

- أختي قويه وشوية وهتكون كويسة.

- طبعا يا درش انا موجود في غرفه الأطباء لو احتاجت أي حاجة انا موجود.

- متحرمش منك يا دكتور محمد.

- دكتور ايه احنا اصحاب دكتور دي قدام الناس بس أما بينا وبين بعض محمد وأحمد ولا نسيت أيامنا الحلوة؟

- الأيام الحلوة والناس الحلوة متتنسيش. يغادر..

- زمان ماما مكسوفة مني.

- تتكسف منك ليه انت بشرفك والحمد لله وحتى لو لا قدر الله كان حصل حاجة دا مش بإيدك.

- الناس بتلوم المجني عليه أكتر ما بتلوم الجاني خاصه في موضوع الاغتصاب والتحرش هيقولوا مين قالها تفتح لخطيبها الباب وأهلها بره البيت ويا ترى عمل ايه ومعملش ايه وكلام الناس مبيخلصش.

- سيبك من كلام الناس وسيبي الناس لرب الناس واللي يقول كلمة يحمل وزرها وانت مظلومة وشريفة قدام ربنا ودا يكفي.

- كلام احمد مضبوط سيبي كلام الناس لشيطانهم اللي بيوسوس في نفوسهم وليكن بينك وبين الله عمار وبينك وبين الناس خراب.

- لسه مقبضوش على رامي؟

- المجرم عمل عملته وهرب لكن هيروح فين.. المشكلة ان مفيش دليل على جريمته إلا اعترافه.

- اعترافه؟

- آه. اعترافه الدليل الوحيد اللي يثبت جريمته على اللي عمله في ياسمين..

- عايزة اطمن على حسام.

- بلاش تشوفيه وانت في حالتك دي ارتاحي وانا اقوم اطمن عليك... خلي بالك منها يا كيري.

- عيب عليك دي في عنيه.. يغادر.

- كيري تعالي معايا...

يدخل أحمد على حسام يراه مغمض العينين والدموع تسقط من بين جفنيه يسمع أنات مكتومة أراد أن يكلمه لكنه فضل أن يتركه يرتاح مع نفسه.. غادر الغرفة وقال لنفسه: فاكر... نفس المستشفى ريحتها متتنسيش، فجأة تقول كيرى ودعاء صارختين في نفس واحد: أميرة اتخطفت.

- بتقولي ايه يا كيري؟!

- رامي خطف أميرة.

- قولت لك خلي بالك منها، ترد دعاء: كانت معايا في الحمام ودخل علينا وهددها بالمسدس وخطفها.. يسمع حسام ما قيل فينتفض في إعياء شديد.

- أميرة فين يا دعاء؟ تبكي.

- رامي خطفها وهرب وأحمد جرى وراهم.

يركض حسام ناسيا مرضه ليلحق بهم ومن خلفه دعاء وأسرته فجأة يرى أحمد ما زال يبحث عنها.

- أميرة فين يا أحمد؟!

- بدوّر عليها مش لقيها فجأة يسمعان أميرة تستنجد بهما يهددها رامى قائلا: لما ماخرستيش هموتك.

- موتني.. حياتي معدتش تلزمني بعد ما قتلت صحبتى، تتذكر أميرة كلمة أحمد: اعترافه الدليل الوحيد على جريمته.. تخرج الموبيل وتشغل المسجل دون أن يشعر في حين كان يرد قائلا:

- قتلتها؟! انت اللي قتلتيها أو بالأصح احنا الاتنين قتلناها مهو بسببك قتلتها.. وانا ياما اموت فيك يا إما أموتك زيها.. متعرفيش كنت بتمنى الحب اللي جواها يكون جواك ليه.. يا خسارة حبها ليه كان المفروض يكون حبك انت.. بسببك اتحولت لمجرم بسبب حبي ليك بقيت مجرم مع سبق الإصرار والترصد.

- الحب عمره ما كان إجرام.

- الحب بيحولنا لمجرمين.

- قتلتها ازاي؟!

- ودا يهمك في ايه دلوقتي؟

- عايزة اعرف عملت فيها ايه؟ صاحبتي ومن حقي.

- تحبي أعمل معاك زي ماعملت معاها؟ تحبي احطك قدام الأمر الواقع زيها.

- تقصد إيه بالأمر الواقع؟! اوعى تكون... قاطعها قائلا:

تق.. تق.. تق، أنا عمري ما لمستها.. أنا جسمي يتحرم على واحدة غيرك (اعتقد المجنون أنها ستحزن إن علمت أنه لمس جسد صديقتها).. أنا جبت اللي عمل كدا، لما

واجهتني بكل شيء خفت لتعمل حاجة وخطتي تفشل في التخلص منها خدرتها وربطتها في العربية وصورتها عارية مع اتنين أجرتهم بملاليم وهددتها إن فتحت بؤها بكلمة هتكون فضيحتها على النت والدنيا كلها.. بس متخافيش يا قلبي محدش شاف الصور دي غيري على موبيلي.

- أنا بحلم مش كدا! يضحك بهستريا قائلا:

مش بقولك عشانك بقيت مجرم مكنتش اتخيل إن العربية هتنقلب في الماء كل آخر خططتي إن العربية تدخل في شجرة ولا أي جاحة وانط منها وانقذ نفسي.. حسيت براحة لما اتقلبت في الماء لكن اخوك العاشق الولهان نزل وأنقذها نعمل ايه بقى.. بس ولا يهمك أهي غارت في داهية وانت معايا نعيش حياتنا بعيد في هدوء عن الناس وننسى اللي فات.. يدخلها السيارة فتصرخ مستنجدة.. يركض حسام وأحمد باتجاه الصوت يصل لها حسام أولا بأنفاس متقطعة من الإعياء.. يرى رامي يجرها في الدخل للسيارة وبيده المسدس..

- ادخلى لطلع روحك.

- أميرة.. يلتفت رامى مصوبا المسدس نحوه.

- لو قربت خطوة هموتك مكانك.

- لو على قتلي انا بايع.. (تعض أميرة يد رامي فيهجم عليه حسام محاولا التخلص من المسدس).

- أنا كان لازم أقتلك الأول واخلص من حشرة زيك، يسقط المسدس من يد رامى فيركله حسام بعيدا يحاول رامي خنق حسام فتضربه أميرة بطوبة على رأسه يتألم من الضربة فيترك حسام ويمسكها من رقبتها.

- بتضربيني عشانه؟!

- زي ما ضربته عشانك.. إنت لازم تموت زي ما صاحبتي ماتت لازم اقتلك زي ما انت قتلتها.

- يبقى انت اللي اخترتي.. يدفعها أرضا بعنف.. يصل أحمد ويرى رامي يلتقط المسدس من الأرض يدفعه بقوة ويحاول تخليص المسدس من يده فيطلق رامي رصاصة أطلقت معها صرخة أميرة واتجه الجميع على صوت الرصاص..

- أحمد !... أحمد!..

- الرصاصة جات في رجلي مش قادر أتحرك.. آاااه.

- ربنا ياخدك.. ربنا ينتقم منك.. حسبي الله ونعم الوكيل فيك انت إيه شيطان!..

(يضحك بهستريا): معلش يا بو حميد الضربه دي مكنتش مقصودة بس تستاهل ولو أني كان نفسي تيجي في قلبك وتخلصني منك بالمرة.

- انت شيطان ونهاية الشياطين أمثالك جهنم.

يضحك: صناعة إيديك.. انت اللي حولتيني لكدا.

فجأة يرى رامي أسرة حسام وأميرة وحراس الأمن قادمين من بعيد.. هددهم قائلا: محدش يقرب اللي هيقرب خطوة واحدة هفرغ المسدس دا فيهم.

- إنت جبان ومصيرك السجن تتعفن فيه زي الفئران.

- للدرجة دي بتكرهيني؟

- أنا أطيق العمى ولا أطيقك.

- ليه؟.. عملت إيه عشان تكرهيني كدا... أنا عملت كل حاجة عشانك ضحيت بقلبي ومستقبلي.. أنا الطبيب اتحولت لمجرم وكل دا ليه عشان بحب بحبك.

- محدش قالك حبني.. محدش قالك تقتل صاحبتي يوم فرحها.. متعلقش إجرامك على اسم الحب مجرم زيك ما يعرفش يعني إيه حب.

يضحك: مجرم زي ما يعرفش يعني إيه حب! هههه.. أنا بسبب الحب اللي معرفوش دا تحولت لمجرم كل ما القدر يمنعه إنه يرتكب الجريمة كنت بصر على ارتكابها.. الجرح اللي كان في دماغ ياسمين مكنش كاف إنه يقتلها كان كلها شهر تقريبا وتفوق وترجع تاني حبل ملفوف على رقبتي كان لازم أخلص منها نهائيا.. مش صعب على طبيب إنه يخلص من مريض ملوش أي ستين لازمة.. المسألة كانت سهلة إبره بسيطة ضربتها في المحاليل وبعدها الحبل اللي كان خنقني اتقطع وخلصت منه نهائيا.. يبكي أحمد بنار تحرق قلبه لما يسمع

عن الذي حدث لحبيبه القلب مرددا: آه يا ياسمين، آاااه، يصوب رامي المسدس نحو أميرة قائلا:

مفيش قدامك اختيار ثالث يا إما تيجى معايا يإما هقتلك.

- اقتلني الموت أهون من أن أشوف وشك.

- تق، متهونيش عليه.. يصوب المسدس نحو أحمد.. اختاري أخوك ولا حبيبك ولا تهربي معايا ونتجوز ولا.. فجأة يمسك حسام طوبة ويلقيها على وجه رامي فيصرخ متألما.. تسند أخاها مع حسام ويركضون بعيدا يتغلب رامي على ألمه ويلتقط مسدسه مرة أخرى.

- أميره... يطلق رصاصة في الهواء يقف الجميع كالأصنام تلتفت إليه تجد المسدس مصوب لصدر أحمد ثم فجأة يصوبه لصدر حسام قائلا:

تحبي مين يموت الأول أخوك ولا حبيبك.. تتوسله قائلة:

بلاش يا رامي أبوس إيدك بلاش.

قائلا في لا مبالاة:

يبقى حبيب القلب الأول وبلاش أبو نسب.. إنت اللي اختارتي، تلقي بنفسها على حسام لتنطلق رصاصه تهوي بجسدهما معا على الأرض.. وسط صرخات الجميع وزهول رامي عندما سقط جسدها دون حراك يقترب الجميع لكن رامي عاد لهددهم بقتلهم إن اقتربوا، يضم حسام أميرة في حضنه.. أحمد يحاول إفاقتها قائلا:

- أميرة.. أميرة.. فوقي يا أميرة.

رامي في غضب...

- ابعدوا... يطلق رصاصة يبعد الجميع.. اللي هيقرب هقتله.. يهدد حسام قائلا:

ابعد ايدك عنها. لكنه غير مبال.

- أميرة افتحي عنيكي انا حسام حبيبك.. يسيل الدم منه لقد اخترقت الرصاصة صدرها لتستقر في أعلى صدره.

- حسام..

- يا روح حسام انا هنا جنبك.. يرد أحمد:

أميرة، متخافيش هتكوني بخير.. تهز رأسها تنظر لوجه حسام ترى الدماء على صدره فتسأله:

إنت بخير؟

- إنت اللي بتسألي؟ متعيطيش.. بتعيطي ليه دلوقتي متخافيش.

- آسفة معرفتش أحميك.

- متكلميش.. فين الدكاترة حد يلحقنا.. يشعر بالدوار ونظره بدأ يشح لكنه يقاوم..

- حسام.

- أنا هنا معاك.

- هي دي النهاية؟ حياتي هتنتهي بالشكل البأس دا؟ فجأة جاء في مسمعها قول الله تعالى: (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)، ابتسمت متسائلة:

حبنا دا حلال ولا حرام؟

- اللي بيني وبينك حب حلال قدام ربنا.

- ربنا وحده أعلم وشاهد على اللي في قلبي... إني اتجوزك واتزف بفستان أبيض وشقتنا أدخلها برجلي اليمين وإيدك بتحضن إيدي وبنات وأولاد شبهك..

- هيحصل بإذن الله.

تهز رأسها بلا: اتمنيت إن آخر لحظة في حياتي تكون في حضنك والحمد لله ربنا حقق لي أمنيتي.. أنا أسعد إنسانه في الدنيا لأن فيه راجل زيك جنبي سامحني على كل لحظه عانيت فيها بسببي.. خلي الكل يسامحني ادعي ربنا إنه يسامحني اطلب لي الرحمة دايما، ودعاء.. دعاء بتحبك وصيتي ليك متسيهاش تضيع من إيدك.. تسقط دموعه على وجهها، بحق الحب اللي بينا متنسانيش.. أشهد أن لا إله إلا الله..

- أميرة!..

- وأشهد أن محمد رسول الله!

- أميرة لا متسبنيش أميرة، أدرك أنها اللحظة الأخيرة.. تماسك ولقنها الشهادة.. ثم دعاء الاستغفار لتخرج روحها وهي تقول..

- اغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يا رحمن...

- أميرة.. آاااااااه، إنا لله وإنا إليه راجعون... إنا لله وإنا إليه راجعون.. ينهار الجميع أرضا على صرخات حسام المشتعل قلبه بلوعة الفراق.. يقبل أحمد قدم أخته صارخا عليها أن تعود له مرة أخرى فجأة تنطلق الرصاصة الأخيرة فيسقط رامي جثة منتحرا..

بعد مرور سنة

تقف هدى أمام قبرهما.. يراها أحمد جالسة على ركبتها تبكي، واساها قائلا: الدموع مش هترجعهم.. امسحي دموعك.

- دي دموع الندم مين كان يصدق إن دا يحصل.. خنت صداقتنا.. معرفتش قيمة الأصدقاء إلا لما فقدتهم مكنتش أتوقع إن هييجي اليوم وأودع فيه أصحابي كل يوم واحدة ورا التانية مبقليش أصحاب خلاص ماتوا.. أنا وخالد اطلقنا يمكن لو خالد كان اتجوزها مكنش كل دا حصل لهم من البداية أنا سبب كل الحكاية.. لو كنت مت قبلهم كان زمان ياسمين سعيدة مع جوزها وكذلك أميرة على الأقل كنا هنموت واحنا لسه أصحاب.

- بالعكس يمكن جوازك من خالد وقتها كانت الورقة اللى قلبت الطاولة وكشفت المخبي في النفوس.

- تفتكر هما مسامحني.. تفتكر اننا هنتجمع أصحاب في الآخرة زي ما كنا في الدنيا ولا الفراق مكتوب علينا في الاتنين؟

- إنتم أصحاب ومهما حصل هتفضلوا أصحاب..

- عمري في حياتي ما هنساهم أبدا ولو قدر الزمن وتوفيت ادفني جنبهم يا أحمد دي وصيتي ليك.. تغادر والدموع في عينيها.

يقف أمام مثواهم الأخير يقرأ الفاتحة لهما ثم قال لنفسه:

فقيدة الشباب أختي وحبيبتي بنودع أحسن ناس بينا بدري بدري.. بنودع أجمل ضحكة وقت الفرح وأكبر سند وقت الحاجة لكن مهما ودعنا من الحبايب تحت التراب فميغلاش على اللي خلقه.. تهب نسمة هواء رقيقة تحمل رائحة عطرها فعلم أنها تقف خلفه.. يبتسم قائلا:

أنت هنا؟

- مليش مكان تاني، يلتفت لها ويشير إلى قلبه.

- مكانك هنا.

- المكان اللي هنا مش ليا أنا مستحقوش.

- كنت مختفية فين طول السنة؟ دورت عليك كتير.

- كل حاجة ضاعت.. أصدقاء العمر ماتوا والحب ضاع وبقيت في الدنيا لوحدي مفيش حاجة تستحق أظهر للدنيا عشانها.. سافرت بعيد عن الناس حاولت انسى اللي عشته لكن اللي عشته عايش فيه.. هجرت أهلي وجامعتي وفسخت خطوبتي ورحلت كل متاعي ذكريات مؤلمة مش عايزة تتنسى.. اعتقدت إن في البعد هرتاح لكن البعد زود أوجاعي أوجاع.

- وانا يا كيري؟

- إنت!.. أنت لسه عايش في حب غيري واللي بتحبها قلبي محروق على بعدها واللي بيربطني بها مش صداقة دي روحي.

- هتفوتيني لوحدي وانت اللي فضلالي من الحبايب.. فين حبك؟!، تتجاهله وتذهب لكن يجذبها من ذراعها لحضه يضمها بذراعيه قائلا:

- متمشيش انا مش لاقي سند ليه غيرك.. أنا تايه في الدنيا وانت دليلي. تحاول الفرار من حضنه لكنه يتشبث بها بقوة فتقاوم قائلة:

يفرق في إيه وجود الحبيب والحب مش موجود فيه زيه زي الميت.

- بس انا هنا موجود.

- روحي وروحك مدفونين هنا مع اللي حبنا وقلبك معاهم احنا مجموعة أموات ماشين على الأرض.

- متهربيش من الحقيقة انت بتحبيني ومش قادرة تعيشي من غيري.. كانت دموع عينيها الجواب، أنا هحارب الكل عشانك هديكي الأمان والحنان والحب اللي ضاع منا سنين هديك قلبي كله وحياتي هعشها عشانك ولو حكمت نهاجر نهاجر لأجل نعيش دنيتنا

سواء.. أنا بحبك يا كرستين بحبك لو بتحبيني ضميني بذرعاتك.. تتردد فترة.. ظن أنها تغيرت لم تعد تحبه لكن ضمته بقوة شوق سنوات حبها له قائلة:

أنا بحبك.

- حبك ليه سلاحي قدام أي حد يعترض طريق جوازنا.. تتجوزيني يا كرستين؟

- مستعده اتجوزك على أي ملة وأي دين.. أتجوزك على دين عيسى أتجوزك على دين محمد.. أتجوزك.. المهم أعيش حياتي اسمع اسمي اللي حبيته من يوم ما سمعته منك بتناديني بيه وانا جنبك وفى بيتك وام عيالك.

تغيرنا الحياة وتدور بنا ولا نعلم ما الذي سنلاقيه في مستقبلنا.. عندما كنت صغيرا كان الإيمان الذي يسيطر على تفكيري أن الحياة طويلة جدا وجميلة جدا كعالم الأطفال لكن سرعان ما تحول إيمان الطفولة ليقين أن الحياة قصيرة جدا وتمر بسرعة شديدة حتى أننا ننسى كم بلغنا من العمر ففي ليلة تكون طفلا وفي ضحاها تصبح شابا وفي لمح البصر يتحول شبابك لشيخوخة وتستمر الحياة ونحن السائرين في متاهتها بأحلامنا وطموحنا وسرعان ما تسرق أحلامنا أيضا لكن هناك حلم يسعى الكل للوصول إليه.. الكل يسعى للحب، الحب يضيف إلى عمرك عمرا فتعيش شبابك لمدة طويلة ويمكن للحب أن يأخذ من عمرك ما يكفي لتحويل شبابك لشيب الشيخوخة وتظهر تجاعيد الشيب على قلبك ويصبح قلبك ضعيفا لا يقوى على النبض وتنتهي بك الحياة سريعا..

الآن أجلس في غرفتي، للحظة تحولت لكاتب أو ربما كاتب كلمة لا تليق بي ولكن هناك في قلبي ما يعجز قلمي في التعبير عنه فتحول دفترها لرواية.. في الحقيقة لا أعتبرها رواية على الرغم من أن معظم الروايات تحمل حياتنا الحقيقية بين سطورها لكن لتعتبريها ما تشائين فأنا يجب أن أعيش كما يعيش الزوج لزوجته وأعيش لأبنائي الذين أنتظرهم كما ينبغي أن يعيش الأب لأبنائه ولن أستطيع تحقيق ذلك إلا بإخراج ما مضى من حياتي على هذه الأوراق لأفرغ مساحة جديدة للشمس التي تنير حياتي.. لأسرتي خاصة أنت يا زوجتي الغالية التي تعشقين أن أناديك بزوجتي أكثر من أن أناديك باسمك..

بعد ما مررنا به سويا ورغم أن أصبحت زوجك ما زال الخوف يسيطر على أحلامك ليلا أم يجب أن أقول يسيطر على كوابيسك فتتفوهين أثناء نومك بما يعصر قلبي لأنك تستحقين أن أحبك أكثر مما تحبينني.. زوجتي أنا آسف على كل لحظة ألم كنت أنا السبب فيها وتعايشت معها لأجلى فمنذ اللحظة التي بحثت عني بعد ما حدث كنت كالضائع لا يعرف بدايته وإلى أين ستكون نهايته.. تتبعت خطواتي في كل مكان منذ خروجي من المنزل إلى قبرها ومن قبرها إلى مكان كان يجمعني بها كأم تتبع خطوات طفلها خوفا من التعثر.. راقبت تجاهلي بوجودك في صمت إلى أن أخبرني النيل عنك..

هل تعلمين بماذا أخبرني؟ شغوفة بطبعك تريدين أن تعلمي، أخبرته أولا أن حبيبتي أميرة قلبي قد رحلت بعيدا إلى الأبد ومن تلك البلاد البعيدة نمى عشق يتبعني دائما، أخبرته أنني أفتقد لكل شيء أفتقد لمعان النجوم في سمائي ولنور البدر في رحلتي.. أفتقد شمس الشتاء الدافئة لتدفئ جسدي الذي ينبض بداخله قلب يفتقد بهجة الحياة يفتقد الحب وما افتقدت الحياة إلا عندما رحلت هي، فأخبرني أن هي أصبحت غائبا فانظر لجوارك ستجد من تشعر بهذا الفقدان من أجلك أنت وأعطاني نسمات من الحياة فأصبح قلبي مؤهلا ليشعر بقلبك لكن لم أتخيل أن كل هذا الحب في قلب من أجلي لكن كبرياء الهوى كان حاجزا فسألتك...

- متعبتيش من حبك ليا؟

- حبي ليك هو الحاجة الوحيدة اللي بتريحني.

- متعلقة بحبال دايبة؟

- لو الحبال الدايبة دي هتخليني اشوفك كل يوم واعيش عمري معاك هتعلق فيها بكل قوتي.

- انت مش أول حب في حياتي.

- مش مؤمنة بفكرة الحب الأول والحب الأخير أنا مؤمنة بفكرة إن فيه حب بيدخل القلب مبيخرجش منه أبدا.

تخرج من حقيبتها علبة بها دبلتان ولأول مرة في حياتها تركع لغير الله لكنها ركعت.. تفجأ منها قائلا..

- إنت بتعملي ايه؟!

- الحب هو الشيء الوحيد اللي يخليك تتغير للأسوأ أو للأفضل ولحبي ليك عملت حاجات كتير غلط.. وندمانه عليها وبالحب تصنع المعجزات ويخلي بنت تركع لحبيبها وتطلب إيده للجواز وبالحب يحشر المرء مع من يحب وانا بدعي ربنا أكون ليك دنيا وآخرة.. تتجوزني؟

- مش خايفة على كرامتك؟

- إنت كرامتي.

ساعدها على الوقوف فظنت أنه رفض عرضها للزواج فجأة ركع على ركبتيه قائلا: دعاء تقبلي تكوني مراتي؟...

تنفجر دموع الفرح من عينيها، دعاء انا ركبتي وجعتني...تتجوزيني؟، لم أكن لكي مشاعر الحب في قلبي في بداية زواجنا ولكن بعدما تزوجتك أحببتك بكل كياني ووجداني وصدقا منذ اللحظة التي أصبحت زوجتي تغير كل شيء في نظري.. لا أنكر أن الماضي ما زال يحيا بقلبي لكن أصبح قلبي ملكك الآن.. أعلم أنك تقرئين الدفتر في الوقت الذي تقرئينه فيه هو وقت وداعي فقلب أميرة الذي ينبض بداخلي لم يعد قويا بما يكفي لأعيش أو ربما أنا الذي لم أعد قويا ربما ما زال الماضي ينبض بداخلي لأن قلبها المزروع في صدري هو الذي ينبض...

دعاء أقصد زوجتي تعلمين الآن كل شيء ولك حق الاختيار أن تجعلي أطلالي تختفي معي تحت تراب الزمن لتختفي ملامحه وتصفر أوراقه أو أن تجعلها تحيا ولكن هناك شيء أنت مجبرة على تقبله وهو حبي لك... أنا أحبك يا زوجتي.

بعد مرور يومين

فتحت عيني لا أدرى أين أنا.. ما زلت أشعر بالدوار لكن أليست هذه ندى؟ ما الذي تحمله؟ غفوة مرة أخرى لأستيقظ على صوت ندى تغني..

- حمد الله على السلامة.. شوفى ربنا رزقنا بأجمل بنوتة في الدنيا، عندما نظرت لوجه طفلتي نسيت كل شيء مضى في حياتي وسقطت دموع السعادة الحقيقية.. إحساس لا يمكن وصفه، مشاعر جياشة انقطعت فجأة عندما رأيته قادما على كرسي متحرك وبين ذراعيه طفل آخر قائلا:

حمدا لله على السلامة.. شوفتي الملاك اللي ربنا بعته لينا، لم أصدق توأمتين! اقترب مني لأراها لكن لم أنظر إليها بقدر ما نظرت إليك متأملة ملامحك التي اشتقت إليها.. لمست وجهك لأتأكد أنك ما زلت هنا بيننا فما زال الشك بقلبي أن ما أراه الآن حقيقة حتى لامست وجهي وبقبله رقيقة تلامست شفاهنا طويلا فتيقنت أنك هنا.. سألتك..

- النهاية السعيدة حقيقة ولا خيال؟

- تحبي تتأكدي هاتي شفايفك (قبلة أخرى) تبكي الطفلتان فيضحكان قائلا:

إيه هنبدأ من أولها تغيروا من ماما.. يقبلهما.. أنا مش هقدر على البوس دا كل يوم كدا شفايفي هتتعب.

- اللي يخلف بنات لازم يتحمل.. وخاصة لما يكونوا قمرات كدا.

- ربنا يقدرنا على تربيتهم.

تقف أمام قبريهما ومعها طفلتاها...

- مش عارفة اقولك إيه في موقف زي دا في موقف السكوت فيه أفصح من الكلام.. آسفة إن طول المدة دي كلها وانا بفكر فيك تفكير سيء.. أنا جايه ومعايا بناتي.. أميرة ودعاء على فكره أميرة الكبيرة بخمس دقايق وانا اللي صممت أن أسميها أميرة.. إنت عرفتيني معنى الحياة وانت عايشة ووهبتيلي حياة بعد موتك لما تبرعت والدتك بقلبك لحسام.. يا ريتنا كنا أصحب وكان بينا ذكريات جميلة.. إنت إنسانه نبيلة أوي وللأسف عرفت دا متأخر جدا.. فاكرة آخر كلام بينا في المستشفى (قبل ان تختطف بلحظات)..

تدخل دعاء الحمام فترى أميرة تغسل يدها.. تغادر لكن أميرة.. أوقفتها قائلة:

أنا مش زعلانة انك كذبتي عليه.. اللي عملتيه متعملوش إلا واحدة بتحب بكل حته في قلبها.

- أنا آسفة إني حطيتك في ظروف زي دي.

- أنا اللي آسفه إن وجودي هو اللي دفعك تعملي كدا.. عارفة انك بتحبي حسام.

- خلاص كل شيء انتهى.

- أحيانا النهاية بتكون بداية لكل شيء بصراحة النهاية بتكون مختلفة جدا عن البداية ويا ربت حياتنا كلها بدايات.. دائما البدايات أحلى الأوقات في عمرنا لكن.. أنا مش هقدر اتجوز واحد وفيه واحدة تانية عينها فيه.

- يعني إيه مش هتتجوزي حسام؟!

تبتسم: مش عايزة اللي حصل معايا يحصل معاك وينتهي بك الحال هنا بعد اللي حصل ومحاولة الاغتصاب مقدرش ارفع عيني في وش حد ومش عايزة حسام يعيش مكسوف مني قدام الناس.

- هتقدري تعيشي من غيره؟

- ربنا وحده بيداوي القلوب... هقدر طول ما الضحكة مش هتفارقه.. هكون أسعد إنسانة حتى لو الضحكة دي لواحدة تانية غيري وانا متأكدة انك هتقدري تسعديه.. أنا اللي أخدت حبيبك.. أوعدك أنا اللي هرجعهولك.

***

شكرا.. شكرا على كل شيء.. تغادر فترى كيري وأحمد أمامها صدفة يحمل طفلة ابتسمت وهى تنظر لطفلتها قائلة:

- أميرة ودعاء.

- ياسمين.. تضع كيرى يدها على حملها قائلة: وأميرة.. -إن شاء الله-.

تمت

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذو جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017